# مدارس دمشق ومعاهدها

## دراسة في مؤسسات التعليم الأهلي

الدكتور نزار أباظة

دار الفكر
آفاق معرفة متجددة

بسم الله الرحمن الرحيم

# مدارس دمشق ومعاهدها

# مدارس دمشق ومعاهدها

خلال القرن الرابع عشر الهجري

(دراسة في مؤسسات التعليم الأهلي)

الدكتور نزار أباظة

دمشق - دار الفكر 2019 ، 360 ص، 25 سم

ردمك: ISBN: 978-9933-36-219-5

1 370.956111 أ ب ا م

2 956111 أ ب ا م

3 العنوان

4 أباظة

مكتبة الأسد

الدكتور نزار أباظة

# مدارس دمشق ومعاهدها

## خلال القرن الرابع عشر الهجري

( دراسة في مؤسسات التعليم الأهلي )

دار الفكر
دمشق - سورية

2020

عالم جديد

1442هـ دار الفكر 2020م

# مدارس دمشق ومعاهدها

خلال القرن الرابع عشر الهجري

( دراسة في مؤسسات التعليم الأهلي )

تأليف: د. نزار أباظة

الرقم الاصطلاحي: 2579.011

الترقيم الدولي: ISBN:978-9933-36-219-5

الرقم الموضوعي :370 ( التربية والتعليم )

360 ص، 25x17 سم

الطبعة الأولى : 1442 هـ - 2020 م

©جميع الحقوق محفوظة

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

دَارُ الفِكْر

للطباعة والتوزيع والنشر

دار الفكر المعاصر - بيروت 739 1860 961+

دار الفكر المعاصر - دبي 70880 444 971+

دار الفكر - دمشق 3001 11 963+

www.darfikr.com

info@darfikr.net

إلى أشياخي الأجلاء[1]
وكانوا بذلوا شيئاً عظيماً
من علمهم
ومحبتهم
وراحتهم
وتوجيههم..
وحمّلونا أمانة العلم الذي شرفونا به.
غفر الله لهم
وكتبهم عنده مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

---

(١) الشيخ رفيق السباعي
الشيخ لطفي الفيومي
الشيخ إبراهيم اليعقوبي
الشيخ عبد الرحمن الطيبي الزعبي
الشيخ أحمد نصيب المحاميد
الشيخ خالد الجباوي
الشيخ محمد سكر
الشيخ عدنان شيخ الحدادين
الشيخ محمد مطيع الحافظ
وآخرون.

# المحتوى


تقديم ..... ١١

مقدمة ..... ١٥

مدخل ـ ما قبل المدرسة (الكتاتيب) ..... ٢٧

الباب الأول ـ المدارس الابتدائية؛ طلائع المدارس

تمهيد ..... ٣٧

• المدرسة السفرجلانية ..... ٣٨

• المدرسة العادلية الصغرى ..... ٥٧

• المدرسة الريحانية ..... ٥٩

• مدرسة الإسعاف الخيري ..... ٦٧

• المدرسة الأمينية ..... ٧٠

• المدرسة السعيدية العلمية ..... ٧٦

• مدرسة التهذيب الإسلامي ..... ٨٠

• مدرسة وقاية الأبناء ..... ٨١

• مدرسة سعادة الأبناء ..... ٨٣

• مدرسة روضة الحياء ..... ٨٥

• مدرسة التربية الاستقلالية ..... ٨٧

• المدرسة الهاشمية ..... ٨٩

• مدارس أخرى ..... ٩١

خلاصة ونتائج ..... ٩٦

## الباب الثاني ـ المدارس الثانوية الرائدة

تمهيد ..... ١٠٣
أولاً ـ مدارس الذكور: ..... ١٠٥
• المدرسة التجارية العلمية..... ١٠٥
• المدرسة الكاملية الهاشمية ..... ١٠٨
• الكلية العلمية الوطنية ..... ١٢١
• المدرسة المحسنية ..... ١٣٣
ثانياً ـ مدارس الإناث: ..... ١٤٧
• المدرسة اليوسفية ..... ١٤٧
• الكلية العلمية الوطنية ..... ١٥١
• دوحة الأدب ..... ١٥٣
خلاصة ونتائج ..... ١٦٦

## الباب الثالث ـ المدارس الثانوية التالية

تمهيد ..... ١٧١
أولاً ـ مدارس الذكور ..... ١٧٤
أ ـ الثانويات السابقة
• المعهد العربي الإسلامي..... ١٧٤
• ثانوية السعادة ..... ١٧٧
• معهد الأنصار ..... ١٧٩
• ثانوية دار الحكمة ..... ١٨٦
ب ـ ثانويات أخرى ..... ٢٠٠
• ثانوية دمشق العربية ..... ٢٠٠
• ثانوية دمشق الوطنية ..... ٢٠٠

• ثانوية الثقافة ..... ٢٠٠
• ثانوية دار الفكر ..... ٢٠٠
• ثانوية الأندلس ..... ٢٠٠
• الثانوية العربية ..... ٢٠٠
• ثانوية اليرموك ..... ٢٠٠
• الثانوية الأهلية ..... ٢٠٠
**ج ـ مدارس العمال الليلية..... ٢٠١**
**ثانياً ـ مدارس الإناث ..... ٢٠٢**
• معهد بدر (نموذجاً)..... ٢٠٢
**ثانويات أخرى ..... ٢٠٣**
• معهد النجاح ..... ٢٠٣
• ثانوية المعري ..... ٢٠٣
• ثانوية الجمهور ..... ٢٠٣
• ثانوية تحرير الفتاة ..... ٢٠٣
• ثانوية سميح السكري وفائقة الرباط ..... ٢٠٣
**خلاصة ونتائج ..... ٢٠٤**

**الباب الرابع ـ المعاهد الشرعية للجمعيات الخيرية**

**تمهيد ..... ٢٠٧**
• المعهد التهذيب والتعليم (القلبقجية) ..... ٢٠٨
• معهد العلوم الشرعية (الجمعية الغراء) ..... ٢١٤
• المعهد التهذيب والتعليم (الكلية الشرعية) ..... ٢٣٣
• معهد التوجيه الإسلامي..... ٢٤٣

• معهد دار الحديث الأشرفية ..... ٢٤٨
• معهد جمعية الفتح الإسلامي ..... ٢٥٨
• معهد جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية ..... ٢٧١
• معهد الفرقان ..... ٢٧٦
• المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد (معهد أبي النور) ..... ٢٨٦
**خلاصة ونتائج** ..... ٢٨٩

**الباب الخامس ـ مدارس الطوائف الأهلية والإرساليات التبشيرية**

**تمهيد** ..... ٢٩٥
**أولاً ـ مدارس الطوائف الأهلية:** ..... ٣٠١
• مدرسة الآسية المختلطة ..... ٣٠١
• المدرسة البطريركية ..... ٣٠٨
• مدرسة راهبات المحبة (البيزانسون) ..... ٣٢٧
• مدارس الأرمن ..... ٣٢٩
• مدارس اليهود (الإليانس) ..... ٣٣٣
**ثانياً ـ مدارس الإرساليات التبشيرية** ..... ٣٣٥
• المدرسة اللعازارية ..... ٣٣٥
• المدرسة الإنجيلية ..... ٣٣٨
• المدرسة الإيطالية ..... ٣٤٠
• الفرنسيسكين ..... ٣٤٣
• معهد اللاييك ..... ٣٤٦
**خلاصة ونتائج** ..... ٣٥٠
**خلاصة عامة** ..... ٣٥٣
**المراجع والمصادر** ..... ٣٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

## بقلم الأستاذ الدكتور مازن المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير

إن تاريخ التعليم والنشاط العلمي والتربوي ينبغي أن يكون في مقدمة اهتمامات المؤرخين الذين يُعنون بتاريخ تقدم الشعوب ونهضة الأمم؛ لأن العلم من أهم أسباب النهضة والتقدم. ولقد قام كثير من العلماء في تاريخ أمتنا بواجبهم، فشارك كثيرون منهم في التربية والتعليم، وأبدع نفر منهم في العلم، وعمل كثير منهم في نشر العلم وإقامة مؤسساته، وصنف بعضهم الأساتذة والمربِّين، وأرخ بعضهم حياة العلماء، وصنَّفهم طبقات في كل علم، وذكر ما قام به كلّ منهم من تأليف أو تدريس، وما أنشأ من مدارس أو مكتبات.

وكنت أتمنى أن أجد كتاباً أعطى لحركة التربية والتعليم، ولنشأة المدارس في بلاد الشام حقها من الرعاية والتأليف، وأرخ لنشأة المدارس في العصر الحديث في سورية، بصدق وأمانة وإحاطة واستيعاب.

لقد رأيت أكثر من كتب عن التربية والتعليم في بلادنا ـ ممّن اطلعت على كتبهم ـ مقصّراً في الجمع، عجولاً في الدراسة أو موجزاً أو مُغفلاً لما لا يعجبه، أو مهملاً لما لا يرضى عنه، أو لما لا يوافق هواه، مطيلاً حيث يجد هواه وراحة نفسه أو نزعة فكره! على حين أن الذي يتصدى للكتابة في التاريخ، أيّ تاريخ، ينبغي أن يكون متحلّياً بالصبر في

الخُلُق، والصدق في البحث، والأمانة في النقل، والقدرة على الإحاطة والاستيعاب ما أمكنه ذلك.

ورأيت من يزعم أنه يكتب وفق منهج علمي، فإذا منهجه التقيُّد بهواه النفسي ونزعته الفكرية!

ورأيت بعض من كتب عن تاريخ التربية والتعليم في بلادنا لا يبصر إلا الثمار التي ظهرت لعينيه، فيقف عندها ليطيل الوصف والمديح، وليصدر الأحكام، وهو جاهل أو متجاهل للسوق والأغصان التي حملت تلك الثمار، وغافل أو متغافل عن الجذور التي غذّت تلك السوق والأغصان والثمار!

لقد عرفت عشرات العلماء والمربِّين من الشيوخ والمصلحين الذين ملأ تلاميذهم مدارس بلاد الشام كلها، وكان عدد كبير ممّن تخرَّجوا بهم ينشرون العلم في المدن السورية وفيما جاورها من البلاد، ولم أجد لهم ذكراً في كتب، تزعم أنها تؤرخ للنهضة العلمية في سورية!

لقد كان تلامذة أولئك العلماء أساتذتي، وأساتذةَ جيلي في دمشق، وقد كان في حيّ العمارة والقيمرية وحدها سبع مدارس للبنين والبنات، لم أجد ذكراً لواحدة منها في كتاب، وكانت خمس منها أهلية خاصّة غير تابعة لوزارة المعارف آنذاك.

ولست أكتم اليوم سروري بكتاب الصديق الدكتور نزار أباظة، لأنني وجدته من أقرب الكتب وأصدقها في وصف الواقع الذي عرفته. لقد ذكر فيه مؤلفه كل ما عرفه أو وصل إليه علمه، بصدق وأمانة. كان يبحث ويتعب، ويتصل ويسأل، للحصول على ما لا يعرف، ليكون عمله أقرب إلى الواقع والكمال، وأصدق في الوصف والحكم، ولئلا يبخس أحداً حقه، حتى جاء كتابه وصفاً صادقاً للصورة الفسيفسائية التي ضمها المجتمع السوري، في وحدة وطنية مؤتلفة على اختلاف مؤسسيها، وتباين اتجاهاتها، واختلاف انتماءاتها.

لقد أعطى المؤلفُ قارئَ الكتاب فكرة واضحة عن الجهود التي بذلت في ميادين

التربية والتعليم، وإنشاء المؤسسات التعليمية. حتى أصبح لا يغيب عن الكتاب إلا مالم يستطع الكاتب أن يصل إليه.

إن الكتابة في التاريخ أمانة، فالذي لا يستطيع أن يعطي الأمانة حقها لأي سبب من الأسباب، فليصرف نفسه عن الكتابة فيه، وليوجِّه قلمه وجهةً أخرى، أو فليصمت، لأن الشريف لا يقول إلا ما يدعوه إليه الشرف من صدق وأمانة، وإذا دعي إلى الشهادة أدّاها بحقها، ومن لم يفعل فآثم قلبه.

لقد أحسن د. نزار أباظة حين رأى تقصير غيره، فاستدرك ما فات، وقوم القصد، فجاء كتابه أكثر صدقاً وأمانة، وأوضح صورة، وأشمل استيعاباً.

على أن الحديث في هذا الكتاب لم يتناول سوى نصف الصورة، التي هي صورة الجهود الشعبية أو الأهلية في التربية والتعليم، وأما النصف الآخر للصورة - وهو عمل الدولة في التربية والتعليم، وتأسيس المدارس، وإنشاء المكتبات - فلعله يكون الجزء الثاني من الكتاب، أو يلقي عِبأه على وزارة التربية لتضع الكتاب الذي يحدثنا عن التربية والتعليم بدءاً بقيام الحكومة العربية في دمشق يوم دخلها الأمير فيصل، وأسند رئاسة الحكومة فيها إلى علي رضا باشا الركابي في ٥/ ١٠/ ١٩١٨م.

إن الذي يعرف كيف كانت ولايات الدولة قبل جلاء الأتراك، ومنها ولايات سورية والأردن وفلسطين ولبنان، ويعرف ما آلت إليه الحال بعد ذلك، من تعريب للإنسان وللسان وللأوطان، ومن تأسيس للمدارس والمعاهد والجامعات، يدرك ما بذله رجالات البلاد وعلماؤها من جهود أثمرت، حتى قال المفكر ساطع الحصري.. الآن أصبحت الدولة العربية حقيقة واقعة، وذلك لما رآه من نهضة تعليمية تربوية، شملت كل جوانب الحياة[1].

وبعد فهل من حرج إذا أوصيت الإخوة الباحثين والكتّاب أن يضع كل منهم نفسه حين يكتب محل القارئ الذي سيقرأ ما يكتب، وأن يلاحظ أن نصف قرائه قد لا يكونون مثله

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب «المجمعيون الأوائل» الذي أصدره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ٢٠١٥م.

فكراً أو رأياً أو عقيدة، ولكنهم مثله حُبّاً للوطن وانتماء إلى الأمة.. ما أجمل أن يذكر الكاتب حين يكتب أنه يكتب للآخر. وأما إذا أرخ فإنه لا يكتب لنفسه ولا لقومه بل للتاريخ.

وبعد، فلا بدّ من توجيه الشكر إلى المؤلف الدكتور نزار أباظة لما بذله من جهد ونشر من حديث ممتع ومفيد، وما وضع من لبنات شاهدة للتاريخ الصادق الموثق عن نشأة التربية والتعليم، وتأسيس المدارس والمعاهد والجامعات في تاريخنا الحديث.

# مقدمة

أحمدك يا رب حمد عبد معترف بتقصيره، طامع بما عندك من مغفرة وتوفيق، ينفعانه في مآله ومصيره، وأشكرك على نعمة حب العلم الذي يفيء إليه الراغبون عن الجهل وسعيره. وأصلي وأسلم على نبيك المصطفى صلاة وسلاماً دائمين يليقان بتوقيره.

وبعد..

فهذا الكتاب يتناول جانباً مهماً من التاريخ العلمي والثقافي لدمشق في القرن الرابع عشر الهجري الذي جرت فيه أحداث جليلة متغيرة في الحركة العلمية والثقافية، يحسن أن يتناولها بحث مفرد يصفها، ويذكر ما لها وما عليها.

على أنني لما فرغت من ترجمة كتاب «التعليم في سورية» الذي ألفه بالفرنسية الدكتور خالد قوطرش رحمه الله، وكان قدّمه أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة بول فاليري بمونبيلية وجدت فيه نقصاً واضحاً في موضوعِ عنوانِهِ، على أهمية ما قدّمه من معلومات.. وإلى ذلك أشرت في مقدمة الترجمة التي صدَّرت بها صفحات الكتاب؛ ذلك لأنه أغفل جوانب لا ينبغي إغفالها ضمن البحث الذي تناوله..

ووجدتني ـ وقد رفعت قلم الترجمة عن الكتاب بعدما وضعت نقطة النهاية ـ أسأل عن مدارس أنشأها في دمشق أهل العلم، قدّمت للمواطنين خدمات جُلّى، وخدموها في أوقات صعبة قدر جهودهم. فرأيت أن كتابه تجاهلها. ووجدتني مسؤولاً عن البحث فيها، ما دمت أشتغل في تاريخ مدينة دمشق المعاصر والحديث.. وفاء للرجال الذين أخلصوا للعلم وحملوا مسؤوليته أمام الله.. فيجب أن يُذكر كل بعمله، ويُشكر له ويبيّن إحسان المحسن[1].

(١) قال علي الطنطاوي: لماذا نؤلف الكتب ونعدّ الدراسات، نجعلها موضوعات الرسائل الجامعية والأطروحات عن رجال السياسة ورجال الفن، ولا نقضي ديون رجال التعليم علينا؟ هؤلاء هم الذين نشّؤوا أولادنا، هم الذين وضعوا الأساس لبناء ثقافتنا، هم الذين يكون الصلاح منهم إن كانوا صالحين.. فلماذا لا نوليهم من العناية ما يستحقون؟ (ذكريات ٧/ ١٧٤).

وهذا في زمن كانت المدارس الرسمية الثانوية والإعدادية والابتدائية قليلة جداً في مطالع القرن العشرين[1] وأشهرها الثانوية الوحيدة المعروفة باسم مكتب عنبر[2] وكان إلى جانبها مدارس ابتدائية[3] ورشديّة[4].

وكان التدريس الشائع في دمشق يقوم على حلقات الشيوخ الذين استمر بهم العلم، منذ أن دخلها المسلمون، فأحيوا مسجدها بالقرآن والقراءات، وكان أول من أقرأ به أبو الدرداء، رضي الله عنه، وزوجته أم الدرداء الصغرى[5]، ثم تتابعت حلقات العلم فيه حتى كان عند كل عمود من أعمدته عالم يقرئ الناس..

ثم انتشرت حلقات العلم في مساجد دمشق وفي بيوت العلماء والخاصة، وكانت مقصودة من الآفاق، يؤمها الطلاب للأخذ عن الشيوخ واستجازتهم لم تنقطع أبداً.. يبذل فيها العلماء من مهجهم لا يسألون فيها أجراً.. وربما تقاضوا رواتب من الأوقاف الكثيرة

(١) أشار إلى ذلك عبد العزيز العظمة فقال: للحكومة السورية في مدينة دمشق اليوم [الثلث الأول من القرن العشرين] ٢٨ مدرسة ابتدائية فقط، ١٩ مدرسة منها للبنين، والباقي للبنات، ومدرستان ثانويتان، هما التجهيز للذكور والإناث. عدا عن ذلك مدارس أهلية تدار بإدارات خاصة تحت نظر الحكومة، وضمن مناهجها العامة؛ الجامعة الوطنية (الكلية العلمية الوطنية) والجامعة العلمية (الثانوية الشرعية) ومدرستا الروم والكاثوليك الثانويتان، ومدارس ابتدائية لجميع الطوائف (مرآة الشام ١٧٠ وما بعد).

(٢) مكتب عنبر هو الاسم الشائع على الألسنة، والاسم الرسمي «المكتب الإعدادي الملكي» أنشئ في حي القيمرية سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م. وللتوسع بمعرفته ينظر كتاب «مكتب عنبر» لظافر القاسمي، وكتاب «النور والنار في مكتب عنبر» لمطيع المرابط. والفصل المتعلق به في كتاب «التعليم في سورية» للدكتور خالد قوطرش. ثم انتقل المكتب إلى منطقة الفردوس، وصار يسمى مدرسة التجهيز ثم أطلق عليها فيما بعد اسم «جودت الهاشمي» الذي كان مدير مكتب عنبر رحمه الله.

(٣) بدأت الحكومة العثمانية بإنشاء المدارس في دمشق عقب انسحاب جيش إبراهيم باشا من بلاد الشام، إذ تبين لها أن سرّ نجاح الغزاة المصريين كان بسبب أخذهم العلم، فعملت على إحداث المدارس، وخاصة بعد أن انتشرت مدارس الإرساليات الأجنبية، فأقامت في دمشق عدداً من المدارس منها «المكتب الرشدي» في جامع يلبغا عند ساحة الشهداء (المرجة) و«الإعدادية العسكرية» في جامع تنكز، و«مكتب الصنائع» في خان البطيخ.

(٤) المدارس الرشدية أي المتوسطة. (ذكريات علي الطنطاوي ٨/ ٢٦٩).

(٥) أبو الدرداء: عويمر بن مالك، كان من الحكماء الفرسان القضاة، اشتهر بالشجاعة والنسك. قال عنه النبي ﷺ: «عويمر حكيم أمتي». ولّاه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب، وهو أول قاضٍ بها. وكان أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي عليه الصلاة والسلام بلا خلاف. (انظر الإصابة والاستيعاب وغيرهما).

التي توفر لهم الحياة الكريمة. ويبقى الطالب يتنقل بين الحلقات.. ويحصل كذلك على منافع من الوقف.

وعُرف بالطبع كتاتيب[١] منتشرة في الأحياء، يساق إليها الصبية، يأخذون عن المؤدب مبادئ القراءة، أو ما كان يسمى «فك الحروف» ويعلمهم القرآن تلاوة أو حفظاً بحسب الحال. ثم إذا تخرج الصبي في الكتّاب انتقل إلى حلقات الشيوخ، أو فارق المعلم إلى مهنة أسرته.

وأول من أحدث نقلة في الكتاتيب من الأهالي، فأنشأ مدرسة بالمعنى المختلف عن الكتّاب هو الشيخ محمد عيد السفرجلاني ثم الشيخ أحمد دهمان.. وسنشير إليهما إن شاء الله في خضم هذا البحث.

ومع انتشار الأمية وشيوعها كان كثيرٌ من الأهالي المتنبهين يقصدون المدارس لتعليم أبنائهم؛ وقد أشار إلى هذا عبد العزيز العظمة بقوله: «المدارس الحكومية تغصّ بالطلاب والطالبات، لا تستطيع قبول كل من يقصدها لضيق الأبنية، فيعود أكثرهم خائبين، ترفضهم إدارات المدارس، وهم لا يقلون عن النصف ممن ساعدهم الحظ، ودخلوا المدرسة»[٢].

على أن كثيراً من الأهالي كانوا يرغبون لأولادهم أن يحصلوا على الشهادات للالتحاق بالوظائف[٣] التي كان دخلها يوفر لهم حياة كريمة جداً[٤].

ولهذا قامت ضرورة ملحة لافتتاح المدارس الأهلية الابتدائية والثانوية التي سنأتي على ذكرها.

---

(١) كتاتيب ج كتّاب، وهي تسمية على غير القياس، لأنّ كتّاب جمع كاتب والأصل أن يقال مكتب، اسم مكان.

(٢) مرآة الشام ١٧٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) كان والدي (الدكتور محمد أباظة) معلماً في إحدى قرى الجبل الشيخ (الشيخ صفة للجبل، وليس جبل الشيخ وسمي كذلك تشبيهاً له بالشيخ ذي العمامة البيضاء. وهو عند العرب جبل الثلج) في بدايات العشرينات من القرن الماضي، يتقاضى كل شهر أكثر من اثنتي عشرة ليرة ذهبية، وكان آنذاك خريج المكتب السلطاني العثماني (ما يعادل الشهادة الثانوية) في بيروت. وهو أجر مجزئ جداً، إذ كانت الليرة الذهبية الواحدة تكفي مصروف أسرة متوسطة في الشهر الواحد.

ولقد أشار نعمان القساطلي إلى انتشار المدارس بدمشق، فقال: مدارس المسلمين كثيرة.. ونفقتها على أهل الإحسان[1].

وكانت المدارس بدمشق عموماً على ثلاثة أصناف: المدارس الرسمية التي أنشأتها الدولة، والمدارس الأهلية التي تعدّ رديفاً لها، ومدارس الطوائف غير المسلمة، ومدارس أجنبية أو ما تسمى تبشيرية[2].

أما المدارس الرسمية، فليست من موضوع هذا الكتاب، وربما تناولتها كتب أخرى، تخصصت بها وتحدثت عنها بشيء من استفاضة[3].

ويبقى كتابنا هذا عن جهود الأهالي في نشر التعليم الخاص خلال القرن الرابع عشر الهجري، وما يقابله من سنوات القرن العشرين الميلادي، وهذا يحتاج إلى وقفة من أجل دراسة ما أحدثه الأهالي من مدارس وبيان قيمتها، وما يمكن أن يستفاد من تجربتها، بعدما انقضى القرن العشرون بصخبه وضجيجه ومشكلاته وحوادثه الفظيعة.

وجاء القرن الواحد والعشرون وقد تغيرت الحياة بكل معانيها فظهرت مدارس ذات نمط جديد، وجامعات مختلفة ورؤى ذات طبيعة خاصة، فإذا الحياة غير الحياة، وإذا الناس غير الناس.. وهذا ليس من اهتمامات هذا الكتاب؛ إذ اقتصر على ما أشرنا إليه.

وقبل أن نعرّف بهذا الكتاب في أبوابه وفصوله نقول: قامت المدارس الأهلية لغاية هي سدّ النقص في التعليم الرسمي كما أشرنا، وشعور أهل العلم بالحاجة إليها.. ولذلك كانت تلك المدارس تحمل رسالة مقدسة، لعلها قامت بها خوفاً من سؤال الله تعالى يوم القيامة وخدمةً للبلد، من خلال شعور وطني. فهل تحمل المدارس الأهلية العديدة -وقد اشتد عليها الطلب اليوم في هذا القرن الخامس عشر الهجري- هل تحمل رسالة مثل تلك الرسالة ؟ هذا سؤال مفتوح، يحتاج إلى جواب.

---

(١) الروضة الغناء.

(٢) ذكريات الطنطاوي ٣/ ٢٢٢.

(٣) انظر كتاب التعليم في سورية، وكتاب مكتب عنبر لظافر القاسمي.

ويعد..

فالكتاب بعد المدخل في الحديث عن الكتاتيب يقع في خمسة أبواب: الباب الأول المدارس الابتدائية الأولى، والباب الثاني المدارس الثانوية القديمة للذكور، والمدارس الثانوية القديمة للإناث، والباب الثالث المدارس الثانوية التالية لها مما أحدث في الثلث الأخير للقرن الرابع عشر، والباب الرابع المعاهد الشرعية التي أنشأتها الجمعيات الخيرية، والباب الخامس لمدارس الطوائف والإرساليات التبشيرية.

هذا ولم أتعرض للمدارس المتأخرة التي أحدثت أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر كالثانويات الشرعية الخاصة مثل ثانوية الشيخ بدر الدين الحسني في الشاغور وثانوية الشيخ عبد الغني النابلسي في الصالحية، لا لتأخرها فحسب، وإنما لنشأتها وفق مناهج الدولة في المدارس الشرعية الرسمية.

كما لم أتناول في البحث المدارس الأجنبية المتأخرة التي أحدثتها بعض السفارات كالمدرسة الأمريكية في محيط شارع الجلاء (أبو رمانة) والمدرسة الفرنسية في المزة، شمال منطقة الشيخ سعد، والمدرسة الباكستانية في المزة أيضاً بمحيط الطريق السريع ثم في يعفور.. وهي مع تأخرها فإنها تدرّس برامج خاصة بها.. وإن أغلق بعضها في الأزمة السورية التي قامت في آذار من عام ٢٠١١م.

وكذلك لم أبحث في رياض الأطفال، فإنها تحتاج إلى دراسة خاصة بها.

ولقد بذلت جهدي ما أمكنني ذلك في جمع المصادر والمراجع، وفي الزيارات المبدئية، وفي مقابلة من توخيت عنده ما يفيد، واستهواني العمل والبحث ووجدت فيه متعة.

على أن المتصفح للكتاب سيجد وفرة في المعلومات عند الحديث على بعض المدارس، واقتضاباً في تناول مدارس أخرى؛ وما ذلك إلا لما توافر لدي من وثائق، مع بذل الجهد في البحث النظري والميداني.

اعتمدت في هذه الدراسة على ثلاثة أنواع من الموارد؛ أولها «ذكريات علي الطنطاوي»[1]

(١) علي الطنطاوي (١٩٠٨-١٩٩٩م): فقيه أديب قاض خطيب مفوّه، متعدد الثقافة. ولد بدمشق لأب عالم تعود أصوله إلى طنطا في مصر وإليها نسبته، تعلم في مكتب عنبر (الثانوية الوحيدة بدمشق آنذاك) ولازم حلقات العلماء،=

الذي يعدّ شاهد القرن العشرين، تحدث فيها عن المدارس الأهلية؛ فقدم معلومات مهمة جداً، لو تركها لضاعت، إذ لم أقع عليها في كتاب آخر. وكان يفصّل في جوانب، ويترك جوانب، كنت أتساءل عنها، فلا أجد عنده جواباً لها.

وينضم إلى هذا الفرع من الموارد كتاب الدكتور خالد قوطرش[1] «التعليم في سورية» تحدث فيه بشكل خاص عن بعض المدارس الأجنبية، ومدارس الطوائف، فأفدت منه في هذا الجانب.

وكان المورد الثاني لهذا البحث كتب السير والتراجم والتاريخ، مما يقدم معلومات بعضها مبتسر، وبعضها شبه كامل يفي بجوانب مهمة من البحث، إلا أنها تسقط كثيراً من النقاط التي يبحث عنها الدارس.. وكان على رأس هذا النوع كتاب «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري» لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة،الذي تناول موضوع مدارس الجمعيات الخيرية وحلقات العلماء، وإن كان قصّر في جوانب منها، حرصتُ على أن أستكمله في الفرع الثالث من الموارد.

---

= وقرأ على والده، وتعلم الفرنسية فأتقنها، ثم حصل على شهادة الحقوق من جامعة دمشق، كما تعلم في دار العلوم بمصر، واشتغل بالصحافة والتدريس. ساهم بالحركة الوطنية الإسلامية ضد الاستعمار أيام الانتداب الفرنسي، وضد الانحراف السياسي بعد الاستقلال. عمل بالقضاء حتى كان القاضي الشرعي الممتاز، وكان له أثره في صياغة قانون الأحوال الشخصية السوري وفق الشريعة الإسلامية المعمول به حتى الآن، انتقل إلى السعودية عام ١٩٦٣م لما أحس بالمضايقات فكان أستاذاً ومستشاراً في بعض جامعاتها، ووضع قانون الإفتاء هناك، ثم تفرغ للدعوة في الإعلام وعرف ببرامجه الإذاعية والتلفازية التي جمعت بين الفكر الإسلامي والأسلوب الأدبي القوي في العرض. منح جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام. له عدد كبير من الكتب ومقالات كثيرة جداً عرفت له في مجلة الرسالة الذائعة الصيت منذ شبابه. فيه فكاهة وله أسلوب شيق في الحديث. كان الشيوخ يعدونه أديباً، والأدباء يعدونه شيخاً. توفي في جدّة. وختم مؤلفاته بكتابه «ذكريات» توقف فيها عند منتصف القرن العشرين أو بعده بقليل. (إتمام الأعلام ٢٩١ ط٢).

(١) خالد قوطرش (١٩١٢-٢٠٠١م): متخصص في التربية، ولد بدمشق لأبوين كرديين وتعلم في الكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم وتخرج في مكتب عنبر ثم في دار المعلمين الابتدائية. انتخبه زملاؤه رئيساً لهيئة التعليم (نواة نقابة المعلمين) فأصدر باسمهم مجلة المعرفة، أرسل في بعثة إلى فرنسا، فحصل على دبلوم التربية وعلم النفس من السوربون، وعاد فشغل مناصب تربوية في بلده وغيره. في عام ١٩٨٣م نال الدكتوراه بالتربية من فرنسا.. ثم انصرف إلى التأليف فأصدر كتباً عديدة. كتابه «التعليم في سورية» أطروحته للدكتوراه. (إتمام الأعلام ج٢، ص٥٨).

وجاء الفرع الثالث من معايشتي الشخصية مما تلقيته من مشافهة المعنيين، ومن تتبع الموضوع عند أصحابه، الأشخاص الأحياء الذين عايشوا الحركة التعليمية الأولى، ومن الوثائق التي وقعت بين يدي، وكنت أودّ أن تكون أكثر كثرة، وبعضها عزّ الوصول إليه. وتزودت لهذا الفرع الثالث كذلك مما وعيته في ترددي على حلقات الشيوخ في عدد من المساجد، ومن خلال اشتغالي بتراجم الأعلام والعلماء، وقد زودني كل أولئك بمعلومات هامة.

وأضيف إلى ذلك المسح الميداني الذي قمت به، فطوفت على عدد من المدارس، أستجدي ما عندها من الوثائق والمعلومات..

أما ذكريات الشيخ الطنطاوي فمع أنني أفدت منها كما ذكرت إلا أنني وجدته قد أغفل الحديث عن المدرستين المحسنية واليوسفية على قدمهما في الحركة التعليمية، كما أعرض عن ذكر مدارس الطوائف والإرساليات إلا بإشارة سلبية لها، حين تحدث عن الشيخ محمد بهجة البيطار الذي تعلم فيها في بعض سنوات عمره، وحين ذكر أن الطلاب المسلمين يشكلون ثلثي طلاب معهد اللاييك أو أكثر. ولكن لا يعاتب الشيخ الطنطاوي في ذلك أبداً؛ لأن الكتاب في ذكرياته التي تتعلق بالمدارس التي تردد عليها، وليس كتابه في بحث علمي خالص.. وإنما هو شجوى نفسه، وإن كان يجدر به أن يشير إشارات إلى مدارس كان لها شأنها في البلد، ولذا فإن معلومات مهمة فاتتنا عن كثير من المدارس التي يعرفها، ولم يتعرض لها، أو ذكر أخباراً مبتسرة عنها، كان يهمنا أن يفيض بالحديث فيها، فلم يفعل.. ومن المؤكد أن عنده أخباراً لا تقدر بثمن.. إلا أنه يسير في كتابه على طريق السرد والاستطراد، يطيل في بعضها، ويختصر في بعضها الآخر بحسب ما تجود به القريحة، ولم يَضَع خطة للكتاب.

أما الدكتور قوطرش فعلى النقيض من ذلك، تناول بما قدر عليه من معلومات بحثية مدارس الإرساليات، وأشار إلى المدارس الأهلية الإسلامية بكلام موجز لا يقدم ولا يؤخر، ولا يعطي الصورة الصحيحة لها، سوى أنه قال: «والقائمون عليها يحذرون أن

يعلموا مادة الجغرافية، لأنها تقول بكروية الأرض، وهي برأيهم مسطحة، الأمر الذي ينافي الدين والقول به كفر يخالف القرآن الكريم ولا يقبله العقل لأن الإسلام برأيهم لا يوافقه»[١].

وهذا كلام يخالفه الواقع فالمدرسة الكاملية والكلية الشرعية كانتا تدرّسان هذه المواد العصرية كلها بتوسع، ومدرسة التهذيب الإسلامي تدرس التاريخ والجغرافية والأخلاق والرياضيات، ولكن الدكتور قوطرش لم يوسع اطلاعه، وبنى كلامه على أفكار مسبقة، وعلى أوهام، لا تُقبل من باحث يتقدم إلى نيل درجة الدكتوراه في تاريخ التربية.

وأكثر من هذا أنه قال: «إن المدارس الإسلامية كانت ترسخ في أذهان الطلاب أفكاراً خطيرة» ولم يذكر ما تلك الأفكار التي عدّها خطيرة؟[٢]

ومن ناحية أخرى أغفل ذكر مدارس هامة ذات أثر بالحركة التعليمية، وكان ينبغي له أن يتكلم عنها ولو باقتضاب؛ لأن بحثه في التعليم من جهة، وهو رسالة جامعية عليا من جهة أخرى، يُطلب فيها أن يطابق العنوان فيها مضمونها.

والدكتور قوطرش يمضي في الثناء على مدارس الإرساليات، فيقول مثلاً: إن باللعازارية تخرج أربعة رؤساء حكموا سورية[٣]، ولم يشر إلى أن اثنين منهم كانا يمالئان فرنسا الانتداب، والثالث من زعماء الانقلابات التي أضرت بالبلاد. ولم يدر أن الكلية العلمية الوطنية والمدرسة التجارية والمدرسة الكاملية، وهي المدارس الثانوية الكبرى خرّجت من تولى رئاسة الوزراء فيما بعد عن كفاية ذات مواقف مشرفة، غير مشاهير الأطباء والوزراء والمحامين والشعراء والأدباء والأعيان الذين خدموا البلاد.. في قائمة أسماء طويلة.

ولما أنهيت ترجمة كتاب الدكتور قوطرش رحمه الله، وراجعه هو بنفسه أثنى على عملي فيه، الأمر الذي سرّني، وحمدت ربي الذي وفقني للترجمة الدقيقة.. لما كان ذلك

(١) التعليم في سورية ٣٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) وهم حقي العظم، وتاج الدين الحسني، وشكري القوتلي، وفوزي سلو.

أبديت له برأيي فيما ينقص الكتاب ليعم نفعه، فاقترح عليّ أن أستدرك الفوات، فكان ذلك يشبه الاعتذار، فرغبت في الأخذ برأيه.

ثم حالت موانع دون ذلك، بعضها يدخل في باب التسويف، إلى أن قدر الله وأعانني على جمع ما أقدر عليه من مادة هذا الكتاب الذي أحمد الله عز وجل عليه، إذ قدمت صحائف مجهولة كان لا بدَّ أن يسقط عليها الضوء.

وقبل الختام لا بد أن أشير إلى أنني تعبت طويلاً في الزيارات الميدانية، وفي الحصول على أرقام الهواتف المطلوبة للاتصال بأصحابها، وفي الفوز بلقاءات المعنيين الذين صعب الاجتماع بهم، واحتاج الوصول إليهم محاولات متكررة من أجل الظفر بموعد.

ثم كان بعضهم ينظر إليّ بعين الحذر والريبة، وخصوصاً في الدقائق الأولى من الاجتماع، حين أعرّفهم الغاية التي جئت من أجلها، ولا يتقبلني كثيرون إلا بعد أن أعرّف بنفسي فأطيل التعريف، وأنا بطبعي أخجل كثيراً حين أتحدث عن ذاتي، وأرتبك.. ثم تركت الخجل جانباً ونكّبت عنه في هذا الموضوع لأنه لا يتعلم مستكبر ولا مُستحٍ، وألححت في الزيارات حتى حسبتني في بعض الأحايين شحاذاً سائلاً، يطلب حسنة لله، والحق أنني ذلك السائل الذي يطلب حسنات شتى للوطن، وبنفس عزيزة، فكنت أثور حينما يحتاج الأمر إلى ثورة، وأسوّق كلاماً على من يصدني حين اللزوم، ولا أنكر أن آخرين رحبوا بي، حين عرفوا قيمة ما أعمل، فزودوني جزاهم الله خيراً بما عندهم من معلومات ووثائق.. وكلام طيب وقِرى.

بعض الذين قصدتهم تهربوا مني، وبعثوا إلي من يعتذر.. ومن غير أسباب. آخرون ضاقوا ذرعاً لطلب لقاء ثانٍ أو ثالث من أجل الإجابة عن أسئلة تغني الموضوع. أكثر من شخص دفع إلي صفحات فيها ما أريد، واشترط عليّ باستعلاء أن أدرجها في الكتاب كما هي من غير زيادة ولا نقصان؛ فكنت أقول إن للكتاب صياغة خاصة، فأنا أعيد تحرير صفحاتك، وأريك ما كتبتُ للموافقة عليها. وأكثر من مدرسة تخوّف مني المشرف عليها قائلاً: لا نريد أن تؤذينا، لا نريد الكشف عن معلوماتنا..

على أنني والحق يقال: اعتدت مثل هذه الصعوبات من قبل حين اشتغلت أنا وصديقي البحاثة الدكتور محمد مطيع الحافظ على مادة كتابنا «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر»[1] ولكن ذلك لا يثني الباحث الجادّ؛ لأن الكتابة والبحث يحتاجان إلى صبر واسع وزمن طويل، وقد أعانني الله على كل ذلك.

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

والحق أنني قرعت أبواباً كثيرة متنوعة سيعرف القارئ الباحث ذلك من خلال الكتاب. ثم إنني وقبل البدء ما كنت أحسب أن البحث سيتوسع إلى هذه الدرجة، ولا أنه سيمتد على هذا الحيّز من المعلومات. ولكن الله شاء ذلك، وأنا فرح به فخور، خدمة لهذه البقعة الأصيلة التي دعا لها النبي عليه الصلاة والسلام بالبركة.. «اللهم بارك في شامنا»[2] ونجد آثار الدعاء المبارك فيها، فرّج الله عنها.

وأريد فوق هذا أن أؤكد أنني لم أرتكز في البحث إلى توجهات قبلية، وغايات مسبقة، أحاول أن أصل إليها. وإنما كان الهدف توصيف حالة تلك المدارس والمعاهد الأهلية توصيفاً حيادياً، أتناول فيه الوضع العام الذي كانت عليه، غير متعاطف مع مدرسة أو أخرى.

أخيراً فشكري إلى كل من أسدى إليّ معلومة، أو دعمني بنصيحة أو وافاني برأي.. وأخص بفائق امتناني الأستاذ الدكتور مازن المبارك، وقد قرأ الكتاب بعناية قراءة شاهد على عصر التعليم في دمشق.. وقد صحح فيه معلومات هامة وأضاف أخرى مثلها مما زاد في توثيق الكتاب.. وشرفتُ بذلك، وكان ذلك إجازة منه لي.

وأذكر بالعرفان أخي البحّاثة المحقق الأستاذ إياد الطباع على اقتراحه اللطيف في عنوان الكتاب، وكذلك مؤرخ دمشق الأخ الدكتور محمد شريف الصواف، بما بذل لي من معلومات قيّمة. والدكتور عمر نشوقاتي الذي زودني بكثير من الوثائق عن يد سخية..

---

(١) طبع في دار الفكر الطبعة الأولى في ثلاثة أجزاء عام ١٩٦٨. ثم عدّل الكتاب فجعل في جزأين كبيرين، وطبع عام ٢٠١٥م.

(٢) رواه البخاري.

وقد هيأ لي الأستاذ إلياس بولاد معلومات قيمة، فيما يتصل بمدارس النصارى متطوعاً في ذلك باذلاً جهده في جلسات طويلة.

أسأل الله العلي القدير أن أكون وفقت لإلقاء ضوء كاشف على موضوع الكتاب.. إنه أكرم مسؤول.

ولئن كنت قصرت فلقلّة المصادر والمراجع أحياناً، أو ندرتها أحياناً أخرى، ولضياع كثير من الأخبار المطلوبة بموت أصحابها.. ولما جبلت عليه ـ أخيراً ـ أنا من ضعف وعجز.

إن تجد عيباً فسدّ الخللا ... جلّ من لا عيب فيه وعلا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق

مطلع العام الهجري ١٤٣٨هـ

غرة تشرين الأول ٢٠١٦

**كتبه نزار أباظة**

# مدخل
# ما قبل المدرسة
# (الكتاتيب)[1]

من الضروري حين نتحدث عن التعليم في أي بلد إسلامي ألا نغمض أعيننا عن البحث في الكتاتيب التي كانت مرحلة مفروضة لزمن معين. حين لم يكن حي سكني في مدينة يخلو من كتّاب في طرف مسجد، أو غرفة تابعة له[2] فضلاً عن القرى الكبيرة.

ولقد فرق الشيخ علي الطنطاوي[3] بين نوعين من الكتاتيب، فقال: كانت المدارس الأهلية درجات؛ أدناها الخجة، وهي امرأة تعلّم في بيتها، يأتيها الأطفال، فيحفظون عليها قصار السور، أو تلقنهم حروف الهجاء، وتكون غالباً أميّة أو شبه أميّة، شمّت رائحة العلم، ومشت في طريقه خطوة واحدة[4].

وربما وجدت الخجة على شيء من المعرفة والإدراك، وذلك قليل؛ فقد كان في الصالحية بدمشق خجة عندها شبه مدرسة أولية، فيها أكثر من مئة وعشرين تلميذاً، مقسومين إلى ثلاث شعب، يقعدون على مثل مقاعد الدراسة، ويدرسون مثل ما يدرسه التلاميذ في المدرسة[5].

وأرقى من الخجة الكتّاب، ولم تكن الكتاتيب كلها على مستوى واحد، ولكن معظمها

---

(١) الكتّاب اسم مكان على غير القياس، والقياس مكتب، ومنه سمي مكتب عنبر الثانوية الأولى بدمشق. وكان المكتب يعُرف الناس بدمشق هو المدرسة الحكومية . والمدرسة هي الأهلية. (أوراق ومذكرات فخري البارودي ١/ ٣٩).

(٢) الدعاة ١١٣، قاموس الصناعات الشامية ٤٠٧.

(٣) مرت ترجمته في المقدمة.

(٤) ذكريات ٥/ ٢٥٦.

(٥) السابق.

على نهج واحد في تعليم القرآن ومبادئ الكتابة[1].

وصف الدكتور خالد قوطرش[2] الكتاتيب فقال: مدارس قرآنية، تقوم عليها امرأة تسمى الخوجة أو رجل يدعى الشيخ، يتعلم فيها التلاميذ القرآن الكريم وحده إن كان المعلم امرأة، فإن كان رجلاً تعلموا بالإضافة إلى ذلك الحساب والخط[3].

وتستعمل في تعليم الخط أقلام القصب، تقطع بالسكين، والشيخ هو الذي يبريها لتلاميذه كل صباح، ويكون الحبر الأسود والورق الأبيض تحت تصرفهم وهم دون سن السادسة[4].

والذين وصفوا الكتاب اتفقوا على أنه قاعة كبيرة أشبه بالسجن، ملحقة بمسجد الحي، وهي قاعة غالباً ما تكون رطبة، سيئة الإنارة، لا يدخلها نور ولا هواء، والأولاد محشورون فيها حشراً، يجلسون على جلود الخراف أو الماعز[5].

أما الشيخ فيجلس عادة فوق مصطبة، على وسادة، ممسكاً بيده عصا طويلة (مسطيجة كما يقول الدمشقيون) من الخيزران، لَدِنة، فإذا تحرك ولد في آخر القاعة أو ضحك أو تحدث إلى زميله كان الشيخ يتناوله بهذه المسطيجة من محله، فمرّة تقع على قلنسوته وحيناً على كتفه أو صدره، فيقلع الولد عما كان فيه[6].

وإذا أتى الأطفال في الصباح على الموعد جلسوا أمام الشيخ، وقرؤوا بعض آيات من القرآن الكريم، فإذا انتهى أحدهم من حصته انسحب إلى زاوية في القاعة ليجلس وحيداً يراجع ما يطلب إليه، يقرأ بصوت خفيض أو عالٍ، وهو يهزّ ويهبط برأسه حيناً، وحيناً يميل يميناً أو شمالاً[7].

---

(١) السابق ٥/ ٢٥٧.

(٢) انظر ترجمته في المقدمة.

(٣) التعليم في سورية ٢٩.

(٤) السابق.

(٥) دمشق في ماضيها القريب ٥٣٠، التعليم في سورية: السابق، أوراق ومذكرات فخري البارودي ١/ ٢٩.

(٦) دمشق في ماضيها: السابق.

(٧) التعليم في سورية: السابق.

وذكر محمد سعيد القاسمي[1] أن أطفال الكتاتيب يتعلمون فيه حروف الهجاء مفردها ومركبها والكتابة، وطرفاً من الحساب[2].

وتعليم الكتّاب سطحي غالباً، نقل إلينا صورته الكبار الذين عايشوا تلك الحقبة أو آخرها فقالوا: إنه تعليم نظري، يردد فيه الأولاد وراء الشيخ تلك الحروف ترديداً، كأن يقول: ألف لا شن عليها (أي لا شيء فوقها) بِ وحدة من تحتا (أي تحتها نقطة)، تِ تنين من فوأا، ثِ تلاتة من فوأا.. وهكذا.

أما معلّم الكتّاب فوصلت صورته إلينا على نحو ساخر فكه، فقيل فيه: «كثيراً ما كان الأولاد يقرؤون ما يقرؤون، والشيخ لاه، يأكل (التسقية) في الصباح.. وينتظر آخر الأسبوع ليحصل على أجره في التعليم»[3].

ووصف فخري البارودي[4] الست نفّوس خجة الكتّاب الذي تعلم فيه القرآن الكريم في حي القنوات، فقال:

أمـا الـخـجـا فـكـبـيـرة وكـسـيـحـة ... وكـهـيـنـة شـر مـن الآفـاتِ
وجـه قـبـيـح مـا رأيـت نـظـيـره ... بـيـن الـعـجـائـز فـي جـمـيـع حـيـاتي
ودرسـت عـامـاً عـنـدهـا بـتـمـامـه ... حـتـى خـتـمـت وكُـرّرت خـتـمـاتي[5]

(١) محمد سعيد القاسمي: أديب متفنن من علماء دمشق كان عارفاً بالمهن، وله مؤلفات من أشهرها قاموس الصناعات الشامية بالاشتراك. توفي بدمشق ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م. (الأعلام ٦/ ١٤١).

(٢) قاموس الصناعات ٢/ ٤٠٧.

(٣) دمشق في ماضيها القريب ٥٣٠، والتسقية فتة الحمص الدمشقية الشهيرة.

(٤) فخري البارودي: زعيم وطني مجاهد، ولد بدمشق عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، قاتل مع العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، وانخرط أيام الانتداب الفرنسي على سورية في المقاومة الوطنية بسلاحه وقلمه، فاعتقل مراراً. ثم انتسب إلى حزب الكتلة الوطنية، وانتخب نائباً عن دمشق على مدى عشرين عاماً حتى اعتزل السياسة بعد الجلاء لينصرف إلى الفن، فجمع مكتبة موسيقية هامة آلت فيما بعد إلى مجمع اللغة العربية. له مؤلفات وشعر. وهو الذي اكتشف موهبة الفنان صباح فخري المنسوب إليه. ساهم بتأسيس المعهد الموسيقي العالي، وعمل على إبراز قيمة الموشحات، ورقص السماح. توفي بدمشق عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م (انظر أوراق ومذكرات فخري البارودي، المقدمة، موسوعة السياسة ٤/ ٤٧٦، أعلام الأدب والفن ١/ ٢٨٢، معالم وأعلام ١/ ١٠١).

(٥) أوراق ومذكرات فخري البارودي ١/ ٢٩.

ولعل طه حسين أكثر من أفاض في مصر بالحديث عن الكتّاب الذي تعلّم فيه، وعن شيخه الكفيف أو شبه الكفيف في مذكراته بكتابه «الأيام»[1].

ويبدو أن معلمي الكتاتيب لم يكونوا كلهم بهذا المستوى المزري، فالبارودي نفسه يقول إن أباه نقله من كتاب الخجة نفوّس إلى كتّاب في دوما كان شيخه حسن الخُلُق والخط، فعلمه في مدة قصيرة مبادئ الحساب والخط والقراءة[2].

وها هو ذا جمال الدين القاسمي يمتدح معلّم الكتّاب الذي تعلم فيه في الشاذبكية بحي القنوات، وبقيت علاقته به بعدما تخرج به، فيقول له: «أنت معلمي القديم، قرأت كتاب الله عليه»[3].

ويذكر الدكتور قوطرش أن المدة التي يتعلم فيها الصبي القرآن تستغرق سنة أو أكثر.. ويرى أنه يقرؤه دون فهم، يردده كالببغاء؛ لأن الشيخ لم يكن يشرح النص[4].

أما أجر معلم الكتاب الذي يتقاضاه فكان يختلف بين أولاد الفقراء وأولاد الأغنياء، ولم يكن كما يبدو محدداً بحدود معينة، ويختلف دخل الكتاتيب بحسب مستوياتها بالطبع، فالذي عليه الإقبال لا يقارن بمن يضم قليلاً من الأطفال.

وأشار إلى مثل هذا الشيخ محمد سعيد القاسمي فقال: «وشيخ الكتاب الكثير الأولاد أصبح اليوم مرفهاً لوفور المورد، فقد يوجد في بعض الكتاتيب ما يقرب من مئتي صبي، وهكذا على النمط معلمة الأطفال»[5]. وذكر القاسمي أجور الكتاتيب، فقال: «والعادة لمشايخ الكتاب في دمشق أن يأخذوا من الأولاد إما خميسية يتقاضونها يوم الخميس،

---

(١) انظر مطالع الجزء الأول منه.

(٢) أوراق ومذكرات فخري البارودي، السابق.

(٣) جمال الدين القاسمي لظافر القاسمي ٢٤. وهو أحد علماء النهضة بدمشق في العصر الحديث، دعا إلى التنوير، وتعرض من أجل ذلك إلى محنة طويلة، وله مؤلفات أشهرها «محاسن التأويل» في تفسير القرآن ١٧ مجلداً، وانظر كتاب «جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام» لنزار أباظة. ط دمشق، دار القلم، ١٤٢٨هـ/١٩٩٧م.

(٤) التعليم في سورية ٣٢.

(٥) قاموس الصناعات ٤٠٧.

من خمس وعشرين بارة إلى قرش عن كل ولد. ومنهم من يأخذ مشاهرة، من ستة قروش فصاعداً»[1].

ولهم مرتبات إذا أتم الصبي السور إلى سورة ﴿سَبِّحِ﴾ [الأعلى: ٧٨/ ١]، وعند ختمه جزء ﴿عَمَّ﴾ وكذا إذا وصل إلى سورة ﴿يسٓ﴾، وعند النصف، وفي الختام.. وهذه المرتبات تسمى (حلواناً) يُكرمُ بها الشيخ ومن في معيته من عريف كبير أو مُعيْن. وعند الختام يعطى من الإكرام، إما ما شُرط أولاً، وإما ما تسمح به نفس ولي الصبي»[2].

ويبدو من هذا النص أن الولد يبدأ تعلّم القرآن من آخره ثم يعود بالتدريج حتى يصل إلى أوله. فهل يعود بالمراجعة والتثبت بعدئذ من سورة الفاتحة فالبقرة حتى سورة الناس؟

وذكر الدكتور قوطرش أن على كل ولد أن يُحضر كل يوم لشيخه قطعة حطب في الشتاء، وبيضة في الصيف، وهذا بالطبع غير الخميسية[3].

وينال المعلم إكراماً خاصاً يوم الاحتفال بختم الصبي للقرآن الكريم قراءة أو حفظاً؛ إذ يقوم آنذاك احتفال خاص في دار أهله، يحضره رفاقه كلهم، يلبسون أحسن الثياب، ويصطف الأولاد مثنى مثنى وهو بينهم وأمامه المجري (رجل ينشد وهم يرددون وراءه) لابساً ثوباً أحمر ويحمل بيده مجمرة بخور ويطوفون جميعاً بالأسواق ينشدون الأهازيج التي تعلموها. ويرتدي الولد المحتفى به أجمل ثيابه، وعلى رأسه طربوش[4] مزيّن ويطلب إليه أن يقرأ آيات من القرآن الكريم.. وتوزع على الأولاد الحلويات، وقد يعطون نقوداً[5].

وقد وصف طه حسين اليوم الذي أنهى فيه حفظ القرآن، وما حدث فيه من بهجة في بيته، وذكر الإكرام الذي حظي به الشيخ من أبيه وأمه[6].

---

(١) السابق، في حين ذكر الدكتور قوطرش أن الخميسية تبلغ خمسة قروش وهذا بالطبع لفارق الزمان، أو لفارق المكان.

(٢) السابق.

(٣) التعليم في سورية ٣١.

(٤) لم يكن أحد من الرجال يخرج إلى الطريق حاسر الرأس، وكبار الطلاب في المدارس يعتمرون الطرابيش. وكان من المعيب الفاضح أن يظهر أحد دون غطاء رأس أما الصغار فتكون على رؤوسهم قلانس.

(٥) أوراق ومذكرات فخري البارودي ١/ ٣٠. وقاموس الصناعات الشامية، مادة مجري ص٤١٧

(٦) الأيام، الجزء الأول، الفصل الأول.

والذين تحدثوا عن الكتاتيب أبرزوا فيها على نحو مسيس جانب الشدة والعقوبة الأليمة على الأولاد المساكين. عقوبة تنزل بلا رحمة لأقل هفوة، وكان الشائع عقوبة الفلق؛ أداتها قطعة خشب صلبة مربوط طرفاها بحبل متين خشن، يطرح التلميذ المعاقب على الأرض، ظهره إليها، وتوضع قدماه بين الحبل والخشبة التي تدار، فيلتف حبلها ضاغطاً حول قدميه، وعندئذ لا يقدر الولد على الحركة، ويتولى طفلان كبيران قويان هذه المهمة، ويضرب الشيخ أسفل القدمين بشدة، لا يرحم صياح المسكين[1].

وعندما يقترف أحد الأطفال خطيئة ولو تافهة، يطلب إليه أن يبلل رجليه بالماء البارد ربع ساعة قبل العقوبة.. ثم توضعان في الفلقة، ثم يضرب بشدّة عشرين عصا أو ثلاثين..

فكيف كان شعور الصغار آنئذ؟ وكيف ينشأ جيل يبدأ عمره مع العصا؟

ولقد سجل أحمد شوقي[2] شاعر العربية صورة رائعة للكتّاب ذكر فيها العصا:

ألا حبّذا صحبة المكتب ... وأحبب بأيامه أحببِ
ويا حبّذا صبية يمرحون ... عنان الحياة عليهم صبي[3]
كأنهم بسمات الحياة ... وأنفاس ريحانها الطيب
يراح ويغدى بهم كالقطيع ... على مشرق الشمس والمغرب
إلى مرتع ألِفوا غيره ... وراع غريب العصا أجنبي
وتلك الأواعي بأيمانهم ... حقائب فيها الغد المختبي[4]

أجل هذه هي الصورة التي نقلها من تحدثوا عن الكتّاب؛ نالوا فيها من الكتاتيب وشيوخها وأشاروا إلى السلبيات فيها إشارة منفرة ساخرة، ولم ينظر هؤلاء إلى الجوانب الأخرى.

---

(١) التعليم في سورية ٣٠.

(٢) أحمد شوقي أمير شعراء عصره، (١٨٦٨ ـ ١٩٣٢م) ولد وتوفي بالقاهرة، أرسله خديوي مصر إلى فرنسا فتابع دراسة الحقوق في مونبيليه، وأجبر على مغادرة بلاده عند قيام الحرب العالمية الأولى، فاختار إسبانيا، وعاد فكان من أعضاء مجلس الشيوخ (الأعلام ١/ ١٣٦).

(٣) صبي: مرخى.

(٤) الشوقيات.

فإذا كان عميد الأدب العربي طه حسين قد عاب الكتّاب وقدّمه بصورة ساخرة.. ثم عاب من بعده حلقات الأزهر وصورها تصويراً منفراً فهل نسي أنهما هيئاه هو وأمثاله من نوابغ مصر ليتبوَّؤوا مكاناً في العلم والمعرفة والثقافة؟

تخرج في الكتّاب الشيخ جمال الدين القاسمي أحد كبار العلماء لعصره وهو أحد المجددين، وكان كلما لقي معلم الكتّاب الذي قرأ عليه في طفولته وامتد به العمر يبجله ويعظمه ويقول: أنت معلمي القديم الذي قرأت كتاب الله عليه[1]، وبه تخرَّج محمد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي، وتخرج به كذلك أحد كبار مقرئي دمشق الشيخ أبو الحسن محيي الدين الكردي وكان شيخ كتابه المقرئ المشهور عز الدين العرقسوسي القارئ المعروف لزمنه. وهو الذي اكتشفه ورعاه حتى صار من بعده شيخ القراء بدمشق وعليه قرأ آلاف من الحفظة.

وفي سيرة شيخ القدم الشيخ عبد القادر بركة الذي ملأ بلده وما حولها علماً وتقى وصلاحاً إنما هو صنيعة الكتاب في بداياته؛ جاء إلى بلدة القدم الشيخ الجليل محمود العطار من أفراد الشام، وقال لشيخ الكُتَّاب في القدم: ادفع لي بعض التلاميذ النابهين من عندك فدفع إليه عدداً من الأطفال المتفوقين، ومنهم عبد القادر بركة، فخرّجهم فكانوا علماء عاملين نفعوا وانتفعوا[2]، هذا والإنصاف والبحث الأكاديمي يدعوان إلى الكتابة بحيادية، ما للموضوع وما عليه.

ويمكن القول: إنّ الطريقة التعليمية التي كان عليها الأوائل إنما بدأت من الكتاتيب، فالولد من قبلُ يبدأ فيحفظ المتون وعلى رأسها القرآن ثم متون النحو والفقه والعقيدة والتجويد[3] وغيرها من أساسيات العلوم عن ظهر قلب ولو لم يفهمها[4] فإذا أتمّ ذلك

(١) جمال الدين القاسمي ص٢١٦.

(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ترجمة الشيخ المذكور.

(٣) من المتون: الآجرومية والألفية في النحو والجوهرة في التوحيد، والجزرية في التجويد، والبيقونية في مصطلح الحديث، والرحبية في الفرائض، والسُّلم في المنطق، والجوهر المكنون في البلاغة وقد شاع قولهم «من حفظ المتون حاز الفنون»

(٤) وهذا ما أشار إليه طه حسين في كتابه الأيام حين حفظ ألفية ابن مالك دون أن يدري معانيها. ثم كان منه ذلك العالم الأديب البحاثة الذي شغل مصر زمناً ليس بالقصير.

قرأ عند شيخه شرح هذه المتون، فإذا استكمل الشرح قرأ الحواشي ثم أخذ في قراءة المطولات، فالتعليقات.. وهكذا حتى يتخرج عالماً.. وعلى مستويات بين الأفراد.

الكتاتيب بدأت من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] وخرَّجت أجيالاً فتحوا الدنيا بعلومهم.. فلما تأخرنا في السياسة والمجتمع تأخرت مؤسساتنا التعليمية.

فأين من هذه الكتاتيب روضات المدارس التي بدأت بدمشق في خمسينات القرن العشرين ثم انتشرت على نحو واسع؟!

ولكن هل استثمرت تلك الروضات قدرة الأطفال الصغار على الحفظ وتعلّم اللغات بسرعة.. أم إنها قامت على قصائد وألعاب شتى لتمضية الوقت؟ النتائج هي التي تحكم.

الموضوع ينتظر باحثي التربية ليقدموا دراساتهم العلمية.

(١) انظر تاريخ القرآن للأبياري.

# الباب الأول

# المدارس الابتدائية

# طلائع المدارس

تمهيد

- المدرسة السفرجلانية (أم المدارس الابتدائية الأهلية)
- المدرسة العادلية الصغرى
- المدرسة الريحانية
- مدرسة الإسعاف الخيري
- المدرسة الأمينية
- المدرسة السعيدية العلمية
- مدرسة التهذيب الإسلامي
- مدرسة وقاية الأبناء
- مدرسة سعادة الأبناء
- مدرسة روضة الحياء
- مدرسة التربية الاستقلالية
- المدرسة الهاشمية
- مدارس غير مشهورة

خلاصة ونتائج

# تمهيد

أشرنا في المقدمة إلى أن الأمية كانت منتشرة بدمشق، وأن المتعلمين كانوا قلة قليلة وكان الشائع تعليم الكتاتيب.. وإذا ارتقى بعض الأفراد فبعناية أسرهم العلمية المعروفة بدمشق، ممن يتعلم أبناؤهم في حلقات المساجد، يتعهدهم علماء البلدة ليتخرجوا بهم.

ثم تنبه مشايخ دمشق إلى ضرورة إنشاء مدارس ابتدائية، يحاربون بها الجهل المنتشر، فسعوا إلى إنشائها منذ بدايات القرن الرابع عشر الهجري، نهايات القرن التاسع عشر الميلادي.

نتناول في هذا الباب أوائل المدارس الابتدائية التي سبق إلى تأسيسها في دمشق أفراد، نجحوا في تعليم الصغار مبادئ العلوم العربية والإسلامية، وسدوا ثغرة مهمة من حاجة الوطن، في حين كانت المدارس الرسمية (الأميرية) قليلة، وكان إلى جانبها مدارس نصرانية، تقوم بحاجة طوائفها[1].

وسوف نبين في بحثنا هذا حال تلك المدارس؛ من أسسوها ومن قاموا بها من مدرسين، ونذكر مناهجها وشيئاً عن أوضاع الطلاب فيها، والنتائج التي قدمتها.

---

(١) التعليم في سورية ٢٤.

# المدرسة السفرجلانية[1]
# (أمُّ المدارس الابتدائية الأهلية)

أنشأها الشيخ عيد السفرجلاني، ولم يكن قبلها يوم افتتحها إلا مدرسة واحدة هي مدرسة الصوفي، والمدرسة التي يعلم فيها الشيخ محمد المبارك[2]. ولعل مؤسسها الشيخ عيد كان أول من أسس بدمشق مدرسة خاصة نظامية ذات مناهج علمية حديثة، وأقام فيها فيما بعد مكتبة ومخبراً أولياً.

ويعدُّ إنشاؤها في الوقت المبكر تجربة فريدة، ونقلة نوعية من مرحلة الكتاتيب إلى مرحلة المدارس النظامية.

كان الشيخ عيد قيمَ مكتبة في المدرسة السليمانية[3] ففتح بها مدرسته سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م ومع تواضعها وبساطتها كانت نقلة مهمة عن الكتاتيب المعروفة. وكانت لما افتتحها الشيخ عيد شيئاً جديداً مفرداً[4].

وبعد ثماني سنوات نقلها إلى جامع سنان آغا في منطقة المناخلية، عند باب الفرج، وشارك فيها الشيخ أحمد دهمان الذي انفصل عنه وشيكاً[5]. وبعد ثلاث سنوات من استقراره فيها تبرع للمدرسة شخص من آل القوتلي بمخزن واسع قرب باب الحديد بالمناخلية أيضاً، فانتقلت إليه.. واستمر فيه آنذاك تسع عشرة سنة[6].

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على نشرة «البيان السنوي للمدرسة الجوهرية السفرجلانية» دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٩م، وكتاب «أعلام من آل السفرجلاني» منذ القرن الحادي عشر حتى الخامس الهجري، وذكريات علي الطنطاوي في عدة مواضع منها. وتاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ١/ ٥٢٠ وما بعد.

(٢) ذكريات ٥/ ٢٥٧، ٧/ ١٧٤.

(٣) أنشأها السلطان سليمان بن سليم عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م (مختصر تنبيه الطالب ٢٣٩). وهي المسجد المعروف بالتكية السليمانية ويلحق به غرف ولها أوقاف.

(٤) ذكريات ٧/ ١٧٤.

(٥) تاريخ علماء دمشق ١/ ٤٥١.

(٦) المرجع السابق.

بعد ذلك انتقلت المدرسة إلى بناء المدرسة الجقمقية[1] في الكلاسة شمال الجامع الأموي، وبها اشتهر اسم مدرسته فاستمر بها إحدى وعشرين سنة وإذ ذاك حصل مؤسسها على رخصة رسمية من الحكومة، ثم انتقلت بعدئذ عام ١٢٣٨هـ/ ١٩١٩م إلى المدرسة الجوهرية[2] شمال «زقاق المحكمة» عند منفذه إلى ساحة الحريقة، غرب المدرسة النورية، فقام الشيخ عيد بتوسيع بناء هذه المدرسة، وطورها إلى مدرسة عصرية، وسماها عندئذ «المدرسة الجوهرية السفرجلانية» لتضم حينذاك نحو (٢٥٠) تلميذاً.[3]

وحينما استقرت مدرسة الشيخ عيد في بناء المدرسة الجوهرية أصدر نشرته مطبوعة تتضمن النظام الداخلي[4] والحصص الدرسية.

وجاء في شروط الانتساب ما يأتي:

١- يحضر مع التلميذ ولي أمره، فيقدم طلباً لدخول المدرسة.

٢- يقدم ورقة النفوس (القيد المدني).

٣- يحضر شهادة حسن أخلاق وسيرة.

٤- يصطحب شهادة طبية في حسن صحته وخلوه من الأمراض السارية.

٥- شهادة تلقيح من الجدري.

---

(١) الجقمقية بناها سنجر الهلالي ثم جددها الملك الناصر سنة ٧٦١هـ، ولما احترقت أعاد بناءها الأمير سيف الدين جقمق، فنسبت إليه وهي من أجمل الآثار المملوكية، جددتها وزارة الأوقاف بإرشاد إدارة الآثار، فرجعت كيوم فرغ من بنائها (ذكريات ٢/ ١٢٨ و ٧/ ١٧١). وجقمق أمير مستعرب كان محباً للقرآن، ولي نيابة دمشق من قبل الملك المؤيد سنة ٨٢٢هـ وإليه ينسب سوق الجقمقية، فلما مات الملك المؤيد استقل بدمشق، وأظهر العصيان، فأمسكه ططر في القلعة وقتله (الأعلام ٢/ ١٣١).

(٢) المدرسة الجوهرية أنشأها نجم الدين عياش التميمي سنة ٦٨٠هـ (مختصر تنبيه الطالب ٨٤). كان الجوهري يخدم الملوك والأمراء في عصر الأيوبيين والمماليك، توفي سنة ٦٩٤هـ ودفن بالمدرسة. وقد هدمت هذه المدرسة هي والمدرسة الريحانية (انظر الحديث عن الريحانية فيما بعد) وأقيمت على حطامهما عمارات تجارية، ولم تجد من يحميها (خطط دمشق ١٨٢)

(٣) وهو عدد غير قليل آنذاك، مع وجود مدارس أخرى وعزوف بعض من الأهالي عن إرسال أولادهم إلى التعليم.

(٤) في ٣٦ صفحة من القطع الصغير، وقد أشرنا إليها في حاشية سابقة.

٦- التزام التلميذ بأنظمة المدرسة.

وحددت المدرسة القسط السنوي الذي ألزمت التلميذ دفعه سلفاً على النحو الآتي:

تلميذ الصف التمهيدي ١٥ مجيدياً

تلميذ الصف الأول ١٨ مجيدياً

تلميذ الصف الثاني ٢٤ مجيدياً

تلميذ الصف الثالث ٣٦ مجيدياً

تلميذ الصف الرابع ٤٨ مجيدياً

تلميذ الصف الخامس ٦٠ مجيدياً

تلميذ الصف الأول التجهيزي ٧٢ مجيدياً[١]

ووضع النظام الداخلي رسوماً للحصول على الشهادة الرسمية وتصديق الوثائق والامتحانات والجلاء المدرسي.

والمدرسة السفرجلانية أقسام :

*** القسم التمهيدي: (روضة الأطفال) صف واحد**

صف تربية، ومكتب حياة وحركة، يقبل فيه الصغار في أعمار الخامسة والسادسة، يتمرنون على تقوية بنيتهم وأذهانهم وتعويدهم قراءة الحروف وكتابتها والأرقام وتلقينهم الحكايات التي تحرك عاطفة الدين والفضيلة والشعور الأسري.

*** القسم الابتدائي: خمسة صفوف، ومواده:**

- العلوم الدينية[٢]: القرآن الكريم، التجويد، مبادئ التفسير، التوحيد، الفقه.

---

(١) ويمكن دفع القسط على أربع دفعات، أي كل ثلاثة أشهر. ولكن المدرسة كانت تشدد على الدفع المسبق، فلا يدخل التلميذ صفه إلا بعد تأدية ما عليه.

وأقول: كانت المرحلة الابتدائية خمس سنوات، والسنة السادسة هي الصف الأول في مرحلة التجهيز كما كانت تسمى المرحلتان الإعدادية والثانوية.

(٢) جاء في النشرة: يعتنى بهذه العلوم اعتناء خاصاً لأنه هو الأساس والغاية من تأسيس المدرسة السفرجلانية.

- العلوم العربية: القراءة، الإملاء، النحو والصرف، الإنشاء، المحفوظات، الخطابة، البلاغة.

- العلوم الرياضية: الحساب، مبادئ الجبر والمقابلة، الهندسة، الرسم، علم التخطيط (الطبوغرافيا).

- التاريخ: تاريخ الأنبياء، تاريخ الأمة العربية وظهور الدين الإسلامي والسيرة النبوية، تاريخ الراشدين والأمويين والعباسيين والأندلس، والتاريخ العام.

- الجغرافيا: الجغرافيا الطبيعية، والسياسية، معلومات عن القارات الخمس، جغرافية البلاد السورية (تفصيلاً).

- المعلومات المدنية والأخلاقية: الوظائف الدينية وواجبات العبودية للحق سبحانه وتعالى، الواجبات العائلية، الواجبات الوطنية، الواجبات المدنية.

- العلوم الطبيعية: دروس الأشياء، علم التاريخ الطبيعي أو المواليد الثلاثة، علم الحيوان، علم النبات، علم طبقات الأرض والمعادن (مع الاعتناء بصخور البلاد السورية ومحصولاتها ومعادنها).

- الزراعة: الحقول والجنائن، الأدوات الزراعية وفوائدها، السماد الطبيعي والاصطناعي، أنواع الأراضي وإصلاحها، غرس الأشجار وطرقه، والأحراج وأهميتها الاقتصادية والحيوية، تربية الحيوانات الداجنة، وشروط تربية كل جنس منها، الخيول العربية وتكثيرها.

- حسن الخط: يدرس الخط بأنواعه وأشكاله القديمة والحديثة.

- الموسيقى: تعويد التلاميذ على تلحين وترتيل القطع الدينية والأناشيد الوطنية، لإثارة رغبتهم الدينية وتحريك عواطفهم الوطنية.

- الرياضة البدنية: يتبع في تدريسها الطريقة السويدية.

* **القسم التجهيزي**[1]:

- تقرر فيه مناهج التعليم الثانوي في دولة سورية الذي وضع سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م[2].

- يضاف إليه الدروس الدينية على نحو تفصيلي.. وقد تقرر في الصف الأول والثاني مباحث الصوم ومتعلقاته، الحج وأحكامه وما يتصل به، والزكاة وتفصيلاتها.

* **اللغة الفرنسية:**

- ويبدأ تعليمها منذ الصف الثاني، وتزاد ساعاتها كلما تقدم التلميذ في الدراسة.

(١) في النشرة الصادرة سنة ١٩٢٩م لم يكن في المدرسة سوى الصف الأول الثانوي مستحدثاً.

(٢) وهي السنة التي أحدث فيها نظام البكالوريا في ظلّ الانتداب الفرنسي. وأشارت النشرة إلى أنه في تاريخ صدورها لم يفتتح إلا الصف الأول من قسم التجهيز(الثانوي)

## توزيع الحصص الدراسية على الأسبوع

| العلوم والفنون | الصف السادس | الصف الخامس | الصف الرابع | الصف الثالث | الصف الثاني | الصف الأول |
|---|---|---|---|---|---|---|
| القرآن الكريم | ٢ | ٣ | ٣ | ٦ | ١٢ | ١٢ |
| علم التجويد | ٠ | ١ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ |
| علم التفسير الشريف | ٢ | ١ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ |
| علم الفقه الشريف | ٢ | ٢ | ٢ | ٣ | ١ | ١ |
| علم التوحيد الإسلامي | ٢ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ٠ |
| المعلومات المدنية والأخلاقية | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ٠ |
| القراءة العربية | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٣ | ٦ |
| الصرف والنحو والبلاغة | ٣ | ٢ | ٢ | ٢ | ٠ | ٠ |
| الإنشاء العربي والمحادثة | ٢ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ٠ |
| الإملاء العربي | ١ | ٢ | ٣ | ٣ | ٤ | ٥ |
| المحفوظات العربية والخطابة | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| اللغة الفرنسية | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ٠ |
| الحساب والجبر | ٣ | ٣ | ٣ | ٤ | ٤ | ٤ |
| الهندسة | ٢ | ١ | ١ | ١ | ٠ | ٠ |
| الجغرافيا | ٢ | ٢ | ٢ | ١ | ١ | ٠ |
| التاريخ | ٢ | ٢ | ٢ | ١ | ١ | ١ |
| العلوم الطبيعية | ٢ | ٢ | ١ | ١ | ١ | ٠ |
| الزراعة | ٠ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ |
| الخط | ٠ | ١ | ٣ | ٣ | ٣ | ٤ |
| الموسيقى | ٠ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| الرياضة البدنية | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ |
| **المجموع** | ٣٦ | ٣٦ | ٣٦ | ٣٦ | ٣٦ | ٣٦ |

والتزمت المدرسة بما سمته «المكافأة والمجازاة» لتنشيط المجدين، والخوف من سريان عدوى الخمول إليهم من الكسالى، فجعلت تمنح المتفوقين بطاقات الاستحسان والامتياز، وربما أهدتهم بعض الكتب أو الأدوات القيّمة. في حين جعلت توجه للمقصرين عقوبات «التوبيخ» و«التوقيف» و«الحرمان» و«التكدير العلني» و«الطرد المؤقت» و«الطرد القطعي» ولكل عقوبة من هذه العقوبات إجراءات خاصّة لما بعدها.

وقد حددت النشرة وظائف المدير ومعاونه وناظر الدرس (المشرف)، وواجبات المعلمين وما يطلب منهم وطريقة تعاملهم مع التلاميذ، كما حددت واجبات التلاميذ في تعاملهم مع النظام والدوام والآداب المطلوبة.

تبدأ السنة الدراسية في أول أيام شهر المحرم وتستمر اثني عشر شهراً. ولا تتوقف الدروس على مدى العام إلا في أعياد الفطر والأضحى والمولد النبوي.. وأيام الجمعة. والحصص الدرسية اليومية لتسع ساعات.

كان الشيخ عيد شخصية تربوية، يمكن أن يكون مثالاً للفكر التربوي في العصر الحديث، وقد سبق بذلك زمنه، ترأس أول مدرسة نموذجية بدمشق[1].

كان إلى ذلك رحيم القلب، ينظر للطلاب نظرة مسؤولية، يختلط بهم، يجمعهم في أوقات الاستراحات، ويحكي لهم قصصاً عربية وإسلامية، تثير حماسهم وتوجههم نحو الحق والخير والفلاح[2].

وفي يوم الخميس يجمعهم قبل خروجهم، فيحدثهم عما يجري في البلد من حوادث اجتماعية وسياسية وغيرها بما يناسب أعمارهم؛ فيقول مثلاً: اليوم خَطف أحد المجرمين ولداً واغتصبه، فيصف الحادثة، ثم يعقب عليها، بذكر أسباب اختلاط هذا الولد بالأشقياء السفهاء.. ويقول في مثال آخر: البارحة وقع اعتداء الطليان على ليبيا التي هي جزء من الأمة العربية الإسلامية، ويعقب بالقول: الاستعمار يتربص بنا، ويريد لنا الشر[2].

---

(١) تاريخ علماء دمشق ١/ ٤٥١.

(٢) السابق ١/ ٤٥٢.

كان الشيخ عيد من أساطين النهضة التعليمية بدمشق؛ كان جندياً مجهولاً في معركة الكفر والإيمان والعلم والجهل.. لبث نحو سبعين سنة يعلم الأولاد[1]. تعلم عنده الجد ثم ابنه ثم حفيده ثم ابن حفيده أربعة بطون. ولهذا سماه الشيخ علي الطنطاوي معلم الشام حقيقة لا مجازاً[2].

وصفه تلميذه علي الطنطاوي، فقال: ما كان الشيخ عيد السفرجلاني يعلّم، ولا يلقي دروساً، بل كان يلقي الكلمة فيصيب حبات القلوب؛ كان شيخاً كبيراً يتكوم حول مكتبه الطلاب، يبري لهم أقلام القصب، ويهدي إليهم رسائل عليها خطه، وكان يحسن الخط.. وإذا أراد أن يؤنب أحداً أخذ برأسه فحناه على صدره (صدر الشيخ) ثم أمسك العصا، ثم ضربه على ظهره ضربات لا تؤذي.. وكان إذا شتم قال للمذنب: «يحرق بدنك».. ويضرب لهم الأمثال فيقول: كونوا مستقيمين ولكن استقامة (الحورة) أي شجرة الحور، لا استقامة عمود الكهرباء؛ الحورة تميل قليلاً مع الريح، وتبقى على استقامتها، أما العمود من الخشب، فإنه يعاند حتى ينكسر.. ولطالما حفظت منه أحاديث صحيحة وأحكاماً فقهية، ووعيت نصائح وحكماً، انتفعت بها في حياتي، كل ذلك من هذه الكلمات[3].

وعرف الشيخ عيد بتقواه وورعه وتواضعه وزهده، كان يصوم الأشهر الثلاثة كل عام رجب وشعبان ورمضان، ويعتكف خلالها في الليل متفرغاً للعلم والمطالعة ومراجعة كتبه. وكان قوي الجسم، نشيط الفكر، تجاوز على ذلك الثالثة والتسعين من عمره، حتى وافاه أجله في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.

كان الشيخ عيد واسع الأفق بعيد الهدف يعرف ما يريد، لم يكن مشروعه تجارياً بمقدار ما كان مشروعاً وطنياً إسلامياً، فقد جاء في مقدمة النشرة التعريفية التي أصدرها عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م: «وأخذنا جميعاً على عاتقنا اليوم بإصلاح شؤون المدرسة إصلاحاً

(١) ذكريات ٣/ ٢٢٢، ٥/ ٢٥٧.

(٢) ذكريات ١/ ٧٠.

(٣) ذكريات ١/ ٦٩.

يكفل لها إن شاء الله أن يكون تلميذها مثقف العقل، مهذب النفس، صحيح العقيدة، وطني المرمى، عربي النزعة، قوي الإرادة، عزيز النفس، يتلهب غيرة على دينه، وحمية على أبناء طائفته وأمته، ويعمل على إنهاضها ومنفعتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً». وجاء فيها أيضاً: «هذا وإن المدرسة تسعى إلى بث روح التآلف بين كافة العناصر في روح تلامذتها، وتجتهد أن يكون كل فرد منهم متخلقاً بالأخلاق الإسلامية المحمدية الفاضلة، متمسكاً بالعرى الدينية والوطنية».

وبين الشيخ السبب الذي دعاه لتأسيس مدرسته فقال في النشرة ذاتها: «إن الأمم تتسابق إلى تأسيس المدارس الأهلية التي تضمن لها سلامة وطنية أبنائها، وحسن مبادئهم الموافقة لتربيتهم الطائفية؛ لذا أصبح من الواجب على رجال الأمة الإسلامية أن ينحوا نحو غيرهم ويسارعوا إلى تأسيس ومعاضدة المدارس الأهلية التي تربأ بأبنائهم من تلاعب الدسائس الأجنبية، وتبث في نفوسهم الروح الوطنية ومحبة دولتهم العربية، وترضعهم لبان العلوم العصرية مقرونة بالمبادئ الإسلامية والأخلاق المحمدية ليكونوا رجال الغد».

اعتمدت المدرسة المعلمين الأكفياء الذين افتخرت بهم، وذكرت نشرتُها بعض أسمائهم، ومنهم[1]:

الشيخ محمد عيد السفرجلاني (المؤسس والمدير): للعلوم الدينية والأخلاق

عبد الرحمن السفرجلاني (ناظر المدرسة): لعلوم الرياضيات

الشيخ زكريا البواب (معاون المدير): للقرآن الكريم والتجويد

الشيخ عبد القادر الإسكندراني: للتفسير والتوحيد

الشيخ حسين الشاش: للغة العربية وآدابها

الشيخ عبد الحميد كريِّم: للتاريخ والجغرافيا

مدحت البيطار: للغة الفرنسية والعلوم الطبيعية

---

(١) هؤلاء المعلمون للسنة التي صدرت بها النشرة، وكان قبلهم وبعدهم آخرون. وكان تولى الإدارة حين كانت المدرسة في الجقمقية الشيخ محمود العقاد مع وجود مؤسسها الشيخ محمد عيد السفرجلاني.

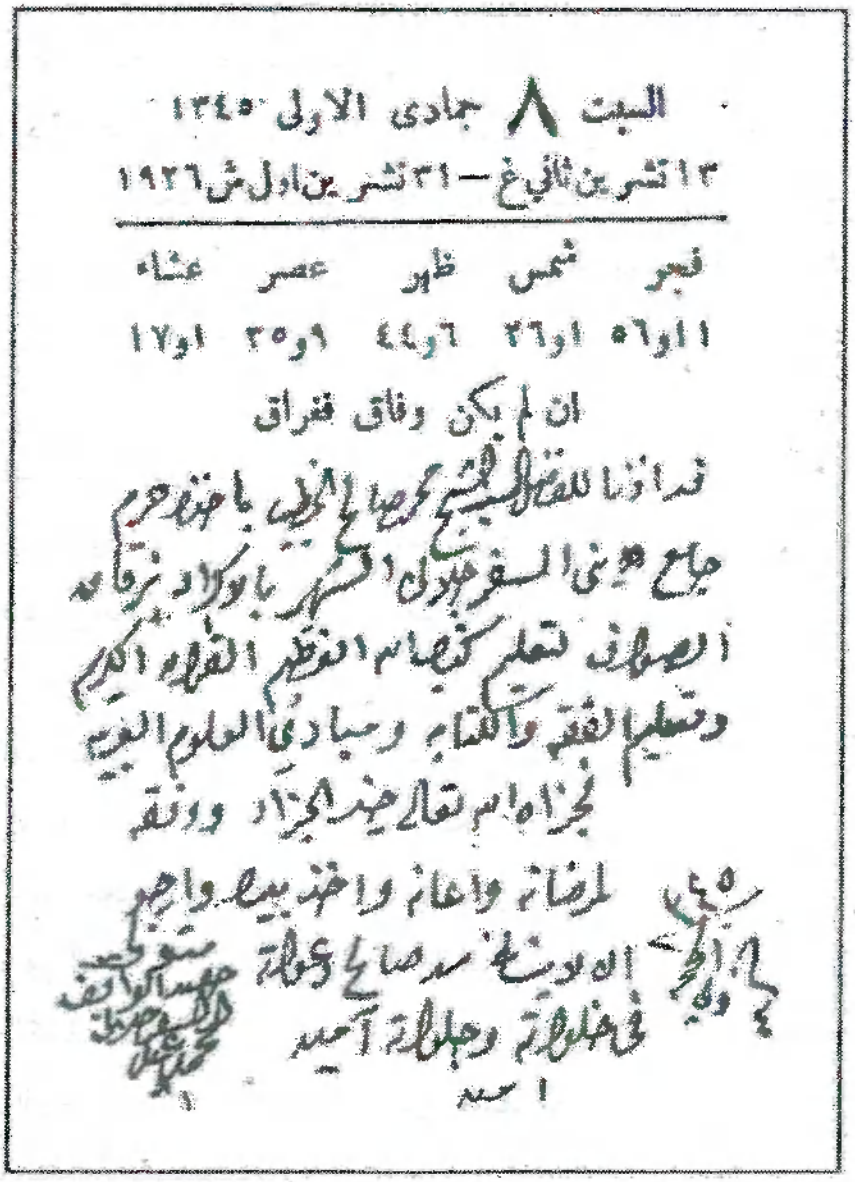

السبت ٨ جمادى الاولى ١٣٤٥

١٣ تشرين ثاني غ — ٣١ تشرين اول ش ١٩٢٦

| فجر | شمس | ظهر | عصر | عشاء |
|---|---|---|---|---|
| ١١و٥٦ | ١و٢٦ | ٦و٤٤ | ٩و٣٥ | ١و١٧ |

ان لم يكن وفاق ففراق

قد اذنا للفاضل السيد الشيخ محمد صالح الخطيب باخذ حرم
جامع هيني السفرجلاني الشهير بالاكراد بزقاق
الصواف لتعليم كتاب الله العظيم القرآن الكريم
وتعليم الفقه والكتابة ومبادئ العلوم العربية
فجزاه الله تعالى خير الجزاء ووفقه
لمرضاته واعانه واخذ بيده واجب
ان لا ينساني من صالح دعواته
في خلواته وجلواته آمين

صورة خط محمد عيد السفرجلاني

عبد الهادي هاشم: للغة الفرنسية

عزة النص: للتاريخ والجغرافيا والحساب

عزة الشاش: للغة العربية

الشيخ أمين الذهبي: للصف التمهيدي

استمرت المدرسة منذ تأسيسها أكثر من خمس وستين سنة تخرج فيها ثلاثة أجيال، الأجداد، والأبناء والحفدة[1]، أعداد لا يحصون، ذكر الشيخ عيد أنّ عددهم بلغ ٣٥ ألف تلميذ حتى عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٣٩م غير الذين جاؤوا من بعدهم، وقد ذكرت النشرة أسماء من اشتهروا من خريجيها فيما بعد، ومنهم[2]:

| | |
|---|---|
| أمين سويد | أمين القلعي |
| إسماعيل عزي الموصلي | أمين آغا خير |
| أحمد العمري | أحمد مردم بك |
| أحمد فهمي العطار | أمين الطباع |
| أحمد عمر العطار | أبو الفرج الموقع |
| أبو الخير الميداني | أبو الفرج الشاش |
| إبراهيم الغلاييني | أبو الخير الدالاتي |
| إسماعيل الجعفري | أنور البكري |
| أديب تقي الدين | أبو الخير الكزبري |
| أمين الكحالة | أبو الخير الذهبي |
| أديب الجعفري | أديب السفرجلاني |

(١) مر ما ذكره الشيخ علي الطنطاوي أنّ المدرسة علمت أبناء الحفدة أيضاً.

(٢) غالب هؤلاء الأعلام تجد تراجمهم في (تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، وعلماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري). ويبدو أن النشرة ذكرت الأعلام منهم، وقد ذكر معدّ النشرة أنه أثبت الأسماء من الذاكرة ومعنى هذا أنه لا يبقى فيها إلا المشاهير.

أحمد الصواف
توفيق الفرا
توفيق الغزي
محمد التاجي
توفيق الحمزاوي
توفيق الصفدي
توفيق بدير
جميل الميداني
جميل مردم بك
حسن الأسطواني
حمدي السفرجلاني
حسن السمان
حسين البغجاتي
محمد حسيب بايزيد
حمدي الكيلاني
حيدر مردم بك
حسني الفرا
حمدي الفرا
حمد الصفدي
حمزة بدير
خالد النقشبندي
محمد خيري المحاسني
خير الدين القضماني
خالد الجزائري

خليل مردم بك
خليل الغزي
رضا الحلبي
محمد راشد القوتلي
رشيد بركات
رشدي الصفدي
رشدي العطار
رشدي الغزي
رشدي البكري
رضا مردم بك
محمد زكي الطباع
زين العابدين الحمزاوي
سعيد الفرا
سليم النحلاوي
سعيد الباني
سليم الأعمى
سعيد السلطجي
سعيد الشلاح
سعيد الجزائري الحسني
سعيد الغزي
سهيل الكيلاني
سليم الطباع
محمد شكري الأسطواني
شريف الكيلاني

شريف رمو
شكري القوتلي
موفق شوكت الشطي
شريف السمان
شكيب الكحالة
شكري المرادي
شكري الطباع
شفيق دياب
صالح العقاد
صبحي القوتلي
صبحي الحسيبي
محمد صادق العجلاني
محمد صادق القدسي
صبحي القدسي
صالح الصفدي
صبحي العمادي
طاهر الجزائري الحسني
طاهر الموالدي
عمر حقي الشطي
علي الدقر
عبد الفتاح الخطيب
عبد الرحيم الخطيب
عبد الحميد العطار

عبد القادر الصباغ
عبد الله الكزبري
عارف القدسي
محمد علي العجلاني
عبد القادر العجلاني
عبد النبي القوتلي
عبد الوهاب الغزي
عبد الوهاب الإنكليزي
علي الكيلاني
عبد القادر مردم بك
عبد الله العباوي
عبد الله الكحالة
عبد اللطيف الكحالة
عمر آغا خير
عبد الرزاق آغا خير
عادل محيش
عثمان بدير
محمد عارف الفرا
عبد الخالق الجلاد
عثمان مردم بك
عبد الغني الحمزاوي
عزة الغزي
عبد الله كوكش

عبد الرحمن السفرجلاني
فوزي البكري
فوزي الغزي
فائق العطار
فؤاد العتقي
فهمي الحسيبي
فريد الغزي
فائد الكيلاني
محمد كامل القصاب
كمال القضماني
كمال الحلبي
كمال أحمد الخطيب
كامل الموالدي
موسى الطويل
محمد الحلاق
مصطفى الأسطواني
مسلم الطباع
محيي الدين أبو الذهب
محمد العجلاني
محمود العجلاني
مصطفى الدقر
محمد التغلبي
محيي الدين الصفدي
محيي الدين السفرجلاني
محمود القوتلي
محمد الكزبري
مصطفى الجزائري الحسني
محمد الجزائري الحسني
مدحت البكري
مصباح الذهبي
محيي الدين القوتلي
محمود البارودي
موسى الشلبي
محمود الحمزاوي
محمود كوكش
نسيب البكري
نسيب الحمزاوي
نسيب الكيلاني
نديم الغزي
وجيه البكري
وجيه الكيلاني
هائل الكيلاني
يوسف الدالاتي
محمد ياسين الفرا
محمد ياسين الجويجاني
يحيى الأسطواني

# المدرسة الجوهرية

بيروت – لبنان

☎ : ١٣٦٧٥

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

جلاء التلميذ

من الصف

الرقم

العام الدراسي ١٣٧ — ١٣٧
١٩٥ — ١٩٥

المدير

محمد خير السيروان

المطبعة التجارية

# النصائح الذهبية

الى تلميذ

المدرسة الجوهرية السفرجلانية

رقم

أثر

ناظر دروس المدرسة

عبد الرحمن السفرجلاني

طبعت على نفقة المدرسة السفرجلانية بدمشق

حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

١٩٢٩ م

«مطبعة الترقي بدمشق»

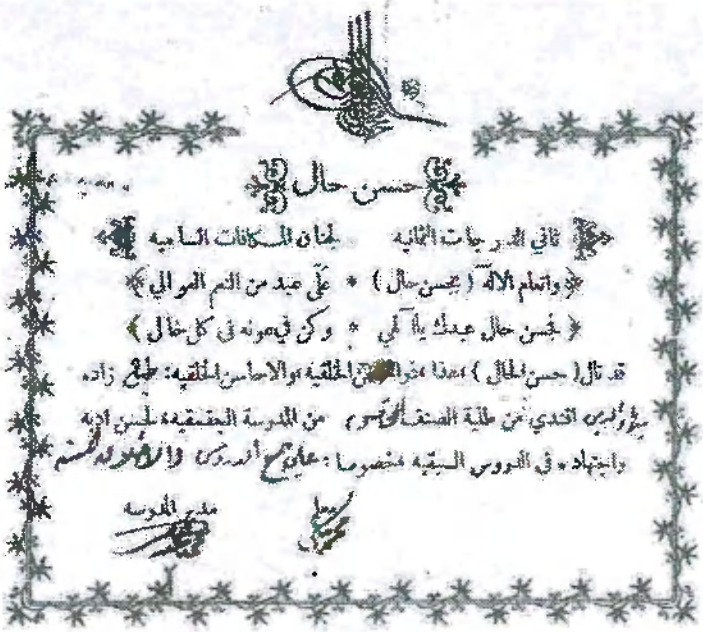

حسن حال

ثاني الدرجات الثانية — لجنان المكافات السامية

﴿واتمام الآية (بحسن حال) * على عبد من النعم الموالي﴾

﴿فحسن حال عبدك يا آلي * وكن في عونه في كل حال﴾

قد نال (حسن الحال) هذا من الخلقية والاحاسن الخلقية: طبع زاده

بدر الدين افندي من طلبة الصف الرابع من المدرسة الجقمقية بحسن ادبه

واجتهاده في الدروس السبقية منصوصا: عليه في اول السنة والاخيرة السنة

مدير المدرسة

شهادة حسن حال موقعة من الشيخ محمد عيد السفرجلاني مدير المدرسة الجقمقية

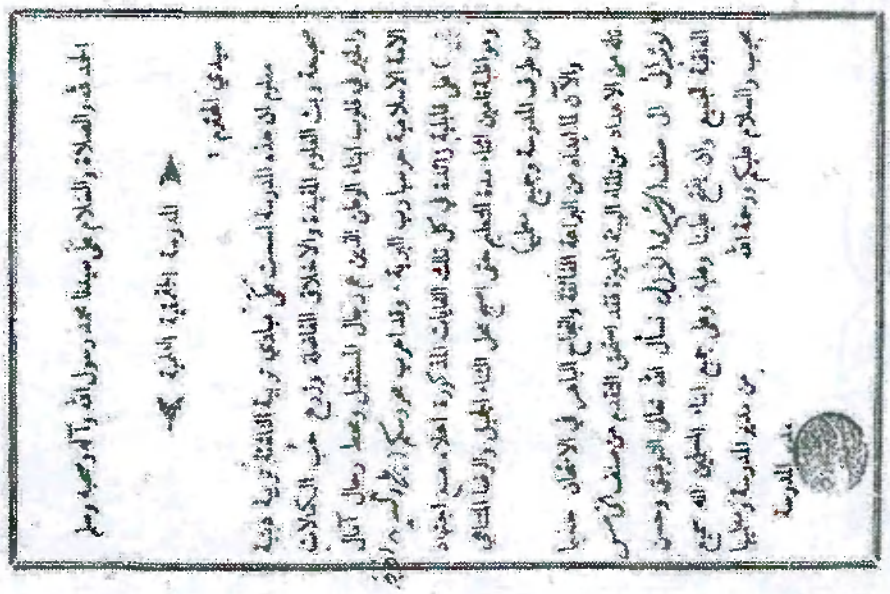

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه وسلم

المدرسة الجقمقية الادبية

سيدي المقدم :

معلوم لك ان هذه المدرسة اسست على مبادئ تربية الفتوة تربية دينية صحيحة وبث العلوم المفيدة والاخلاق الفاضلة وزرع حب الكمالات والخير في قلوب ابناء الوطن الذين هم رجال المستقبل وعماد رجال الآتي الامة الاسلامية مرسيا رب البرية . وقد ارتب مرورسكم (بحرانكم) ... على طلبة واحدة في كل تلك الغايات المذكورة اعلاه ... ومواظبتهم ابناء مدة العلم حتى اسبع على ابناء الجيل والرقي المتناهي من طرف المدرسة وجميع معلمي

والآن لما ابداه من البراعة الفائقة والنجاح الباهر في الاتقان ... تلك من الاعداد من تلك البرة الجيدة فقد استحق التقدم من سلف الى ... ونزلك الى صف الرشدية نسأل الله تعالى العزيز وحسن العاقبة لجميع وان يفتح علينا وعليه وعلى جميع ابناء المسلمين الله ... بحب والسلام عليكم ورحمة الله

من مدير المدرسة ومعلميها

مدير المدرسة

شهادة اجتياز المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الرشدية (الاعدادية) من المدرسة الجقمقية

**والخلاصة:**

فهذه المدرسة أقدم المدارس الابتدائية الأهلية التي استمرت عشرات الأعوام وأقامها منشئها على أسس واضحة وغاية محدودة، ويمكن لهذا أن نقول: إنها تعدّ نقلة نوعية في التعليم الأهلي من مستوى الكتاتيب إلى مرحلة التعليم الجادّ،كما أنها فيما يبدو هي التي سبقت إلى إنشاء روضة للأطفال، ولم يكن هذا معروفاً؛ بل كان الطفل يدفع أولاً إلى الكتّاب.

ولئن كانت هذه الكتاتيب والمدارس الأخرى المماثلة التي جاءت فيما بعد تعتمد الشدة من جهة، ودون خطة تربوية لقد أسست هذه المدرسة نظرية تربوية متقدمة تمتح من معين الإسلام؛ فقد جاء في توجيهات الإدارة أنه «يجب على المعلم تقرير المواد النافعة التي تكفل تثقيف عقول التلاميذ وإنارة أفهامهم، وتهذيب نفوسهم بصورة تقبلها مداركهم، وعليه أن يتصل بالإدارة إذا رأى خللاً أو نقصاً في التربية والتعليم، وأن يلاحظ حركات التلاميذ مدة التدريس، ويرشدهم بالإقناع إلى الطريق المستقيم»[1].

وجاء في إرشادات الإدارة للمعلمين أيضاً: «يجب على المعلم أن يعامل تلامذته معاملة الأب لأبنائه، وألا يألو جهداً في البحث عن أنفع الطرق، وإرشادهم إليها بطريق الإقناع، لا بطريق الإصرار والاستعباد والعناد، وأن يكون مثال الأخلاق الفاضلة خلقاً، وقولاً وفعلاً، كما حث الشارع ﷺ على التخلق بها»[2].

ثم وجهت الإدارة المعلمين إلى أمور لائقة، منها ألا يستعملوا في خطاب التلاميذ ألفاظاً مؤذية، وألا يخالطوهم خارج المدرسة، وأن يتكلموا باللغة الفصحى[3].

أقول: أليست هذه خلاصة توجيهات علماء التربية، ونظريات التربويين التي أكدت المدرسة على تطبيقها؟

---

(١) النشرة ص٢٤.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

وأخيراً فإن الإدارة وضعت كما رأينا شروطاً محددة لقبول التلاميذ، بما يمكن أن يفتح من أجلها إضبارة لكل منهم وسجل خاص.. الأمر الذي لم يكن معروفاً في المدارس الأهلية الأخرى اللاحقة إلا فيما بعد.

هذه هي المدرسة السفرجلانية التي تستحق الإكبار، وأن يكون اسم مؤسسها ضمن السجل الذهبي لوزارة التربية.. وأن يذكر الشيخ محمد عيد السفرجلاني في كلية التربية لتدريس طلابها تاريخ المدارس بدمشق؛ فهو أحد مؤسسي الفكر التربوي المبكر للمدينة.

قال علي الطنطاوي: كانت مدرسة الشيخ عيد لما افتتحها شيئاً جديداً مفرداً، فلما كثرت المدارس، وصارت شيئاً قديماً انصرف التلاميذ عنها[1].

(١) ذكريات ٧/ ١٧٤.

# المدرسة العادلية الصغرى[1]

أسس فيها الشيخ المقرئ أحمد دهمان[2] مدرسة للقرآن الكريم، سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م.

وكان الشيخ دهمان قبل ذلك اشترك مع الشيخ محمد عيد السفرجلاني[3] في مدرسة أقاماها في جامع سنان آغا بمنطقة المناخلية[4]، ثم انفصلا في العام المشار إليه، حين أنشأ الشيخ دهمان مدرسة القرآن في العادلية الصغرى.

وقد اشترك في هذه المدرسة عدد من العلماء، منهم الشيخ محمد الحكيم الذي تفرد بأساليب التعليم والتربية وحسن الشرح، وكان له اهتمام بتنمية عقول الطلاب، يحثهم على الأخلاق الفاضلة[5].. وكان يقرئ في هذه المدرسة من الصباح حتى الظهيرة، في حين يباشر فيها الشيخ دهمان دروسه بعد الظهر حتى العصر، فيصليها التلاميذ وينصرفون.

بقيت المدرسة على هذه الحال حتى عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م[6] أي إنها استمرت نحواً من خمس عشرة سنة.

كان الشيخ دهمان لطيفاً في تعليمه، لم يضرب طالباً رغم شيوع القسوة آنذاك، واختلف

---

(١) تقع في سوق العصرونية في جانبها الشمالي. قال بدران: لم يبق منها [لعهده] إلا حجرتان في مدخلها، وبركة ماء في ساحتها، وإيوانان، أحدهما للصلاة، والثاني لإقراء الصغار القرآن. وأصلها دار لرجل يقال له عبدان الفلكي، اشترتها منه بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، وأوقفتها مدرسة (منادمة الأطلال ١٢٧).

(٢) أحمد دهمان: عالم جامع قارئ مربّ، أخذ عن مشايخ دمشق المعروفين، وكان القراء يقصدونه. توفي سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م (تاريخ علماء دمشق ١/ ٤٥٢ ط٢).

(٣) مرت ترجمته في الحديث عن المدرسة السفرجلانية.

(٤) انظر المدرسة السفرجلانية.

(٥) تاريخ علماء دمشق ١/ ٣٤٥، ٤٠٧، وعرف الشيخ محمد الحكيم أيضاً في المدرسة الريحانية.

(٦) وفي هذا العام بدأت الحرب العالمية الأولى التي لقيت منها دمشق الويلات.

أسلوب مدرسته في التعليم عن سائر المدارس، وكان يركز على تعليم القرآن لكونه قارئاً جامعاً[1].

تخرج في هذه المدرسة كثير من أبناء الجيل، حفظوا القرآن الكريم وأتقنوه، وأفادوا العلم ونقلوه، وكان لهم شأنهم، منهم الشيخ رشيد الحواصلي، والشيخ عِزّي العرقسوسي القارئ المشهور، والشيخ هاشم الخطيب، والشيخ عبد الحميد القابوني[2].

ويرى الباحثون أن مدرستي الشيخ عيد السفرجلاني، والشيخ أحمد دهمان هما بداية المدارس النموذجية[3].

(١) تاريخ علماء دمشق ١/ ٤٠٦.

(٢) تراجم هؤلاء في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٣) المرجع السابق ١/ ٤٠٦، ط١.

# المدرسة الريحانية

أنشأها منتصف شعبان عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م كل من الشيخ محمد بن محمد المبارك والشيخ عبد الجليل الدرا والشيخ حسن الأسطواني والشيخ محمد الشريف اليعقوبي[١]. وكان مركزها الريحانية[٢]، ومنها أخذت اسمها. وتولى إدارتها الشيخ عبد الجليل الدرّا[٣]. وكان فيها نظامان من التعليم؛ نهاري، ومسائي، يتيح الدراسة لمن يعملون سحابة نهارهم في كسب قوتهم من الساعة الواحدة إلى الرابعة؛ أي ثلاث ساعات كل يوم، ما عدا يومي الاثنين والخميس، وهذه خطوة لم تكن في غير هذه المدرسة.

والجديد المبتكر في هذه المدرسة أنها أفسحت المجال في الدراسة الليلية لمن أراد أن يقتصر حضوره إن شاء في الساعة الأولى أو الثانية أو الثالثة فهو بالخيار.

وقد قسم كل من الفرعين النهاري والمسائي إلى أربعة أقسام؛ خصص كل قسم لعدد من المواد التي تنسجم بعضها مع بعض.

يقرأ الطالب في القسم الأول علم أصول التفسير وأصول الحديث وأصول الفقه، وعلوم البلاغة والعلوم العقلية (المعاني والبيان والبديع والمنطق) وعلوم العربية الصرف والنحو واللغة والعروض والإنشاء والتاريخ.

وتشتمل مواد القسم الثاني على القراءة والكتابة والإملاء والحساب وحسن الخط،

(١) انظر تراجمهم في كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٢) بناها بجوار جامع نور الدين الشهيد خادمه ريحان الطواشي -٥٧٥هـ (تنبيه الطالب ٩٠)، كانت إلى الغرب منه، هدمت في خمسينات القرن العشرين لما فتح الطريق المؤدي إلى دار أسعد باشا العظم. وقام مكانها محلات تجارية ودكاكين الصاغة (ذكريات ٥/ ٢٥٨).

(٣) انظر ترجمته في كتاب تاريخ علماء دمشق وفيات ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، وكتب عنه علي الطنطاوي في ذكرياته ٥/ ٢٥٨. أقول: وكان الشيخان المبارك والدرا أنشأا عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م مدرسة في حي الشويكة بمنطقة الحيواطية. لكن الشيخ المبارك انقطع عنها بالسفر إلى حوران، حيث أقرأ في قرية داعل العلوم الشرعية. تاريخ علماء دمشق ١/ ٢٧٦، ٢/ ٦٠٩.

ومبادئ مسك الدفاتر[1].

والقسم الثالث تعطى فيه اللغة العثمانية (مفرداتٍ وحواراً وقراءة وإملاءً ونحواً وصرفاً وترجمةً وتاريخاً).

والقسم الرابع الأخير توفَّر على اللغة الفرنسية (مفردات وحواراً وقراءةً وإملاءً ونحواً وصرفاً وترجمةً وتاريخاً).

هذا وقد زيد في القسم النهاري مواد الجغرافية والهندسة والكسور العادية والعشرية والتوحيد والتجويد والسيرة النبوية وعلم الأخلاق، فضلاً عن التمرين على القراءة العربية بالخطب والمقامات.

وأفسحت المدرسة المجال لمن يريد تعلّم الحسابات التجارية التخصصية العالية وحدها، في دورة خاصة.

ويبدو أن التخصص الأول هو الأكبر والأساس، ويمثل مدرسة ثانوية أو سنة جامعية، أما التخصصات الأخرى فأضيق، وهي محدودة.

وقام بالتعليم في المدرسة جماعة من كبار الشيوخ بدمشق، أولهم رئيسها، والشيخ أمين سويد، والشيخ عبد الله المنجد، والشيخ محمد خير الطباع، والشيخ عبد القادر المبارك[2]، ومحمد سعيد مراد (مدرس العثمانية)، ومحمد سعيد الحمصي (مدرس الفرنسية)، والخطاط حسين البغجاتي.

وأخيراً، فكانت المدرسة تتقاضى من كل طالب ريالاً مجيدياً، يدفعه مقدماً بداية كل شهر، ومن أراد الاقتصار على ساعة واحدة كل ليلة للاطلاع على علم من العلوم فيدفع نصف مجيدي.

ومن الأمور التي تفردت بها المدرسة أنها كانت تسمح للطالب الجديد أن يحضر فيها مستمعاً ثلاثة أيام قبل أن يقرر الاستمرار أو الانسحاب.

---

(١) مسك الدفاتر: أي علم الحسابات التجارية. وكانوا يطلقون عليه الدوبيا.

(٢) انظر تراجمهم في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

ومن هنا يمكن أن نقول: إن المدرسة غير ربحية، وإنما يقوم ما تتقاضاه بالتكاليف.

هذا ويبدو أنها كانت تعتمد نظام الفصول، كل فصل ثلاثة أشهر.. وهذا ما أشار إليه بيانها الذي جاء فيه: «تقبل المدرسة دخول الطلاب إلى ثلاثة أشهر لتعبئة الأقسام الأربعة، ثم بعدها لا يقبل إلا على رأس كل ثلاثة أشهر».

وممن تعلم في هذه المدرسة من الطلاب الذين كانوا من رجال البلد المشاهير فخري البارودي، ولطفي الحفار، وعزّت حبّاب، وخليل ملص، وشكري العجلاني، ونسيب البكري، وممدوح العابد، ومحمد كرد علي.

قال البارودي: «كانت المدرسة تتألف من ثلاثة صفوف، ثم أسسوا فيها صفاً رابعاً سموه «صف مخصوص» لكبار الطلاب، تعطى فيه الدروس الأدبية زيادة عن دروس الصف الثالث، ويستظهر طلبته قصائد شعرية، أذكر منها لامية العجم، ولامية العرب وغير ذلك»[1].

قال: «وكان أساتذة المدرسة يسمحون لطلّاب الصف المخصوص بحضور اجتماعاتهم الخاصة وحلقات السمر التي يعقدونها، فتدور فيها المذاكرات الأدبية والأناشيد، وكان شرب الشاي نقطة الدائرة في هذه الاجتماعات»[2]. وقال أيضاً: «ومر على طلاب الصف المخصوص زمن طغت فيه عليهم تقليده (موضة) التعمم بعمامة بيضاء»[3].

---

(١) أوراق ومذكرات فخري البارودي ٣٧.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

## بسم الله الرحمن الرحيم

المدرسة الرجائية * (من طوائف من الصلاة * اشتد فالحق بقول جاء) * بحول من الله الشهير

(رخصة مباركة جليلة * واسعة مقرونة جزيلة)

بعد حمد الله وشكره

نشر رجال الوطن وشبانه الحريصين على ترقيات العلم * أننا لما رأينا اقبال الرجال والشبان والاولاد على الدخول في مدرستنا الرجائية ليلاً ونهاراً * ووجدنا قسم الرجال والشبان الذين لا يقرؤن ولا يكتبون حين فاتهم المدة العلم * فتمنوا أن تبدأ حجر من حياة الانسان في ظلام الجهل * فأحببنا ان نسهل لهم زيادة طرق العلم * ونرشدهم الى نهج التقويم * ونضيف في حسنوناً جديدة زيادة على ما اعطاه قبل بشهرين في اوقات لا تضر بمسالمهم الكاسبة * وكل ذلك رغبة بادلة الجهل وتتميم الطريق طبقات الامة العثمانية * والناشئة الاسلامية * وحباً باجابة طلب الراغبين منهم ذلك * فلا عذر بعد ذلك لمن يتوقف على ذهاب عمره في الجهل الحالك

(الاوقات والاصناف التي زيدت على ما اعطاه سابقاً)

صنفت دروسه ثلاث ساعات من بعد الغروب * وصنف دروسه ايضاً ثلاث ساعات من بعد طلوع الشمس * وعلى الصنفين تدريسها مختص بغير المدرسة يعلم فيها الرجال الاميين الذين لا يقرؤن ولا يكتبون * بعد عن لم الذين مدة [illegible] يعلمهم في اثنائها الخط والاملاء وما يلزم التجارة من مكاتيب وبوالص وكيالات ومن الحساب الجمع والطرح واتقان القرآن الكريم من اوله الى آخره بحول الله ومشيئته *

وقد جعلنا في مثابة الخط والاملاء والمكاتيب والبوالص والكيالات والجمع والطرح [illegible] الكريم [illegible] من اوله الى آخره كذلك والدفع سنتاً * على انا نعلم الداخل للمدرسة [illegible] ان ثبت للمدرسة [illegible] ترد له ما دفعه وما لطفه يكون بنا عجلاً الا أننا نشترط عليه الملازمة والمداومة * وفيما [illegible] الى اربعة اشهر بتوفيق الرحمن * التمني علم القرآن * ومن كان ضعيف القراءة والكتابة والاملاء والحساب يدفع نصف المبلغ المذكور والمدة في حقه ثلاثة اشهر

(رواتب جنبة الاصناف التي تعلمها مهرة المعلمين ليلاً ونهاراً)

راتب الرجال والشبان ليلاً وصباحاً كل شهر نصف مجيدي والدفع عن ثلاثة اشهر سلفاً * وقبول المدرسة للاولاد نهاراً من ابن ست سنوات الى ابن خمس عشرة سنة مشاهرة نصف مجيدي والدفع عن ثلاثة اشهر سلفاً ومن كان من الصنوف العالية فنصفه مجيدان عن ثلاثة اشهر

(بيان ما تدرسه المدرسة ليلاً ونهاراً من العلوم والفنون)

مبادي العلوم الدينية والعربية تفسيراً وفقهاً وفرائض وتوحيداً وسيرة وصرفاً ونحواً وتاريخاً وادباً وانشاء * ومبادي الفنون العصرية من الفنون الطبيعية والفرنساوية صرفاً ونحواً ومكالمة وانشاء ومبادي الجبر والمقابلة وحساب الكسر العادي والاعشاري وما يتعلق بالامور التجارية منها حساب الصندوق ومسك الدفاتر * وقريباً يجري امتحان الرجال والشبان ليلاً والاولاد نهاراً فاظهر الحقيقة

مقرونة بصحيح القول والله الهادي الى سبيل الرشاد وهو الرشد العليم

دمشق في ٢٣ صفر الخير سنة ١٣٢٨

مدير المدرسة
عبد الجليل
الحريري

رئيس المدرسة
[illegible]
الجزائري

طبع بمطبعة [illegible] الجزائرية *

## تاريخ افتتاح النهضة العلية الليليه

هي المعالي وهذا كنز عرفان * فكن اخا الجد في حب العلى فاني
فالعلم والجد شيء واحد فاذا * جنيت زهر المعاني فزت بالثاني
وهذه روضة الاداب دانية * قطوف ادواحها ياصاح للجاني
ترى بلابلها نادت مؤرخة * نور الدروس جلا في نصف شعبان

٢٥٦ ٣٠١ ٣٤ ٩٠ ٢٢٠ ٤٢٣

سنة ١٣٢٤

## لمحة

قد اكتفينا بنشر جريدة الاقبال الغراء تفصيل مسالك النهضة النهارية بعدد ١٦٥ وعدد ١٦٧ عن نشرها بهذه المقدمة على اننا سنتبع اللائحة بالمقدمة مبسوطة بما يتعلق بالمشروع المبارك الجليل الذى هو خدمة الدين وقربى لرب العالمين

## تنبيه

تقبل المدرسة دخول الطلاب الى ثلاثة اشهر لتعبية الاقسام الاربعة ثم بعدها لايقبل الا على راس كل ثلاثة اشهر

لئن اخنى الزمان على عكاظ * فامسى وهو مندرس النواحي
فقد اضحى بمدرسة النجاح * رفيع الذكر مزدان المراح
زها ريحانها ولذا تسمى * بريحانية العرفان صاح
لقد قام العلى فيها خطيباً * وقال العلم حيّ على الفلاح

نهضة علمية * نهارية ليلية

في المدرسة الريحانية

فمن طلب العلى سهر الليالي * وطلق لذة الراحات بتاً

## مقدمة لائحة المشروع المبارك الجليل

نعوض لرجال الفضل * ومحبي المعارف

انا لما راينا شبان العصر الحميد السعيد وناشئته فى حاجة شديدة لاقتناء العلوم والفنون * وذلك لترقى المعارف والتجارة فى ظل مليكنا الاعظم * آتا فآتا وحينا فحينا * شرعنا متكلين على الله * وطالبين المعونة والتوفيق * بتوسيع دائرة تعليم الفنون العصريه * والعلوم العربيه * يوم الاربعآء منتصف شهر الله رجب سنة ١٣٢٤ فى مدرستنا الريحانيه * الكائنة بجوار نورالدين الشهيد * قدس الله سره العزيز وكان ذلك بحضور اسرة من اعيان الامرآء وافاضل العلمآء * وقد عرضنا على اسماعهم الكريمة المناهج التى اخترناها * والمسالك التى رتبناها * على انموذج جديد * وطرز حميد *

* النهضة العلمية الليلية * ولما تحققنا ماينتج عن تنظيم هذه المسالك من الفوائد العوائد المهمة * احببنا ان نعم الفائدة بفرع ليلى لشبان العصر الزاهر وفتيانه يتعلمون فيه

انواع العلوم والفنون * على نهج قويم سهل المنال بديع المثال بما يعود عليهم باصلاح معاشهم ومعادهم * مفتتحين ذلك ليلة الاربعاء منتصف شهر شعبان المعظم تيمنا وتبركا بانوار هذه الليلة المباركة التي يفرق كل امر حكيم * وقد جعلنا مدة الدروس الليلية من الساعة الواحدة الى الساعة الرابعة ماعدا ليلتي الجمعة والاثنين * ومن اراد الاقتصار على الساعة الاولى اوالثانية اوالثالثه فلا بأس بذلك * فكما اننا قسمنا مسالك القسم النهاري الى اربعة كذلك جعلنا لطلاب الفرع الليلي اربعة اقسام

## ﴿ القسم الاول ﴾

يدرس فيه علم اصول التفسير * واصول الحديث * واصول الفقه وعلوم البلاغة والعلوم العقلية المعاني والبيان والبديع والمنطق * وعلوم العربية الصرف والنحو واللغة وقرض الشعر والانشاء والتاريخ

## ﴿ القسم الثاني ﴾

معين لاتقان القراءة والكتابة والاملاء والحساب * وحسن الخط ومسك الدفاتر الاعتياديه

## ﴿ القسم الثالث ﴾

تدرس فيه اللغة العثمانية * مفردات ومكالمات وقراءه واملاء ونحو وصرف وترجمة وتاريخ

## ﴿ القسم الرابع ﴾

تدرس فيه اللغة الفرنساوية * مفردات ومكالمات وقراءة واملاء ونحو وصرف وترجمة وتاريخ

---

ومن رغب بتعليم طريقة مسك الدفاتر التجارية العاليه المعروفة ( بالدوبيا ) فليخابر مدير المدرسة حيث ارجأنا تعيين معلم لها بينما يجتمع قسم من الطلاب يقومون براتب المعلم

وجميع مايدرس ليلا يدرس نهارا مع زيادة فن الجغرافية والهندسة والكسر العادي والاعشاري وما يلزم الناشئة من التوحيد والتجويد والسيرة النبوية وعلم الاخلاق * والتمرين على القراءة العربية بالخطب والمقامات وغيره * مما يتعلق بعضه ببعض

## ﴿ الراتب الشهري ﴾

وقد جعلنا راتب كل شهر ريالاً مجيدياً سلفا يدفع على رأس كل شهر بعد الاطلاع على طريقة

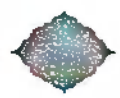

التعليم ثلاثة ايام لاغير * ومن اراد الاقتصار على تعليم ساعة واحدة كل ليلة لاخذ علم من العلوم العربية * فنصف مجيدى

وقد اخترنا للنهضة العلمية النهارية والليلية مهرة المعلمين الذى دأبهم بث المعارف * ونشر اللطائف * واليك بيان اسمائهم

## عمدة المعلمين

استاذ علم اصول التفسير والاخلاق — رئيس المدرسه

استاذ علم اصول الحديث والفقه — العلامة النحرير الشهير الشيخ امين افندى سويد

استاذ علوم البلاغة والعلوم العقليه — " " " " " "

استاذ علم التجويد والقراءة — العالم الحافظ اوحد القراء الشيخ عبدالله افندى النجد

معلم علم التوحيد والسيرة النبويه * والخطب العربيه — مدير المدرسه

معلم العلوم العربيه * وعلم الفقه والحساب — العالم الفاضل المحقق الشيخ خير افندى الطباع

معلم اللغة العربية * والمقامات الحريريه — النابغة اللغوى المدقق الشيخ عبدالقادر افندى المبارك

معلم اللغة العثمانيه * احد مأذونى المكتب الملكى — رفعتلو محمد سعيد افندى مراد

معلم اللغة الفرنساوية * احد مأذونى المكتب الحربى الشاهانى رفعتلو محمد سعيد افندى الحمصى

معلم حسن الخط * الخطاط الشهير — مكرمتلو الشيخ حسين افندى البغجاتى

هذه عمدة المعلمين ماعدا معلمى القسم المبتدى والمتوسط * ومتى مست الحاجة لزيادة معلمين نقدمها بقدر اللزوم هذا ما اردنا عرضه على اسماع اخواننا الدمشقيين خصوصا * ومحبى العلوم والمعارف عموما * وفقنا الله لاتمام هذا المشروع العظيم بما قصدناه ورجوناه * مع الصدق في العزيمه * والتوفيق في الرشد * والله المعين وعليه التكلان

في ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤

| مدير المدرسه | رئيس المدرسه |
|---|---|
| عبدالجليل | محمد بن محمد |
| الدرا | المبارك |

# مدرسة جمعية الإسعاف الخيري

تأسست في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٧م، وهي بذلك من أقدم الجمعيات الخيرية.

وقد تنادى لتأسيسها في التاريخ المذكور عدد من الشخصيات الداعية إلى العمل الإنساني، وهم كما جاء في سجلات الجمعية؛ أحمد جبري، توفيق القيسي، حسن أبو الهدى، عبد الرحمن الدواليبي، عبد الفتاح الكوسا، محمد عمّار، مصطفى عمّار، مصطفى القباني، نوري القدسي، هاني الجلاد.

ولما صدر قانون الجمعيات والمؤسسات الخاصة رقم ٩٣ لسنة ١٩٥٨م في عهد الوحدة السورية ـ المصرية حين قامت نقلة إدارية إذ ذاك اعتُمد المؤسسون التالية أسماؤهم، وهم بدر الدين الشلاح، رشيد الطرابيشي، مصطفى عمار، منير المهايني، نسيب سليق، د. نظمي القباني.

وعلى هذا فربما يكون عدد من المؤسسين الأولين توفوا أو تقاعدوا عن العمل.. فتم تجديد هيكلة الجمعية من الشباب آنذاك.

ثم إنّ الجمعية اشتهرت بالقرار رقم ٦٧، المؤرخ في ٢٦/ ٧/ ١٩٧٠ لتؤكد على أنها جمعية غير ربحية ذات نفع عام.. تعتمد الأهداف بالصياغة الآتية:

الاهتمام بمساعدة الأيتام الفقراء ومن هم بحكمهم من فاقدي الرعاية الوالدية من سن السادسة حتى الثالثة عشرة نتيجة تفكك الأسرة. والعمل على تقوية الفضائل الخلقية في نفوسهم، وتحريرها من الضعف واليأس، وتأمين حاجاتهم الشخصية من طعام ولباس وطبابة.

ثم أنشأت الجمعية في عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م مدرسة ابتدائية للذكور، طبقت فيها منهاج وزارة المعارف.

ولما كان منتسبو المدرسة من الفقراء، فقد ضمنت الجمعية تعليمهم، وإقامتهم وطعامهم وكساءهم ودواءهم، ورعايتهم التربوية، إضافة إلى المناشط الاجتماعية والثقافية المختلفة.

وصفوف مدرسة الجمعية نموذجية لا يتجاوز عدد الطلاب في الصف الواحد منها ٢٥ تلميذاً.

مارست الجمعية أنشطتها وأعمالها في المدرسة الجوزية بمنطقة البزوريين قرب قصر العظم، فلما ضربه الفرنسيون في الثورة السورية ١٣٤٤-١٣٤٦هـ/ ١٩٢٥-١٩٢٧م. انتقلت إلى مقر في حي سوق ساروجة، حتى بني مقرها الأخير غرب البرلمان (مجلس الشعب)، وقام على إنشائه المهندسون الفرنسيون.

وفي عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م أنشأت الجمعية ميتماً لأبناء الفقراء، في البناء المشار إليه في الطبقة العليا، في حين تكون الصفوف في الطبقة الأرضية.

يدير الجمعية مجلس إدارة من تسعة أعضاء، يضع الخطط والبرامج لتطوير العمل وتحديثه، بالإضافة إلى متابعة أعمال الجمعية ونشاطاتها المختلفة.

ويعتمد المجلس في أعماله مديراً للجمعية يتابع شؤون التلاميذ الاجتماعية اليومية من إقامة ومنامة وطعام ولباس.. كما يتابع أمور المستخدمين والمشرفين.

أما مدير المدرسة فتعتمده وزارة التربية، التي تندب بعض المعلمين، في حين تعين الجمعية معلمين آخرين وفق عقود خاصة.

ترأس مجالس الإدارة رجال معروفون، عملوا على رفع شأنها على الأيام، وهم على التوالي: محمد علي العابد: (أول رؤساء الجمهورية السورية)[1]، ياسين دياب، مصطفى القباني، نظمي القباني، بدر الدين الشلاح[2]، عبد الرحمن الطباع (وزير الأوقاف)[3]، شفيق الشلاح، د. سليم الشلاح، د. موفق الشلاح.

(١) ترجمته في الأعلام للزركلي ٦/ ٣٤٠.

(٢) ترجمته في إتمام الأعلام ط٢، ١/ ٧٨.

(٣) ترجمته في إتمام الأعلام ج٢، ص٩٠.

الأعضاء العاملون في جمعية الإسعاف الخيري لسنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م:

أبو الخير بكداش، أحمد السواح، أحمد بيلوني، أحمد نبيل قباني، آدم آقبيق، أكرم الطرابيشي، خليل سكر، رشاد الشلاح، د. زكي الذهبي، زكريا الجميلي، سميح المهايني، شفيق الشلاح، شوقي جمال، عبد الرحمن الطباع (وزير الأوقاف)، عمر بعلبكي، عبد الفتاح الدبس، محمد الجراح، محمد آصف القباني، محمود الصابونجي، محمد عابدين، موفق الشلاح، د. محمد محرم، محيي الدين القزاز، مسلم دياب، منير البديوي، وجيه عمّار، يوسف عز الدين.

تتألف ميزانية الجمعية من التبرعات النقدية والعينية. ومنذ إنشائها تبرع لها الميسورون من أبناء دمشق خاصة؛ فمن كبار الذين أوقفوا لها عقارات في عدد من أماكن دمشق سليم الشلاح، وأبناؤه محمد وبدر الدين وأنور وشفيق ورشاد، ومحمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية، ومصطفى القباني، وخليل السمان، وموسى الشلبي، وهاجر اللاذقاني، وصادق المزيك، وشفيق عصاصة، ودرية العلبي، ويسرى الشلاح، وهدية البيطار، وشادية الخولندي، وخديجة الدرا، ونسيب جبري، ورشيد طرابيشي، وسامح العابد، وفاطمة شكري، وفاطمة الرفاعي.. وآخرون ممن لم يريدوا إعلان أسمائهم.

وممن قدم مبالغ عينية ذات قيمة محمد ممدوح مدور، وفريدة خضري، ومكرم مدور، وهشام اليافي، ومعد المالكي، ومن آل العائدي، غسان وعبد الكريم وعدنان وأحمد منيف بن عثمان، ولمياء بنت أحمد منيف[1].

(١) غالب هؤلاء توفوا. وكثيرون منهم مذكورون على لوحة معلقة في بهو الجمعية.

# المدرسة الأمينية[1]

أنشأ الشيخ شريف الخطيب مدرسته الابتدائية في أربعينات القرن الرابع عشر الهجري/ عشرينات القرن العشرين في بناء المدرسة الأمينية بسوق الحرير[2]، حصل عليها من دائرة الأوقاف.

كانت المدرسة تطبق المنهج الدراسي المعتمد في المدارس الرسمية، وتزيد عليها المواد الشرعية؛ القرآن والتجويد والتفسير والفقه ومصطلح الحديث والفرائض، والخطابة والمحاسبة واللغة الفرنسية، مع العناية بالعربية عناية خاصة.

وفرضت في منهاجها حفظ المتون المعروفة؛ كألفية ابن مالك في النحو والصرف، والجوهر المكنون في البلاغة، وجوهرة التوحيد في العقيدة، والبيقونية في المصطلح، ومتن الزُّبَد في الفقه الشافعي.. مع حفظ ٤٠ حديثاً صحيحة مشروحة في كل عام[3].

وكان من مزايا المدرسة أن مديرها الشيخ شريف يختار لكل مادة درسية أكبر المتخصصين فيها، فكان يعلم الخط أحد شيوخ الخطاطين حسين البغجاتي والخطاط الآخر محمد طيفور، وقام بدروس الرياضة مدرب الشرطة، فكان يلزمهم حركاتها الصعبة، ويدرسهم الفرنسية معلم فرنسي الأصل ينطقها مثل أهلها. وكان من أساتذتها الشاعر أنور العطار[4]، والأستاذ وجيه السمان[5]، وصلاح الدين المحايري، ونسيب عناية، وأنيس

(١) اعتمد هذا البحث بشكل خاص على ذكريات علي الطنطاوي في أماكن متفرقة منها .

(٢) بناها أتابك العساكر أمين الدولة كمشتكين بن عبد الله (-٥١٤هـ) بسوق الحرير جنوب المسجد الأموي على نحو ستين متراً منه. وكان جيرانها قد تعدوا عليها فسرقوا جوانبها، فأقام عليهم الشيخ شريف دعاوى، وأعاد ما سرقوه، وبنى ما تهدم منها بناء حديثاً لا كالبناء الأصلي (ذكريات ٣/ ٢٢٢) وهي أول مدرسة للشافعية بدمشق (خطط دمشق ١٠٤ وانظر مصادره).

(٣) ذكريات ٣/ ٢٢٦.

(٤) ترجمته في الأعلام ١/ ٢٩.

(٥) انظر ترجمته في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ٢٤٩.

الشربجي، وخالد الرفاعي، وسعيد الأفغاني[1]، وعلي الطنطاوي[2] وكان هذا تلميذاً فيها من قبل، وعبد الغني الطنطاوي[3] وكامل البغال، وطه الخطيب، وعارف القلطعجي[4]، ومحمد سهيل الخطيب[5]، والشاعر محمد البزم[6]، وخيري الكديمي، وأحمد حلمي العلاف[7].

وكان الواحد من هؤلاء يتقاضى عن الساعة التدريسية الواحدة أربعة قروش إلا ربعاً، وهو أجر لا يجزئ، ولا يشتري خبزاً كما قال الطنطاوي[8].

وكان دوام الطلاب في المدرسة مضبوطاً، والمتأخر يلاقي عقاباً صارماً.. وهم منظمون في المدرسة على أتم نظام، وكانوا إذا حانت الصلاة قاموا إليها جميعاً، يتوضؤون من البركة، ويفرشون الحصائر، ويؤمهم أحد المعلمين.. ثم يعودون لدراستهم[9].

كان امتحان آخر العام جاداً، وقد يكون عسيراً، وقد ذكر الشيخ علي الطنطاوي صورة عنه في جانب من جوانب الدروس، فقال: يوم امتحان الفرائض، يأتي الشيخ شريف الخطيب بأعظم علماء الشام في الفرائض كالشيخ جميل الشطي، والشيخ حسن الشطي[10] فيقف التلميذ الذي لا يجاوز الثانية عشرة أمامهم، ويلقون عليه أعقد المناسخات في الفرائض؛ فيقال للولد مثلاً: مات الأب، وترك فلاناً وفلاناً وفلاناً.. ثم مات الولد، وترك فلاناً.. ثم مات.. فيقسمها أمامهم، يضع لها شِباكاً، ويأتي بالنتيجة المطلوبة[11].

---

(١) انظر ترجمته في إتمام الأعلام.

(٢) مرت ترجمته في حواشي المقدمة.

(٣) انظر ترجمته في إتمام الإعلام ط٣.

(٤) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق القرن الرابع عشر الهجري.

(٥) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق القرن الرابع عشر الهجري.

(٦) انظر ترجمته في أعلام الزركلي.

(٧) ذكر هؤلاء كلهم علي الطنطاوي في كتابه ذكريات ٣/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٨) السابق.

(٩) السابق..

(١٠) آل الشطي حنابلة، وإليهم آلت مشيخة المذهب.

(١١) ذكريات ٣/ ٢٢٧.

وكانت المدرسة التي تضم خمسة صفوف، تمنح بعدها شهادة تسمى «الشهادة الخاصة في علوم الدين» ومن ينجح في الاختبار تقدمه المدرسة لاختبار شهادة الابتدائية (السرتفيكا)[1] الذي تجريه وزارة المعارف، وكان أغلب طلابها ينجحون بتفوق. حتى لقد نجح منهم ٨٠٪ في أعوام ١٩٣١ و١٩٣٢ و١٩٣٣م.. وحاز أحد خريجيها الدرجة الثانية في امتحانات المدرسة التجهيزية، وتفوق على جميع المدارس الأخرى.

وكانت المدرسة تقيم في نهاية العام الدراسي احتفالاً للخريجين يدعى إليه وجوه البلد من علماء وتجار وموظفين[2] تعرض فيه التمثيليات العربية الإسلامية وتلقى فيه الخطب المحفوظة لكبار الخطباء، وتنشد الأناشيد والأشعار.. وكان للطلاب أستاذ خاص للتمثيل.

وإضافة إلى ذلك فقد كانت في المدرسة الأمينية ندوة يرتادها أهل العلم والأدب يتداولون الثقافة فيما بينهم، وكان قريب الشيخ شريف الخطيب محب الدين الخطيب بالقاهرة يبعث إليها الكتب والمجلات العلمية والأدبية ليتزود بها رواد الندوة[3].

كما كان للمدرسة مجلس أسبوعي بعد صلاة الجمعة يحضره العلماء ومديرو المدارس للاستشارة والمدارسة، ذلك لأن الشيخ شريف كان نقيباً لرابطة مدرسي المدارس الخاصة لزمنه، وكان يخدم مصالحهم ويدافع عنهم في وزارة المعارف[4].

---

(١) السرتفيكا Certificat: كلمة فرنسية تعني الشهادة، وصارت مصطلحاً على شهادة إنهاء الدراسة الابتدائية التي ألغيت بنهاية العام الدراسي ١٩٥٨/ ١٩٥٩م زمن الوحدة السورية-المصرية، وكان التلميذ يحصل عليها بعد دراسة خمس سنوات، ثم ضمت السنة السادسة من المرحلة الإعدادية إلى المدرسة الابتدائية.

(٢) ذكريات ١/ ١٧٩.

(٣) السابق. أقول، وكان من رجالات النهضة بدمشق، من كبار الكتاب الإسلاميين شارك بإنشاء جمعية النهضة العربية بدمشق، عمل في الصحافة، واعتقله الإنكليز في أوائل الحرب العالمية الأولى ثم التحق في مكة بالثورة العربية عام ١٩١٦م وعاد إلى دمشق وفر منها لما دخلها الفرنسيون فرحل إلى مصر وأصدر مجلتي الزهراء والفتح وأنشأ المكتبة السلفية ومطبعتها فأخرجت كثيراً من الكتب. (الأعلام ٥/ ٢٨٢).

(٤) ذكريات ١/ ١٧٩.

وزارة المعارف

شهادة التحصيل الابتدائي

إن وزير المعارف

بناء على القرار القاضي بمنح شهادة التحصيل الابتدائي لمن يتم الدراسة الابتدائية

وبناء على تقرير لجنة الامتحانات المجتمعة في دمشق لدورة حزيران سنة ٩٤١

وبعد أن تبين أن التلميذ السيد عبد الرحمن بن محمد الخياري المولود في دمشق

بتاريخ سنة ٩٤٦ قد اجتاز الامتحانات المطلوبة منه لنيل شهادة التحصيل

الابتدائي ونجح فيها بقرر إعطاءه شهادة التحصيل الابتدائي بدرجة

جيد تحت رقم ١٢٥

حرر في دمشق في ٧ ربيع الأول سنة ١٣٦١ وفي ٢٤ آذار سنة ١٩٤٢

وزير المعارف

المصادر خاتم الشهادة

وكان للمدرسة غرائب؛ منها أنها اتبعت لترسيخ الفرنسية أسلوب المدارس الأجنبية في بعض الأحيان، وهو ما يسمى (السينيال)Signal [١]، وكان الطلاب حينما يأتي مفتشو تلك اللغة من وزارة المعارف يستقبلونهم بالأناشيد الفرنسية، يرحبون بهم.

ومن غرائبها أيضاً أنها كانت منظمة تنظيماً أشبه بالتنظيم العسكري القائم على الشدة التي اشتهرت بها، وكان ذلك حديث الناس كلهم، يؤخذ الطالب فيها بالعقوبات الشديدة، وكان منها أن المذنبين يحبسون في الغرف التي تتسلط عليها الشمس، وكانت تسمى جهنم الكبرى، يتصببون فيها عرقاً، والأقل منهم ذنباً يسجنون في جهنم الصغرى الأقل حرارة.

وكانت العقوبة بالفلق شائعة، والخيزرانات تنقع دوماً بالماء لتلين، فيستطاب الضرب بها، لتوجع ولا تؤذي، هذا فضلاً عن استعمال العصي التي تهوي على الأكف لأقل هفوة.

ومن غريب ما حدث أن المدير قرر عقوبة لأحد أولاده هو، فتشفع فيه عمه الشيخ سهيل الخطيب أحد معلمي المدرسة، فما كان من المدير إلا أن أمر أخاه سهيلاً أن يجلس عوضاً عن الولد في الفلقة، وعاقبه أمام الجميع طلاباً ومعلمين. فلما انتهت العقوبة قام الشيخ سهيل فوقف على حافة البركة وصاح قائلاً: أيها الطلاب، قولوا لآبائكم من أراد أن يغضب الله عليه فليرسل ولده إلى المدرسة الأمينية.

وجاء والد أحد الطلاب يريد الخروج بولده لأمر ضروري، فأبى المدير أن يلبي طلبه، فلما ألح الوالد أمر الشيخ شريف طالبين قويين أن يضعاه في الفلق، وأنزل به العقوبة[٢].

وكان الناس ينقلون عن الشيخ شريف قوله: «من كان له ولد عاص فليأتني به فعندي أدبه وتربيته».

ومن غرائب المدرسة أيضاً أن الشيخ شريف اتبع توقيتاً غريباً ليس على التوقيت الزوالي ولا الغروبي، ولا يضبط على التوقيت الشتوي ولا الصيفي.. بل تتبع الزوال الحقيقي

(١) السينيال: تعني بالفرنسية إشارة أو علامة وهي قطعة خشب محفور عليها حرف (S) يحملها العريف فيتنصت على من يتكلم بغير الفرنسية، فيدفعها إليه، وهذا بدوره يبحث عن آخر مثله.. ومن تبقى معه الإشارة آخر الدوام تنزل به عقوبة. كأن يفرض عليه حفظ أبيات من الشعر الفرنسي، أو يكلف بكتابتها مرات، بحسب رأي المعلم المشرف.

(٢) ذكريات ٣/ ٢٣٠.

لمدينة دمشق، أي إنه إذا أذن الظهر ضبط الساعة على الثانية عشرة.

ومن الأنظمة الغريبة للمدرسة أن إذا جاء الصيف أجبر الشيخ المدرسين والتلاميذ أن يخلعوا أحذيتهم عند الباب بحجة أن المدرسة في الأصل مسجد، وأن ذلك أنظف، وأن ذلك يتيح للطلاب أن يقعدوا على الأرض فيأمنوا توسيخ ثيابهم، وعلق على الباب الداخلي للمدرسة لوحة فيها الآية الكريمة ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ٢٠/ ١٢] وكان هذا النظام يطبق على الجميع.. ومن شاء اتخذ حذاء آخر نظيفاً لا يلبسه إلا في المدرسة.

ومن الغرائب كذلك أن المدير اتخذ لنفسه جواسيس وعرفاء ومراقبين، يختفون في الطريق وبين التلاميذ يراقبونهم، ثم يرفعون للإدارة أخبارهم وأسماء المخالفين للتعليمات.. فينالهم العقاب النكال.

وأخيراً فقد كان من الغرائب أن المدير الذي كان يشرف على مدرسته إشرافاً تاماً؛ يقوم على مراقبة المعلمين والطلاب من خلال ثقوب قبالة الصفوف ليعرف حركات هؤلاء وهؤلاء..

**وبعد..**

فقد بقيت المدرسة الأمينية من المدارس الشهيرة إلى مدة متراخية.. ثم بدأ تلاميذها ينفضون عنها شيئا فشيئاً، حتى لم يبق فيها حتى أواخر الأربعينات من القرن العشرين تقريباً تلميذ واحد.

ولكن بقي الشيخ شريف كعادته يأتي كل يوم من بعد صلاة الفجر، ويبقى على عادته إلى ما بعد صلاة العشاء.. وربما كان يقرع الجرس في موعد الدرس وموعد الفرص، والمدرسة خالية ليس فيها أحد[1].

وأصيب الشيخ شريف بالشلل النصفي، فأغلق المدرسة، واعتزل الناس، حتى وافاه أجله عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

(١) ذكريات ٣/ ٢٣٠، تاريخ علماء دمشق ٢/ ٦٢٣.

# المدرسة السعيدية العلمية[1]

نسبة إلى مؤسسها ومديرها الشيخ محمد سعيد الشّلاح[2]، الذي افتتحها في حي مسجد الأقصاب عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م.

استأجر الشيخ من أجلها أرضاً خلف جامع السادات بالحي المذكور، وكانت حديقة متروكة، فقام بتجهيزها لتحتضن المدرسة في أقسامها؛ وهي المدرسة السعيدية العلمية للذكور، وتشمل المرحلة الابتدائية (خمس سنوات) تنتهي بالحصول على الشهادة التي كانت تسمى (السرتفيكا)[3] ثم صارت المدارس الابتدائية تشمل الصف السادس ليحصل التلميذ بعدها على وثيقة إنهاء الدراسة الابتدائية، بدل تلك الشهادة.

التزمت المدرسة بمقررات وزارة المعارف (التربية اليوم) بالإضافة إلى اللغة الفرنسية.. غير المواد الإسلامية التي كان المؤسس يعنى بها عناية خاصة، وهي:

- مادة القرآن الكريم والتجويد: وتشمل درساً خاصاً كل يوم، وساعة للتلاوة، ينهي التلميذ في الصف الثاني الابتدائي قراءة ختمة كاملة عياناً باللفظ الصحيح ومخارج الحروف السليمة. وفي الصف الثالث ختمة أخرى، وختمتين في السنة الثالثة، ومثلهما في السنة الرابعة.

- التفسير.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتيب «المدرسة السعيدية العلمية».

(٢) محمد بن سعيد الشلاح (١٨٩٢-١٩٧٣) ولد بدمشق لأسرة صالحة تعمل بالتجارة، تعلم أولاً في المدرسة السفرجلانية (انظر الحديث عنها) ثم كان معلماً فيها، وتردد على حلقات العلماء الكبار، عضو في جمعية الهداية الإسلامية للشيخ محمود ياسين، ثم كان من الأعضاء الفاعلين في جمعية حي الأقصاب الخيرية، كما كان أمين سرّ رابطة علماء سورية.. كانت له مشاركات في الثورة السورية من خلال مواقفه الوطنية. واهتم بالحياة التربوية التي تلخصت في إنشاء هذه المدرسة، وبقي يشرف عليها حتى وفاته إلى جانب حلقاته في جامع السادات، خدمة لأبناء حيّه، وقياماً بالواجب والمسؤولية. (وانظر تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ١٢٢٢، ط٢).

(٣) مر تعريفها في الحديث عن المدرسة الأمينية.

- الحديث الشريف؛ والكتاب المقرر فيه الأربعون النووية قراءة وحفظاً وتفسيراً.

- السيرة النبوية؛ للصفوف الثالث والرابع والخامس.

- الفقه؛ قسمان نظري وعملي (ويشمل الطهارة والوضوء والصلاة، وينفذ التلاميذ ذلك بحضور المعلمين لصلاة الجماعة).

- مادة السلوك والأخلاق.

هذا وتعنى المدرسة بشكل خاص باللغة العربية زيادة على مقررات الوزارة، فيحفظ التلاميذ الشعر ويتدربون على إلقاء القصائد، ويتلقون النصوص المختارة ويتعلمون الخطابة والإنشاء والخط.

ومثل هذا البرنامج الواسع يحتاج إلى حضور طويل، يبدأ منذ السابعة والنصف ولا ينتهي إلا مع غروب الشمس. ويستغرق الدوام أشهر السنة كلها؛ إذ لا تعطل المدرسة في الصيف، ولا تتوقف الدراسة إلا في أعياد الفطر والأضحى والمولد النبوي وذكرى الجلاء.

وتقوم المدرسة بنشاطات رحلات ترفيهية أيام الجمع.

يبدأ التلاميذ يومهم المدرسي بورد الصباح وبصوت جهوري واحد، بما فيه من الأدعية الواردة، يقرؤونه معاً في الاصطفاف قبل الدخول إلى الصفوف،يعقب ذلك النشيد السوري وبعض الأناشيد الوطنية والمدائح النبوية، وعند الساعة الثامنة تبدأ الدروس.

وعند الظهيرة ينصرف بعض الطلاب للغداء، ومع هؤلاء إذن خطي من أهليهم بالخروج في ورقة مخصوصة، يتسلمها البواب ليسمح لهم بالذهاب. ويبقى من أحضر طعامه ليأكل في المدرسة بإشراف أحد المعلمين المناوبين.

يوجه الأطفال إلى حفظ النعمة والاحتراس من رمي شيء من الخبز أو بقايا الطعام على الأرض أو في سلال المهملات.. بل يحفظ الزائد منها، ويشرف المعلم المناوب على اصطحاب الصغار إلى صنابير الماء لغسل أيديهم والوضوء استعداداً لصلاة الظهر، وهو يعلم المخطئين ويرشدهم إلى الوضوء الصحيح، ويعلمهم آدابه في ترشيد الماء

والحرص على نظافة البركة. كما يرشدهم إلى أوضاع الصلاة الصحيحة.. ليقوم الجميع بأذكار ما بعد الصلاة.

ويستأنف الدوام فيما بعد الظهيرة حتى الساعة الرابعة وقت انتهاء الدوام، ليبقى بعض الطلاب حتى السادسة، ممن يرغبون كتابة واجباتهم في المدرسة.

وقد عيّن المدير للطرقات ما سمي عرفاء الأزقة، وهم تلاميذ ينتشرون في حارات ما حول المدرسة لمراقبة الصغار وتسجيل أسماء من يؤذي المارة أو يطرق أبواب الجيران أو من يتصرف على نحو لا يليق، ليعاقب في اليوم التالي بالعقوبة المناسبة[1].

وعمل الشيخ سعيد على اختيار المعلمين الأكفياء، المعروفين بعلمهم الملتزمين بالسلوك الحسن، حتى إنه يرفض المعلم الذين يدخن. علّم فيها الشيخ حمدي البختيار، والشيخ أحمد مدور، والشيخ علي الطنطاوي، والشيخ أحمد المحاميد، والأستاذ جهاد البرهاني، والأستاذ عبد الرحمن المسالخي، والأستاذ محمد خير المحروس، والقاضي سعدي أبو جيب، والأستاذ رضا الكسم، والأستاذ عدنان الطرزي، والأستاذ محمد التقي، والقاضي ياسين مراد، والأستاذ أسعد النصار، والأستاذ نادر الحامض. على اختلاف في الأزمنة.

ومن المعلمين الذين أشرفوا على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه الشيخ عبد الحميد الطحان، والشيخ حمدي الأرناؤوط، وكان الأطفال يذهبون إلى الشيخ المقرئ محمد بشير الشلاح يحفظون عليه في جامع السادات أو في دكانه، بالإضافة إلى دروسه النظامية في المدرسة.

هذا ومن الطبيعي أن تقتصر المدرسة على طلاب حي مسجد الأقصاب وما حوله، إضافة إلى تلاميذ من الغوطة الشرقية، وكان أغلب طلابه من الفقراء، ولذا عمل الشيخ المؤسس على تزويدهم بالكتب اللازمة بأثمان رمزية.. كما اهتم بتوفير أدوات القرطاسية، وكان يسعى لتمويلها من أهل الخير لتغطية عجز المدرسة.

---

(١) هذا الإجراء كان يجري في بعض المدارس الرسمية أيضاً، وقد يؤدي أحياناً إلى تطبيقات غير صحيحة، فقد يكون أحد العرفاء على خصومة مع بعض زملائه، فيرفع اسمه، ويتشفى بعقوبته، لأن الأستاذ المناوب لن يسمع للطالب المرفوع اسمه. وقد ذكرنا هذا في الكلام على المدرسة الأمينية.

وكان أكثر من ثلث الأطفال يتعلمون بالمجان مع أن القسط الشهري لم يكن أكثر من ليرة ونصف الليرة[1].

وفي يوم امتحان الشهادة الابتدائية الرسمي يحضر الطلاب إلى المدرسة مبكرين، يقرؤون معاً سورة ياسين، ويلقنهم المدير دعاء الحاجة، ويسقي كلاً منهم شربة من ماء زمزم، ويبث فيهم الثقة بالله، ثم يصطحبهم إلى مركز الامتحان العام المخصص لهم.. وحين ينتهون يعودون إلى المدرسة يخبرون مديرهم عما كتبوا.

كانت نتائج التلاميذ دوماً في مقدمة نتائج التلاميذ المتفوقين في المدارس المعروفة.

ودرجت المدرسة على إقامة حفل آخر كل عام تدعو إليه العلماء والقراء ووجهاء المحلة لتكريم الأطفال الذين أتموا ختم القرآن الكريم حفظاً.. وفيه تحتفل المدرسة كذلك بالناجحين في الشهادة الابتدائية.

هذا عدا عن حفلات عديدة تقوم في مناسبات؛ كذكرى المولد النبوي ويوم الهجرة والإسراء والمعراج وذكرى غزوات النبي عليه الصلاة والسلام والأيام الوطنية. إضافة إلى احتفالات فرقة الكشافة في المدرسة (فرقة سعد بن أبي وقاص) التي تسهم مع فرق المدينة الأخرى بأدواتها الموسيقية المختلفة ومسيراتها الوطنية النهارية والليلة.

ومن النشاطات إقامة الرحلات الترفيهية أيام الجمع وخاصة في فصل الربيع وخلال الصيف، يصطحب المعلمون بعضهم إلى النزهات.

بقيت المدرسة على هذا حتى أغلقت عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م فاستمرت بذلك نحو خمس وأربعين سنة.

---

(١) كان راتب المعلم الابتدائي في الدولة نحو ١٨٠ ليرة شهرياً.

# مدرسة التهذيب الإسلامي

أسسها في ستينات القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ محمود ياسين[1]، وكانت في منطقة سوق المسكية قرب الجامع الأموي إلى غربه، ثم قدمها إلى جمعية النهضة الأدبية لتعليم الأميين.

كانت مدرسة ابتدائية أول أمرها، ثم ارتقت صفوفها نحو أوائل المرحلة الثانوية.

اعتمدت في تدريسها العلوم الشرعية والعربية إلى جانب علوم عصرية كالتاريخ والجغرافية والرياضيات والأخلاق.

تخرج بها صفوة من الطبقة المثقفة، وربى تلاميذ كان لهم الأثر الطيب في العلم والأدب. وقد اتبعت أسلوباً في التعليم يعتمد على التجديد. وقيل إنها جددت حركة التعليم وأسلوبه؛ ذلك لأن صاحبها كان متفتح العقل متنوراً، يطلع على أحوال عصره برؤية واعية، يقرأ المجلات والجرائد ويتابع أحوال البلد بخلاف بعض مشايخ عصره[2].

نقم منه الفرنسيون، فطلبوا أن يحذف من اسمها كلمة (الإسلامي) فأبى، وفضل إغلاقها.. وقد لامه بعض أصحابه على ذلك.

كان أستاذاً مربياً، مرشداً لبقاً، يسلك الطرق المبتكرة السهلة للتعليم والإفادة.

---

(١) انظر ترجمته في كتاب تاريخ علماء دمشق.

(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، مقدمة د. شكري فيصل، مشافهة الدكتور مأمون ياسين ابن المؤسس، مذكرات المؤلف.

# مدرسة وقاية الأبناء[1]

من مدارس الذكور الابتدائية التابعة للجمعية الغرّاء، أوكل الشيخ علي الدقر تأسيسها وإدارتها للشيخ حسن حبنكة[2] الميداني. فأقامها في زقاق العسكري بالميدان الوسطاني، وافتتحها سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

نشطت المدرسة، وأقبل عليها الأهالي لأنها سدّت حاجة وقتها، فتجاوز عدد تلاميذها ٨٠٠ تلميذ وهو عدد كبير آنذاك بالنسبة لعدد السكّان.

وبعد الشيخ حسن تولى إدارة المدرسة الشيخ أحمد الصابوني[3]، فلم يلبث سوى مدة يسيرة، تسلم بعده إدارتها الشيخ عبد الرحمن الدقر[4]. وهو آخر مديريها وكان من معلميها الأوائل الشيخ محمد الخطيب (أبو كامل)[5] والشيخ يوسف عرار[6]، والشيخ محمد الشريف اليعقوبي[7]، والشيخ عبد الله الراشدي، والشيخ عبد الوهاب الصلاحي[8]، والشيخ ياسين الصلاحي، والشيخ أنيس الصلاحي، والشيخ نديم الطرقجي، والشيخ محمد الخوام، والخطاط حسين بغجاتي.

قدمت المدرسة خدماتها بإشراف الجمعية واشتهرت، ثم بدأت تضعف منذ عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م إذ لم يهتم القائمون عليها بتطويرها، وخصوصاً بعدما أرسلت إليها

---

(١) المعلومات عن المدرسة مستقاة من كتاب «الشيخ علي الدقر».

(٢) انظر الحديث عن الشيخ حسن حبنكة في الباب الرابع: معاهد الجمعيات الخيرية؛ معهد التوجيه الإسلامي.

(٣) ترجمته في كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري .

(٤) ترجمته في كتاب الشيخ علي الدقر، ص٣٩.

(٥) ترجمته في علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

(٦) ترجمته في علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

(٧) ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٨) ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

وزارة التربية مديراً منتدباً. كما لم تعد أقساط الطلاب التي يدفعونها تفي باحتياجاتها الضرورية.. وظلت تقاوم إلى أن هدمت بالتنظيمات العمرانية، حين اخترقها الطريق المتحلق الجنوبي للمدينة. فوضع نهايتها.

# مدرسة سعادة الأبناء[1]

أشهر مدارس الذكور للجمعية الغرّاء.

نظم أمرها الشيخ حسن حبنكة[2] خلال ١٥ يوماً.. وكان يوم افتتاحها مشهوداً، دعي إليه الوجهاء والتجار. وتقبلها الناس بالقبول الحسن.

افتتحت المدرسة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م في مركزها بمحلة الخيضرية بحي الشاغور ثم نقلت بعد نحو عشر سنوات إلى محلة البلطجية في حي القنوات، وبعد مدة نزلت في جناح من بناء جامع تنكز (حيث معهد العلوم الشرعية للجمعية المذكورة)[3].

وفي عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م استولت الجمعية على بناء المدرسة السميساطية[4] الأثري بمحلة الكلاسة شمال الجامع الأموي، فانتقلت إليه.. وبقيت هناك حتى أغلقت عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

وصل عدد تلاميذ المدرسة إلى أكثر من ٥٠٠ تلميذ كل عام، وتخرج فيها أعداد كبيرة نالوا الشهادة الابتدائية الرسمية.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتاب «الشيخ علي الدقر».

(٢) انظر لسيرته معهد جمعية التوجيه الإسلامي في الباب الرابع.

(٣) انظر معهد العلوم الشرعية في الباب الرابع.

(٤) كانت هذه المدرسة في الأصل داراً للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه -١٠١هـ ثم آلت إلى علي ابن محمد السميساطي سنة ٤٥٣هـ، فوقفها على وجوه البر، ثم صارت داراً للفتوى في عهد مفتي الشام الشيخ عطا الكسم -١٣٥٧هـ. ثم إن دائرة الأوقاف جهزتها وأصلحتها، لتكون معهداً للقضاء الشرعي. وفي هذه الأثناء كانت الجمعية بحاجة إلى بناء مثلها لسكن طلاب العلم الشرعي فقررت الجمعية الغرّاء الحصول عليها، فلما فرغ المتعهد من تجهيزها أمرت الجمعية طلاب المدرسة أن يحتلوها، وينزلوا فيها بمتاعهم وكتبهم، فلما رأى مدير الأوقاف الشيخ عبد القادر الخطيب ما جرى أمر بإخراجهم، فلجأ الشيخ علي الدقر إلى الشيخ بدر الدين الحسني شيخ الشام وأقنعه بضرورة بقائها في طلابه، ولم يستطع مسؤول الأوقاف إلا الإذعان لرأي الشيخ بدر الدين، وكان كلامه فصلاً لا يقدر أحد أن يراجعه فيه.

كانت مناهج هذه المدرسة كمناهج الدولة، وتزيد عليها المقررات الشرعية والعربية واهتمت بدرس اللغة الأجنبية.

تولى إدارة المدرسة مدة طويلة عبد الرزاق المهايني[1] أحد أعضاء الجمعية، اشتهر بحزمه ونظامه ومتابعته، وعرف بإخلاصه.. وكان مما أحدثه فيها إقرار حصة للمطالعة الحرة، وحث التلاميذ كي يعتمدوا على أنفسهم في انتقاء الكتب، وليطلعوا على ثقافاتهم من خارج المنهاج مما يوسع آفاق معرفتهم.

ومن إحداثاته أنه صار يعقد اجتماعات بأولياء التلاميذ، يستدعيهم إلى المدرسة لمناقشة أحوال أولادهم.. وهذا لم يعرف حتى في المدارس الرسمية إلا فيما بعد.

وكان معلمو المدرسة من المعروفين المشهورين في التعليم والكفاية، تميزت بتخصص كل معلم بمادة علمية، يدخل بها على التلاميذ. في حين كانت المدارس الرسمية تعتمد معلماً فرداً للصف، يقوم بجميع المواد، وقد يتعاوره معلمان لا أكثر.

ومن معلمي المدرسة للقرآن الكريم والتجويد الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، وللعربية كل من أحمد الورع وأحمد الخالد والشيخ محمد سعيد البرهاني، والأخير يعلم الفقه أيضاً. وللفرنسية وجيه النقشبندي وأمين الأسطواني وموفق الرملي، وللرياضيات محمد نزيه المهايني ودرويش القصاص ومنير الفقير، وللإنشاء والقراءة عبد الرحمن بركات، وللكيمياء والفيزياء الصيدلي كامل بنقسلي والدكتور فتحي النحلاوي، والأخير طبيب الجمعية.. وللتربية وعلم النفس محمد خير العرقسوسي، وللكيمياء خاصة عبد الفتاح سويد، وللإنكليزية عبد اللطيف الصباغ، وللتاريخ والجغرافية محمد الشماع[2].

---

(١) ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٢) بعض هؤلاء المعلمين مترجمين في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، وعلماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

# مدرسة روضة الحياء[1]

إحدى مدارس البنات، التابعة للجمعية الغراء، تأسست في زقاق البرغل بمحلة باب الجابية عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

كانت مدرسة ابتدائية تؤهل لنيل الشهادة الرسمية (السرتفيكا)[2]، تعتمد مناهج الدولة، وألحق بها صف تمهيدي أو تحضري لبنات ما قبل المدرسة، وآخر بعد الصف الخامس لتعليم الخياطة. وتميزت في أوائل سنوات التأسيس بإتاحة المجال لكبيرات السن بالانتساب إليها في دورات محو الأمية.

أوكلت الجمعية إلى السيدة سامية ترجمان إدارة المدرسة، فكانت مهمتها تأسيسية على مدى ثلاث سنوات، ثم خلفت على إدارتها الحاجة باهية الطباع، تولتها مدّة، آلت بعدها إلى الحاجة وهيبة البقاعي[3]، فشغلتها مدة طويلة، وعرفت بها. على أن الشيخ علي الدقر كان يشرف عليها مدة حياته، ثم كان تلميذه الشيخ عبد الكريم الرفاعي[4] يتولى الإشراف، ثم آل ذلك إلى رئاسة الجمعية.

ازدهرت المدرسة، وأقبل عليها الأهالي، حتى بلغ عدد تلميذاتها أكثر من خمس مئة وخمسين تلميذة.

ومع الأيام ضعفت المدرسة، وانصرف عنها كثير من الأهالي، وتقدمت الحاجة وهيبة بالسن، فرأت الجمعية أن المدرسة تحتاج إلى إعادة تأهيل، فعينت على إدارتها

---

(١) اعتمدت في معلومات المدرسة على كتاب «الشيخ علي الدقر». وكلمة روضة هنا لا تعني ما عرف فيما بعد بروضات الأطفال دون السادسة.

(٢) مر تعريف السَّرْتفيكا في الحديث عن المدرسة الأمينية.

(٣) ترجمة الحاجة وهيبة البقاعي في «علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري».

(٤) ترجمة الشيخ عبد الكريم الرفاعي في «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري»، وفي كتاب «الشيخ علي الدقر».

شكران شحادة الرفاعي، مع حفظ مكانة الحاجة وهيبة التي جُعلت مشرفة فخرية. وتطورت المدرسة عندئذ، إذ أضافت الجمعية إلى بنائها بناء مجاوراً، فتوسعت مساحتها، لتضم ٢٦ صفاً بعد أن كانت ٦ صفوف، وأجرت الجمعية للمعلمات الجديدات دورات تدريبية في التربية، واشترت بعض وسائل مواصلات، واستأجرت أخرى، فازدهرت المدرسة، ورغب فيها الأهالي، وصارت مع نهايات القرن الرابع عشر الهجري تنافس المدارس الأخرى.

# مدرسة التربية الاستقلالية[1]

أنشأها محمود مهدي استانبولي[2] عام ١٣٦٥/ ١٩٤٥م، وكانت أولاً في منطقة سويقة ساروجة، شمال سوق الهال القديم، وضمت عشر شعب لخمسة صفوف ابتدائية[3]، ثم

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على ورثة المؤسس رحمه الله، وعلى زيارات ميدانية، ومعرفة شخصية. وتسمية المدرسة بهذا الاسم تدل على شخصية مؤسسها وتوجهه التربوي، ذلك أنه يريد إنشاء جيل قوي مستقل الشخصية لا يقلد عن عماية وإنما ينشأ على بصيرة.

(٢) محمود مهدي استانبولي (١٩٠٩-١٩٩٩) عالم باحث، أمضى حياته في خدمة التربية والتعليم، وكان له فيهما منهجه الذي دعا من خلاله إلى تربية إسلامية حديثة، ووضع من أجلها كتباً ورسائل. قال علي الطنطاوي: وهو معروف من عشرين سنة (هذا الكلام في السبعينات من القرن العشرين) بين المعلمين والمربين بأنه من أركان التربية في هذا البلد، ومن أسبق الناس إلى العناية بها والكتابة فيها، ولقد كان أول من أخرج مجلة للتربية، هي « مجلة المعلمين والمعلمات» وقام بها وحده زمناً طويلاً على قلة المال وفقد الأنصار. ولو أن هذه الكتب التي ألفها، والمباحث التي كتبها كانت مترجمة عن مسيو فلان، أو مستر علاّن لتنافس أساتذة التربية عندنا في الاقتباس منها والرجوع إليها.

ولد بدمشق وتخرج في مكتب عنبر وحصل على إجازة الحقوق وكان في سلك التعليم معلماً ومدرساً ومديراً. انخرط في جماعة الشبان المسلمين، وربما اختلف معهم في المسائل الدينية وصحب الشيخ ناصر الدين الألباني وتبنى فكره ودافع عنه في مبادئ السلفية، ولم يخلُ من خصومات معه واختلافات، وأخذ كذلك عن الشيخ عبد الفتاح الإمام، (١٨٧٠-١٩٦٠م انظر الأعلام ٤/ ٣٥) كان جريئاً فيما يعتقد، حاداً على خصومه. له كتب تربوية كثيرة ومقالات هامة تربوية في مجلة التمدن الإسلامي وكان يصدر ملحقاً فيها باسم المسلم الصغير.

أقول: يمكن أن يكون الاستانبولي مؤسس نظرية تربوية إسلامية حديثة.. تحتاج إلى من يكشف عنها من كتاباته في رسالة جامعية (ماجستير). وللشيخ الاستنابولي تجارب في المجالات التربوية قبل هذه مدرسة الاستقلالية سواء في دمشق أم في منطقة القلمون، وقطنا وداريا احتاج فيها إلى الدعم المادي والكوادر المؤهلة وقد كانت المدارس التبشيرية تؤرقه. ولئن أخفق في مشروعه التربوي، ليخرج به إلى حيّز الواقع لقد تابع جهاده في مدرسته المذكورة. وكان له اهتمام خاص بتربية الأطفال، ورأى ضرورة إنشاء روضات لهم ومدارس تقوم على أسس تربوية إسلامية صحيحة (انظر كتابه ذكريات وهو غير كتاب ذكريات للطنطاوي، مقدمة كتاب السبيل إلى أسرة مسلمة بقلم علي الطنطاوي، علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ٤٠٤).

(٣) مر أن المرحلة الابتدائية خمسة صفوف ينال الطالب بعدها شهادة الدراسة الابتدائية ثم أضيف إليها عام ١٩٥٨ الصف السادس، وكان قبل ذلك في المرحلة الإعدادية.

انتقلت إلى حي ركن الدين وأضاف إليها مؤسسها روضة أطفال لاهتمامه بتنشئة الصغار وكان أسس عام ١٩٤١ ما أسماه دار الطلبة، أحدث فيها دورات صيفية لتقوية الطلاب في المرحلتين الإعدادية والثانوية. ولإنفاق العطلة في أعمال منتجة ومسلية معاً.

# المدرسة الهاشمية[1]

أسستها عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧ جمعية المدرسة الهاشمية الخيرية في حي الصادق (حي الجورة سابقاً) غرب باب توما.

بدأت الفكرة باجتماع وجهاء الحي والناشطين من الشباب على فكرة تأسيس الجمعية المذكورة.. وحصلوا بعدها على رخصتها الرسمية، ليتألف مجلس الإدارة الأول من كل من:

د. حسن الروماني: رئيساً.

د. مصطفى الروماني: رئيساً ثانياً.

عبد العزيز شاكر: نائباً للرئيس.

السيد محمد النحاس: أميناً للسّر.

محمد علي صندوق: أمين صندوق.

السيد تحسين الصوص: عضواً.

السيد كامل شاكر: عضواً.

السيد حسين السايس: عضواً.

وكان يحضر في المجلس السيد محمد علي الصوص يساعد الأعضاء، وهو ما يزال طالباً في المرحلة الثانوية بالمدرسة المحسنية[2].

اشترى أعضاء الجمعية وأهل الخير - بتوجيه من السيد محسن الأمين[3] - بناء في الحي المذكور من أموال الحقوق الشرعية (الزكاة والخمس والصدقات والهبات)، وكان خاناً يشتغل فيه عمال النسيج، مبني على الطريقة الهندسية القديمة من اللبن والخشب،

(١) اعتمدت في هذا البحث على نظام جمعية المدرسة الداخلي ومشافهة السيد محمد علي الصوص.

(٢) وهو اليوم رئيس مجلس الإدارة (٢٠١٦م).

(٣) ترجمته في الحديث عن المدرسة المحسنية.

فأعملت فيه الجمعية يد الترميم، واستصلحته ليكون مقرّ مدرسة ابتدائية للذكور.

وهذه صورة ما جاء في الفصل الأول من نظام الجمعية الداخلي:

## الفصل الأول

## اسم الجمعية ومقرها وأغراضها

مادة (١) تؤسس في حي الجورة بدمشق جمعيّة باسم جمعية المدرسة الهاشمية الخيرية المؤسسة عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م، ويتناول نشاط الجمعيّة مدينة دمشق.

مادة (٢) أغراض الجمعية ما يلي:

أ - تعليم الطلاب الأيتام والفقراء في جميع المراحل الدراسية وعلى نفقتها.

ب - تقديم الكساء والأدوات المدرسية لفقراء الطلاب.

ج - الاهتمام بالنواحي العلمية والرياضية والأخلاقية والدينية، وتعليم تجويد القرآن الكريم وحفظه.

د - تأسيس مكتبة للمطالعة.

هـ - السعي لتأسيس مدرسة للبنات بجوار المدرسة الهاشمية.

و - لا يجوز لهذه الجمعية أن تتدخل في الأمور السياسية والعقائد الدينية.

أما بقية فصول النظام الداخلي فينطبق على مختلف الجمعيات المماثلة، بإشراف وزارة الشؤون الاجتماعية.

افتتحت الجمعية مدرستها بدءاً بالصف الأول الابتدائي، وما زالت تفتتح صفاً أعلى كل عام، حتى إذا تمت المرحلة التعليمية الأولى أحدثت مرحلة إعدادية، فمرحلة ثانوية.. وعندئذ صار اسم الجمعية المشرفة «جمعية الثانوية الهاشمية الخيرية».

ثم اشترت الجمعية أرضاً خربة في الحي نفسه شيّدت عليها بناء على الطراز الحديث من ثلاثة طوابق، وافتتحت فيه منذ عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م قسماً للإناث ضم المراحل الدراسية الثلاث، وجعلت فيه جناحاً للحضانة.

تقوم المدرسة منذ نشأتها على تدريس منهاج الدولة تماماً.

# مدارس قديمة لم تشتهر

### مدرسة القيمرية

في أدنى القيمرية، كانت قديماً للشيخ محمد المبارك تعلم فيها محمد كرد علي وعبد القادر المبارك[1].

### المدرسة السباهية[2]

وكان يديرها الشيخ حسن الأسطواني، وعلّم بها الشيخ محمد شريف النص والشيخ محمد شكري الأسطواني. وقد ذكر هذه المدرسة محمد كرد علي في مذكراته وكان من طلابها لأول عهده في المدارس.. وذكر الشدة التي فيها وقال: إن أحد الأطفال بال في ثيابه مرعوباً من المعلم، وكانوا في سدّة الجامع، فقطرت على رؤوس بعض المصلين تحت السدة قطرات من بوله[3].

### مدرسة الحيواطية

بحي الشويكة، أنشأها الشيخ محمد المبارك الكبير[4] في شبابه.

### مدرسة باب المصلى

أنشأها الشيخان محمد الشريف اليعقوبي، والشيخ صالح ابن الشيخ محمد الطيب، وتعلم فيها سهيل المهايني وصبري العسلي وعادل شيخ الأرض، ومحمد صبحي

---

(١) ذكريات ٥/ ٢٥٩. ومحمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ومؤسسه. ترجمته في أعلام الزركلي ٦/ ٢٠٢. وانظر ترجمة كل من الشيخ محمد المبارك وابنه عبد القادر في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٢) ذكريات ٥/ ٢٥٩، وشام شريف ٧٠١ لعلها في ملحقات جامع سيباي خارج باب الجابية. وتراجم المذكورين في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٣) المذكرات ١/ ١١.

(٤) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ١/ ٢٧٤. وترجمته في تاريخ علماء دمشق.

أجليقين، ومحمود بن طاهر أجليقين[1].

**مدرسة النجاح (المدرسة العربية)**

أنشأها الشيخ محمد الشريف اليعقوبي، والشيخ عبد القادر المبارك في زقاق النقيب؛ في موضع المسجد الذي بناه الشيخ كمال الدين حمزة في القرن العاشر الهجري.

ومن أشهر من علم فيها إلى جانب مؤسسيها الاثنين الشيخ محمد سليم الحنفي.

كانت هذه المدرسة تعلّم بالعربية كل دروسها، في حين كان كثير من المدارس تعلم جميع دروسها بالتركية، ولذا أطلق عليها اسم المدرسة العربية.

ضمت المدرسة ثلاثة صفوف، أرفعها الصف الأعلى، يدخله من يحسن القراءة والكتابة.

وكان لها دورها المهم في التعليم وتنشئة الطلاب، تخرج بها كل من الشيخ حسن حبنكة، والشيخ صلاح كيوان، وصبري العسلي، وسهيل المهايني، وعادل شيخ الأرض، ومحمد أجليقين، ومحمود أجليقين، وحمدي الطرابلسي[2].

**مدرسة زقاق المحكمة**

أنشأها الشيخ محمود الحمامي.

**مدرسة الإرشاد والتعليم**

أنشأها أحمد بن يلّس التلمساني في مئذنة الشحم، وساعده فيها الشيخ علي الدقر والشيخ هاشم الخطيب[3]. والمظنون أنه افتتحها نحو ستينات القرن الرابع عشر الهجري وبقيت حتى وفاته.

---

(١) د. محمد شريف الصواف في كتابه عن جدّيه؛ الشيخ عارف الصواف الدوجي والشيخ محمد الشريف اليعقوبي. (خ).

(٢) السابق (خ) . والأعلام المذكورين تبوّؤوا مناصب ذات شأن في الحياة.

(٣) الشيخ أحمد بن يَلّس (١٨٩٩-١٩٥٩م) ولد في تلمسان وهاجر إلى دمشق عام ١٣٢٩هـ وتوفي بها (تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ٩٣٨).

### مدرسة النهضة العلمية

افتتحها في حي العقيبة الشيخ عبد الحميد اكرَّيم[1] في حدود سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م. وكان من معلميها أنور المرابط وموفق الرملي ومن تلاميذه الإخوة عدنان وهاني ومازن المبارك.

ملحوظة: يرى الدكتور محمد شريف الصواف أن بعض المدارس الخاصة كان متواضعاً جداً، إلى درجة أنه لم يكن فيها غير معلم واحد يقرئ المواد جميعها (شام شريف خ).

### مدرسة الأدب الإسلامي

أسسها في زقاق الشطي بالعمارة الشيخ أمين الحنفي.

### مدرسة التوفيق

أشرف عليها الشيخ محمد بهجة البيطار في الميدان.

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ١٢٤٨ وفيه ترجمته (١٨٩٩-١٩٧٦م).

# مدرسة التوفيق

حضرة الوجيه الامثل

تحية وسلاماً ( اما بعد ) فقد تمت بتوفيق الله وعنايته اصلاحات المدرسة بأجمعها ، وتوفر لديها سائر ما يلزم للمدارس من المعدات والادوات ، ولذلك فقد قررنا بعد مشيئة الله تعالى اقامة حفلة المدرسة الافتتاحية في الساعة ( ٨ غروبية ) من ( يوم الجمعة في ١٨ صفر ١٣٤٨ )
بحضور اهل الوجاهة والفضل ، فالرجاء ان تشرفوا المدرسة في الوقت المعين — وهي دار المرحوم فارس آغا حناحنت ، الكائنة في اوائل الميدان الفوقاني — لا زلتم انصار الفضل والعرفان

رئيس المدرسة

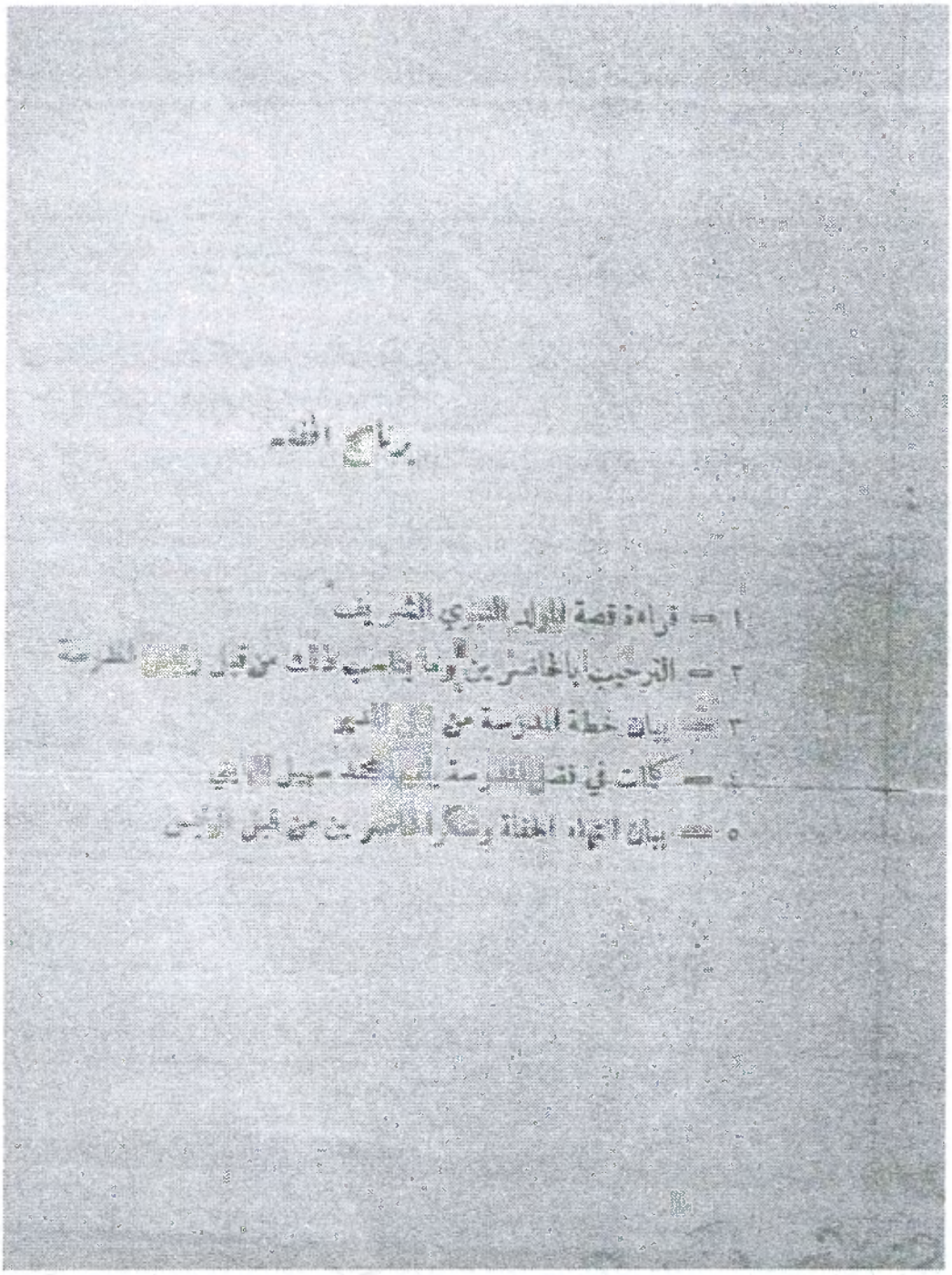

برنامج الحفل

١ - قراءة قصة المولد النبوي الشريف

٢ - الترحيب بالحاضرين وما يناسب ذلك من قبل [illegible]

٣ - بيان خطة المدرسة من [illegible]

٤ - كلمات في نفس المدرسة [illegible]

٥ - بيان اتجاه الحفلة وشكر الحاضرين من قبل [illegible]

# خلاصة ونتائج
# فيما يخص المدارس الابتدائية

مما سبق من الحديث عن المدارس الابتدائية نخلُص إلى النتائج الآتية.

١) اتخذت المدارس أمكنة لها المدارسَ الأثرية القديمة التابعة لوزارة الأوقاف كالمدرسة الجقمقية شمال الجامع الأموي، وكالمدرسة الأمينية بسوق الحرير، والمدرسة الريحانية، والمدرسة الجوهرية وكلتاهما قرب ضريح السلطان نور الدين الشهيد، ومدرسة الشيخ أحمد دهمان في المدرسة العادلية الصغرى بمحلة العصرونية.. وهكذا. وأطلقت على نفسها أسماءها.

٢) اعتمد غالب هذه المدارس مناهج وزارة المعارف، مع الاهتمام بالعلوم الإسلامية واللغة العربية، وحسن الخط[١].

٣) قام بالتعليم في هذه المدارس جماعة من العلماء الشيوخ والشباب المعروفين في البلدة، وكانوا هم أعلام البلد، ولم يكونوا بالطبع من حملة شهادات التربية، وإنما قرؤوا في المساجد، على أهل العلم الكبار، وقد خدموا المدارس بإخلاص، فتخرج بهم طلاب ظهرت منهم طبقة صالحة تابعت حتى الجامعة[٢].

٤) قامت هذه المدارس الأهلية بجهود الأفراد من العلماء والتجار، ولم تكن تتقاضى إلا القليل من الأقساط المالية.. مما يضمن استمرارها، كما لم يكن المعلمون فيها

(١) ذكريات ١/ ٩١. وقد تميز الجيل الذي تخرج بها بجودة خطه وجماله، وغالباً ما كان خط الرقعة.

(٢) قال علي الطنطاوي: كان القائمون على هذه المدارس شيوخاً صالحين، يخافون الله، ويحرصون على تنشئة الأولاد على خوف الله؛ ذكر منهم الشيخ محمد بهجة البيطار والدكتور رفيق السباعي والشيخ حامد التقي، وأنور سلطان وسعيد الأفغاني وسليم الزركلي الشاعر، وجميل سلطان وزكي المحاسني وأمجد الطرابلسي وسعيد مراد، والشيخ محيي الدين الخاني وعبد الرحمن السفرجلاني وعلي الطنطاوي والشيخ زين العابدين التونسي (ذكريات ٢/ ١٠٤، ٥/ ٢٥٩، ٨/ ٣٠٩).

يتقاضون سوى الأجور القليلة التي لا تناسب جهودهم العلمية التي يبذلونها[1].

٥) كانت الروح العربية والتاريخ الإسلامي هما الشائعان في تلك المدارس، وكان ذلك ردّاً على نزعة الطورانية التركية التي أشاعها حزب الاتحاد والترقي الحاكم؛ فضلاً عن اهتمام المسلم الغيور بلغة القرآن وتاريخ الإسلام.

٦) لم يكن للحكومة أي تدخل بهذه المدارس، لا في مناهجها، ولا في الإشراف عليها، ولا في اختيار معلميها[2]. وكان بعضها يهيئ تلاميذه لدخول امتحانات الدولة في الشهادة الابتدائية (السرتفيكا).

٧) معظم المدارس الابتدائية الأهلية كانت بجهود أفراد، ما عدا بعضها فكانت بجهود جمعيات مثل الإسعاف الخيري والجمعية الغراء.

٨) كانت المدارس الأهلية في النصف الأول من القرن الرابع عشر هي الأكثر عدداً بالقياس إلى مدارس الدولة (الأميرية) وكان إقبال التلاميذ عليها أكثر[3]. وقد تخرّج عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٢م من مدارس الحكومة مئات الأولاد، لأنها ـ برأي العلماء ـ تمشي على غير الجادة بعيداً عن الدين، ودعا بعض المشايخ إلى مقاطعتها.. ودعوا إلى افتتاح مدارس أهلية[4].

٩) كانت هذه المدارس الابتدائية للذكور، ليس فيها غير مدرسة واحدة للإناث[5].

أما سلبيات المدارس الأهلية فذكر العارفون عنها ما يأتي:

---

(١) كانت المدرسة الريحانية تتقاضى من طلابها مبالغ بسيطة، وكان علي الطنطاوي يتقاضى على الساعة التدريسية الواحدة في المدرسة الأمينية أربعة قروش إلا ربعاً، قال: وهذا شيء لا يشتري خبزاً، ولا يشبع أسرة. وقال أيضاً: وهناك مدارس تدفع أعلى (ذكريات ١/ ٢٨٠) وما أظن ذاك الأعلى بفارق واسع.

(٢) ذكريات ٥/ ٢٥٦.

(٣) ذكريات ٥/ ٢٥٦، ولم يكن في دمشق أول عهد الانتداب الفرنسي سوى أربع مدارس رسمية؛ هي أنموذج البحصة، وأنموذج الملك الظاهر (وهي أقدمها) وأنموذج الميدان، وأنموذج المهاجرين (ذكريات ١/ ٨٥).

(٤) ذكريات.

(٥) أول من سعى لافتتاح مدارس البنات الرسمية الشيخ طاهر الجزائري (توفي ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م). انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

١) حرص المعلمون على أن يستظهر التلاميذ معلومات الدرس أكثر مما حرصوا على إفهام التلاميذ، فكانوا يلقنونهم ما لا تتسع له مداركهم[١].

٢) مع أن هذه المدارس حرصت على تعويد طلابها أداء الواجبات والبعد عن المحرمات إلا أنها كانت تسلك في التربية أسوأ السبل[٢].

٣) اعتمد كثير من المعلمين في هذه المدارس أسلوباً في التربية غير مرضي، من ذلك مثلاً أنهم كانوا يراقبون التلاميذ في المدرسة ويبعثون من يراقبهم في الطريق من زملائهم، يرفعون بهم تقارير سرية إلى المدير.. يعلمونهم بذلك التجسس على إخوانهم[٣].

٤) كانت شدة بعض المعلمين غير مقبولة[٤].

٥) ولم تكن الشدة في العنف الجسدي فحسب، وإنما كانت في قسوة الامتحانات الكتابية والشفوية أواخر العام، فلم يكن يتهاون المعلمون بها، فلا ينتقل التلميذ من

---

(١) ذكريات ٥/ ٢٦٠.

(٢) قال علي الطنطاوي: تقدمت الدنيا، وارتقى التعليم، وهي في مكانها، لا تشعر بهذا التقدم، ولا تحس بهذا الارتقاء (ذكريات ٥/ ٢٥٦).

(٣) ٨/ ٣٠٩.

(٤) أفاض علي الطنطاوي في كتابه (ذكريات) في الحديث عن تلك الشدة، وكان مما قال: كان بعض المعلمين يضرب الأولاد ضرب مجرم معتد، أو طالب ثأر يتشفى بالانتقام، وكانت عمدة التربية الفلق وعصا الخيزران هما العنوان، وكان الآباء يعاونون المعلمين على هذا، فيقولون لمدير المدرسة أو المعلم حينما يسلمون أولادهم إليهما: لك اللحم، ولنا العظم؛ قال: فما ظنك بأمة تنشأ كما ينشأ عبيد العصا؟ (ذكريات ٣/ ٢٢٣، ٥/ ٢٥٦، ٨/ ٣٠٩).

وقال أيضاً: كان لنا معلم شيخ كبير، يحبسنا ونحن أطفال، لا يدعنا نخرج من المدرسة حتى نكتب ألف باء كلها في ألواحنا الحجرية ٢٤ مرة؛ نكتبها ليراها وليمحوها، ثم نكتبها ليراها ونمحوها... إلى أن يضطر أحدنا أو يزعم أنه مضطر للخروج إلى المرحاض، فيسمح له بدقائق، إن زاد عليها ازدادت عليه ضربات الخيزران، وجيل الخمسينات للقرن العشرين يعرف هذا حينما كان في المدارس الابتدائية (ذكريات ١/ ٣١).

وقال أيضاً: كان محمود العقاد مدير المدرسة الجقمقية يشدّ أرجل الطلاب في الفلق، ويقرعها بالعصا.. وكان التلاميذ إذا خرج عليهم وهم في الفرصة (الفسحة) يصرخون؛ صمتوا فجأة وكمّت أفواههم (ذكريات ١/ ٧٠) أي لئلا تنزل بهم قارعة من حيث لا يدرون.

أقول: على أن الزمن كله كان على هذه الشاكلة؛ ففي البيت يخشى الأولاد آباءهم ويهابونهم، وفي دوائر الدولة يحسبون حساب المدير.. وهكذا.

صف إلى أعلى إلا بعد الجهد الجهيد، وكان جيلنا نحن في الخمسينات يشهدون الكثرة الكاثرة من طلاب الابتدائيات، وهم يعانون الرسوب المتكرر حتى يسأم منهم أهلهم، فيخرجونهم من المدرسة إلى المهن.

٦) لم تعرف المدارس الأهلية الابتدائية عطلة صيفية كشأن المدارس الرسمية، إلا عطلة يوم الجمعة وعطل الأعياد الدينية فحسب، وكان الناس آنذاك لا يحتملون تعطيل المدارس الرسمية، فيأخذون أولادهم المسجلين فيها ليقضوا الصيف في المدارس الأهلية التي تمتلئ إذا فرغت الأخرى[1].

(١) ذكريات ٨/ ٣١٦.

# الباب الثاني

# المدارس الثانوية الرائدة

تمهيد

أولاً ـ مدارس الذكور

- المدرسة التجارية
- المدرسة الكاملية الهاشمية
- الكلية العلمية الوطنية
- المدرسة المحسنية

ثانياً ـ مدارس الإناث

- المدرسة اليوسفية
- الكلية العلمية الوطنية (فرع الإناث)
- دوحة الأدب.

# تمهيد

لم يكن في دمشق أواخر القرن التاسع عشر من المدارس الثانوية سوى مدرسة رسمية واحدة هي (المكتب الإعدادي الملكي) الذي اشتهر باسم مكتب عنبر في حي القيمرية[1] وافتتحت معها دار للمعلمين[2]، ثم افتتحت (المدرسة السلطانية الثانية) في منطقة البحصة قرب ساحة الشهداء (المرجة)، وكانت هذه قسمين ابتدائي وثانوي[3].

وكان إلى جانب ذلك مدرسة ثانوية للبنات، ومعها كذلك دار للمعلمات[4].

وعرف بدمشق مدارس متوسطة بين الابتدائية والثانوية، كانت تسمى المدارس الرشدية، استحدثت فيما يبدو أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. منها ما هو للذكور، ومنها ما هو للإناث[5].

لا يهمنا هنا الحديث عن هذه الثانويات؛ لأنها خارج بحثنا المخصص للمدارس الأهلية غير الرسمية؛ وهي خمس: المدرسة التجارية، والمدرسة الكاملية، والكلية العلمية الوطنية بفرعيها الذكور والإناث، والمدرسة المحسنية، والمدرسة اليوسفية. وسنقف عندها بما وصلنا من معلومات عنها، مشيرين إلى أن في غالبها أقساماً لتلاميذ الابتدائية، أو بدأت ابتدائية ثم ترقت إلى المرحلة الثانوية ولا تقتصر على التعليم الثانوي وحده ولذلك سميناها المدارس الثانوية الرائدة.

---

(١) للتوسع في معرفته انظر «مكتب عنبر» لظافر القاسمي و«النور والنار في مكتب عنبر» لمطيع المرابط و«التعليم في سورية» لخالد قوطرش، الفصل المتعلق به.

(٢) ذكريات ٨/ ٣٠٦

(٣) السابق ٣/ ٢٦٥.

(٤) السابق ٨/ ٣٠٦.

(٥) السابق ٨/ ٣٦٩.

هذا، ويعدُّ تأسيسُ هذه المدارس - التي تتابعت في الظهور - مرحلةَ طفرة تعليمية ثقافية، تدل على إدراك العلماء وأعيان البلد الحاجة الماسة إلى التعليم المتطور، وأن مدارس الدولة لم تكن كافية.. كما يدل على تطور مدينة دمشق بسبب الأحداث التي جرت فيها، وغيرت الحياة إثر انسحاب حملة إبراهيم باشا[1] عليها والتداعيات التي حصلت بعدها.

(١) دمشق الشام، انظر الفصل المتعلق بعنوان دمشق في التاريخ، الصفحات ١٨٢ وما بعد. وكانت الحملة ما بين عام ١٨٣٠ و١٨٤٠م. وانظر لترجمة إبراهيم باشا المصري الأعلام ١/ ٧٠. وكذلك علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري ١/ ٤٤٣.

# أولاً ـ مدارس الذكور

## المدرسة التجارية العلمية[1]

افتتحت على الأغلب عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م[2]، شمال شرق الجامع الأموي، وكان اسمها بالتركية «اتحاد وترقي مكتبي إعدادي سي» ومعناها مدرسة الاتحاد والترقي الإعدادية. ثم أطلق عليها اسم «المدرسة التجارية» لما زال الحكم والتركي، لئلا يشتبه اسمها باسم جمعية الاتحاد والترقي[3] التي أسقطت حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وحكمت البلاد حكماً استبدادياً. وجاءت تسميتها الجديدة لأنّ جماعة من التجار كانوا يمولونها، وينفقون عليها[4]، وكانت وقتها أكبر مدرسة ثانوية في البلد.. وكانت تجمع المراحل التعليمية الثلاث؛ الابتدائية والإعدادية والثانوية. كما كان فيها قسم للحضانة.. ومجموع الدراسة فيها ١٢ سنة.. وتقبل شهادتها في الجامعة[5].

وكان لكل مرحلة من المراحل المذكورة مدير مكلف بها، يرجعون كلهم إلى المدير العام الشيخ مصطفى الطنطاوي.. ثم خلفه عليها الشيخ مراد سوار ومن مديرها شكري بك عابدين، ثم كان من الشيخ محمود العقاد[6].

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على ذكريات علي الطنطاوي.

(٢) من حارتي القيمرية ٦٧.

(٣) ذكريات ١/ ٢٩، ٣٠، ٨/ ٣٠٧.

(٤) السابق ٨/ ٣٥، ٣٠٧. وجاء في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ١٢٤٠، ط٢، أن هذه المدرسة انبثقت عن جمعية السمحاء التي أسسها الشيخ أبو الخير الميداني، والشيخ محمود العقاد. أقول: ربما يكون هذا هو التأسيس الثاني حين تأخرت المدرسة التجارية بخروج الأتراك.

(٥) السابق ١/ ٢٩، ٥١، هذا يوم كانت في الجامعة مدرستان مدرسة الطب ومدرسة الحقوق.

(٦) ذكريات ١/ ٢٩، ٣٠، ٤٥، ٨/ ٣٠٧، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ٢٤٠ ط٢.

كان يعلّم في التجارية أكابر المشايخ العلوم الشرعية والعربية، كما علّم فيها قادة الجيش التركي العلوم الرياضية والطبيعية، وفيها أقرأ مدير معارف سورية هاشم الفصيح[1].

وكانت المدرسة تعلّم إلى جانب العلوم المذكورة في اللغة التركية، مبادئ الفرنسية، كما عُنيت كشأن المدارس الأخرى بحسن الخط، يعلمه خطاطو دمشق الكبار. واهتمت المدرسة كذلك بالرياضة البدنية، وأقامت من أجلها ملعباً فنياً فيه من الأدوات الرياضية ما كان يعد جديداً جداً آنذاك. كما كانت من أوائل من اعتنى بالتمثيل، يوم كان ذلك مكروهاً عند الناس[2].

قال الشيخ علي الطنطاوي: كانت المدرسة تنهج منهج مديرية المعارف (التربية اليوم) وتزيد عليه العناية بالعلوم الإسلامية، ولكن تدريسها سيء الأسلوب، معوج الطريقة، ولا أذكر لمدرس من مدرسيها أثراً في نفسي[3].

تخرج في هذه المدرسة كثير من الطلاب الذين حصلوا فيما بعد على شهادات الطب من دمشق أو استانبول كالدكتور محمد سالم والدكتور طاهر الطنطاوي، ومن خريجيها سهيل الخياط وفؤاد المحاسبي النائب العام وعلي الطنطاوي ورئيس الوزراء الأسبق خالد العظم وصبحي القوتلي (الرئيس الثاني لمحكمة النقض) وغيرهم من الطبقة التي تسنمت الوظائف العالية، وبعض هؤلاء صار معلماً فيها[4].

تأخرت المدرسة بانتهاء الحرب العالمية الأولى بعدما خرج الأتراك من الشام عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وتقلص دورها حتى أغلقت، جنى عليها اسمها الذي كان على اسم جمعية الاتحاد والترقي التي كان يمثلها هؤلاء الأتراك.. ولم يكن لها علاقة بتلك الجمعية البتة[5].

---

(١) ذكريات ١/ ٥١، ٥٢.

(٢) السابق ٣/ ١٤٩، ١٥٢، ٨/ ٣٠٧.

(٣) السابق ١/ ٤٦.. ولعل هذا الذي يذكره الطنطاوي في المرحلة الابتدائية.. ولكنه ذكر في مكان آخر أن شهادتها تخول الدخول إلى الجامعة.

(٤) ذكريات، ١/ ٥١.

(٥) ذكريات ١/ ٤٩.

قال الشيخ علي الطنطاوي: وفُتح مكانها مدرسة ابتدائية يديرها الشيخ محمود العقاد[1] في حي القيمرية بحارة العطار، ومن ذلك الوقت ارتبط اسمها بالشيخ محمود[2].

قال حسان زكي النشواتي: ارتبط اسم المدرسة التجارية باسم صاحبها الشيخ محمود العقاد[3] (-١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) الذي عرف بقسوته مع حرصه على تربية أبناء الحي التربية القويمة وغرس روح العلم في نفوسهم.

واستمرت بإدارته حتى عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

---

(١) ذكريات ٣/ ٢٢٨، ٢٨٠، وفي كتاب من حارتي القيمرية ص٦٧ أنها كانت في زمن الشيخ محمود الذي انفرد بها مدرسة تضم المراحل التعليمية الثلاث. ثم انتهت ابتدائية بفرعيها الذكور والإناث.

(٢) من حارتي القيمرية السابق.

(٣) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. ويبدو أن المدرسة آلت ملكيتها إليه.

# المدرسة الكاملية الهاشمية الثانوية[1]

أسسها الشيخ كامل القصاب عام (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م). كانت أول أمرها تدعى المدرسة العثمانية، ثم سميت الكاملية الهاشمية الثانوية نسبة لاسم مؤسسها تفريقاً لها عن المدرسة العثمانية في بيروت[2].

ثم صدر أحد بياناتها وفيه أنها مرخصة من وزارة المعارف عام ١٣٤٩/ ١٣٥٠هـ=١٩٣٠/ ١٩٣١م، والبيان مذيل بعبارة «وجّه عنايتك إلى أن تكون خير عضو في بيتك، وعاملاً صالحاً في دائرتك، ووطنياً مستقيماً في وطنك، فإن ذلك يورث حياتك قيمة لا تقدر بثمن».

والشيخ كامل القصاب المولود بدمشق عام (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) من زعماء الحركة الاستقلالية أيام الحكم التركي والانتداب الفرنسي، كان منصرفاً إلى الفتوة في شبابه الأول[3]، وعجب أهل حي العقيبة وهو من سكانها يوم رأوه يدخل مسجدها فجأة، فينزل غرفة فيه، وينقطع إلى العلم، وأمضى في اعتكافه أعواماً تفقه فيها، وبرع في علوم العربية والقراءات، ثم خرج إنساناً آخر، فأنشأ المدرسة المعروفة باسمه.

انتسب الشيخ كامل إلى جمعية العربية الفتاة السرية، فانتدبته للسفر إلى مصر، ومقابلة القائمين فيها باستقلال العرب عن سلطان الترك والاتفاق معهم على خطط العمل، فدخلها مظهراً أنه يريد شراء كتب لمدرسته، وعاد، فاعتقله الأتراك، فحدثهم عن كتب المدرسة، فأفرجوا عنه، وظل يعمل في الخفاء حتى قامت الثورة العربية في الحجاز، فتوجه متخفياً إلى

---

(١) اعتمد هذا البحث على كتاب جمعية العلماء بدمشق، وذكريات علي الطنطاوي.

(٢) جمعية العلماء بدمشق.

(٣) الفتوة في مصر يقابلها في دمشق الزغرتيّة، والزغرتي رجل من عامة الناس، تغلب عليه الأمية إلى ادعائه الشهامة، وكان هؤلاء الزغرتية يخدمون الناس، وربما يفرضون الأتاوات على التجار ادعاء بأنهم يحمونهم . وكان لهم شأن في حارات دمشق.

مكة، فكان أبرز العاملين في لجنتها الوطنية. واحتل الفرنسيون سورية فغادرها، فافتتحوا قائمة أحكام الإعدام باسمه، وكان من المحرضين على الخروج لملاقاتهم في ميسلون.. و ولاه الملك عبد العزيز آل سعود إدارة المعارف في الحجاز، فأقام قليلاً، واستعفى، ثم استقر في حيفا، وأنشأ مدرسة، واتصل بالمجاهد عز الدين القسام، فألف معه كتاب «النقد والبيان» في البدع المنهي عنها، ثم محيت أحكام الإعدام بدمشق فعاد إليها.. وعين رئيساً لجمعية العلماء التي تمخض عنها أمور مهمة، منها افتتاح الكلية الشرعية[1].

وقال عنه علي الطنطاوي: كان الشيخ كامل القصاب رجلاً له الصدارة بين المربين وبين السياسيين وبين المصلحين.. شارك في وضع أساس التعليم في السعودية[2].

قامت الكاملية في دار القرآن والحديث التنكزية[3] بمنطقة سوق البزوريين، وقد أنفق في سبيل إنشائها من ماله ووقته؛ وعمل على إصلاحها وترميمها، إذ كانت مهملة، واحتاج إلى توسيعها فبنى فيها أبنية علوية وسفليّة[4].

وتوفر الشيخ كامل على إدارتها بنفسه، وأشرف عليها إشرافاً، ماساً ما يقرب من ربع قرن وعرف عنه حزمه وجدّه في إدارته[5]. ينتقي لها الأساتذة المهرة.

ولما كان الشيخ من دعاة القومية العربية وحب العروبة والإسلام فقد سكب عليها من روحه، قال الزركلي: وهي من أوائل العوامل في بعث الروح القومية العربية[6] ولذا فقد حمل رسالة شاملة، وأراد لذلك أن يبني الإنسان، فجعل مدرسته للمراحل المدرسية كلها.

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ٦٥٧. وفي الأعلام ٧/ ١٣ وقال فيه: أنشأ المدرسة الكاملية وكانت من أوائل العوامل في بعث الروح القومية العربية. وجمعية العلماء بدمشق.

(٢) جمعية العلماء بدمشق. وانظر الكلام عن الكلية الشرعية في الباب الرابع عند الحديث عن معاهد الجمعيات لجهوده الأساسية فيها.

(٣) أنشأها الأمير تنكز نائب الشام سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م.

(٤) منادمة الأطلال ٦٤، ذكريات ٧/ ٨٩.

(٥) جمعية العلماء بدمشق.

(٦) الأعلام ٧/ ١٣.

# بيـــان

# المدرسة الكاملية الهاشمية الثانوية

# بدمشق

المرخصة من وزارة المعارف الجليلة

المعادلة درجتها للمدارس الإعدادية ذات سبع السنين

لعام ١٣٤٩-١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠-١٩٣١م

وجه عنايتك إلى أن تكون خير عضو في بيتك، وعاملاً

صالحاً في دائرتك، ووطنياً مستقيماً في وطنك، فإن

ذلك يورث حياتك قيمة لا تقدر

١٣٤٩هـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٣٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

ارسل الله سبحانه وسبحانه رسله وجعلهم مبشرين ومنذرين ليرشدوا الخلق ، ويهدوهم الى الصراط السوي صراط العزيز الحميد . ثم ختم النبوات بنبوة محمد الامين عليه صلوات الله وسلامه واتم الهداية بنور الدين القويم ليظهره على الدين كله .

ارسل الله سيدنا محمداً معلماً للخير ومرشداً لما فيه صلاح الناس وسعادتهم الدنيوية والاخروية وانزل عليه كتاباً عربياً ليدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب فاهتدى بهديه اناس عمروا الارض وسادوا وضل عنه آخرون فاستضعفوا واستكانوا .

تأسست هذه المدرسة منذ ست وعشرين سنة لتقوم بواجبها نحو هذه الامة بتعليم ابنائها تعليماً صحيحاً وتهذيبهم تهذيباً كاملاً ولترجع بهم الى عهد الصدر الاول عهد العز والافتخار وليتمسكوا بدينهم القويم دين الحضارة والعمران فسارت وراء الغاية المنشودة مذللة الصعاب آخذة في التقدم شأن كل عمل يقصد منه الاصلاح والارشاد حتى

٣

اتت الحرب العالمية الكبرى ثم ما تبعها من الاضطرابات وسوء الاحوال فصدت بنا عن مواصلة السعي ومتابعة السير وحالت بيننا وبين بلوغ الامنية وادراك الغاية المقصودة

ولما كان الواجب الديني والوطني يدعونا للعودة ومتابعة الطريق الذي بدأناه والسير على المنهاج الذي رسمناه اتينا اليوم راجين من الله تعالى المعونة والتيسير موطدين النفس على بذل المجهود ساعين ان شاء الله تعالى لما فيه خير هذه الامة وصلاحها

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله).

نائب الرئيس
المحامي
محمد كامل القصاب

المدير
احمد جودة الاردبيني

جعل مدرسته مراحل أربعاً؛ القسم التحضيري والدراسة فيه سنتان. والقسم الابتدائي يدرس الطالب فيه خمس سنوات، ليرتفع إلى القسم الثانوي ليتمه في أربع سنوات، في حين خصص قسماً سماه القسم العلمي لتكون الدراسة فيه خلال ثلاث سنوات.

وبالإضافة إلى هذه الأقسام افتتح الشيخ في الدرس شعباً متخصصة ثلاثاً؛ الشعبة التجارية والدراسة فيها سنتان، وشعبة اللغة الفرنسية، وشعبة اللغة الإنكليزية، لم يحدد فيها المدة، ولعلهما كانتا تعلمان الطلاب على شكل دورات مستقلة.

هذا والإعلان المرافق الذي نشرته المدرسة يحكي نظام الدراسة فيها:

مدرستنا من المدارس الثانوية، المقبولةُ شهادتُها لدى الجامعة السورية، وهي تؤهل طلابها للبكالوريا السورية.

## أقسام المدرسة

في المدرسة أربعة أقسام:

١) القسم التحضيري: مدة الدراسة فيه سنتان.

٢) القسم الابتدائي: مدة الدراسة فيه ٥ سنوات.

٣) القسم الثانوي: مدة الدراسة فيه ٤ سنوات.

٤) القسم العلمي: مدة الدراسة فيه ٣ سنوات.

## شعبها

وفيها ثلاث شعب:

١) الشعبة التجارية: مدة الدراسة فيها سنتان.

٢) شعبة اللغة الفرنسية.

٣) شعبة اللغة الإنكليزية.

## لغات المدرسة

اللغة العربية: هي لغة المدرسة الأساسية.

اللغة الإفرنسية: تُدرَّس في كافة أقسام المدرسة.

اللغة الإنكليزية: تدرس في الشعبة الخاصة، وفي الشعبة التجارية.

## علوم المدرسة

القرآن الكريم، التجويد، التفسير، العقائد، الحديث، مصطلح الحديث، الفقه، أصول الفقه، المجلة الشرعية، الفرائض، الأخلاق، الفلسفة، الحساب، الهندسة، الرسم الخطي، الجبر، المثلثات، الفَلَك، الحساب النظري، الميكانيك، مسك الدفاتر التجارية، التاريخ، الجغرافية، الحقوق الأساسية، الاقتصاد، علم النفس، الحكمة الطبيعية، الكيمياء، علم النبات، علم الحيوان، علم طبقات الأرض، حفظ الصحة، علم منافع الأعضاء، الزراعة، قانون التجارة، الاختزال والآلة الكاتبة، علم الخط، الرسم، الأشغال اليدوية، الموسيقى والأناشيد، الرياضة البدنية.

## القسم التحضيري

يُدرَّس في هذا القسم: القرآن الكريم والتعليم الديني، واللغتان العربية والإفرنسية، والحساب، والخط، والأناشيد والرياضة البدنية.

## القسم الابتدائي

يُدرَّس في هذا القسم: القرآن والتجويد، والعقائد، والفقه، والأخلاق، والسيرة النبوية، واللغة العربية، والإملاء والقراءة والمحادثة، والصرف والنحو، والإنشاء والمحفوظات والخطابة.

واللغة الإفرنسية: إملاءً وقراءة ومحادثةً وقواعد صرفية ونحوية، وإنشاء، ومحفوظات وخطابة وخطاً.

والحساب والهندسة، ومسك الدفاتر، والتاريخ والجغرافية، ودروس الأشياء، والصحة، والدروس الزراعية، والمعلومات المدنية والخط والرسم، والأشغال اليدوية، والأناشيد العربية والإفرنسية، والرياضة البدنية والموسيقى.

٨

يدفع المرتب السنوي على اربعة اقساط :

| | | |
|---|---|---|
| القسط الاول | في اول | ايلول |
| « الثاني | « « | كانون اول |
| « الثالث | « « | آذار |
| « الرابع | « « | حزيران |

يحسم للاخوين ٥ ٪ وللثلاثة ١٠ ٪

مواد عامة

١ — اذا تأخر الطالب عن تأدية القسط عند استحقاقه فالمدرسة معذورة في عدم السماح له في الدخول الى قاعة الدروس .

٢ — اذا ترك الطالب المدرسة مختاراً او اخرج منها بناء على قرار الادارة لمخالفة النظام والآداب فلا يحق له استرداد شيء مما دفعه من القسط .

٣ — تعطل المدرسة ايام الاعياد الرسمية .

( جمعيات المدرسة )

تألف الجمعيات الاتي بيانها من طلاب المدرسه وهي :

الجمعية الخيرية وجمعية الخطابة والتمثيل والالعاب الرياضية والموسيقى والكشاف

( دروس ليلية )

قد افتتحت ادارة المدرسة شعبتين ليليتين : الاولى لتعليم الاميين — الديانة والقرآن الكريم والتجويد واللغة العربية والحساب — والثانية لتعليم اللغة الافرنسية فعلى من يرغب متابعة هذه الدروس ان يبادر الى قيد اسمه في ادارة المدرسة .

## القسم الثانوي والعلمي

### يُدرَّس في هذا القسم:

القرآن الكريم والتجويد: يستظهر التلاميذ بعض الأجزاء القرآنية الكريمة، والتفسير، والعقائد، والحديث، ومصطلح الحديث، والفقه، وأصول الفقه، والمجلة الشرعية، والفرائض، والمنطق، والأخلاق.

واللغة العربية: الإملاء والقراءة والصرف والنحو، والإنشاء والمحفوظات، والخطابة، والمعاني والبيان والبديع، والعروض وقرض الشعر، وتاريخ الآداب العربية.

واللغة الإفرنسية: إملاء وقراءة ومحادثة وخطاً، وصرفاً ونحواً وإنشاء، ومحفوظات وخطابة، وترجمة وتعريباً، وتاريخ الآداب الإفرنسية.

والحساب، والهندسة، والرسم الخطي، والجبر، والمثلثات، والفلك، والحساب النظري، والميكانيك، ومسك الدفاتر التجارية.

والتاريخ والجغرافية والحقوق الأساسية والاقتصاد، والفلسفة، وعلم النفس، والحكمة الطبيعية، والكيمياء غير العضوية والعضوية، وعلم النبات، وعلم الحيوان، وعلم طبقات الأرض، وحفظ الصحة وعلم منافع الأعضاء، والرسم والخط والموسيقى والرياضية البدنية.

### الشعبة التجارية

يشترط للدخول في هذه الشعبة أن يكون قد أتم الطالب دراسة القسم الابتدائي ويَدرس فيها: العلومَ الدينية، واللغات العربية، والإفرنسية، والإنكليزية، والحساب والدوبيا (مسك الدفاتر التجارية)، والجغرافية والتاريخ، والحقوق والقوانين التجارية، والاقتصاد، والمعلومات التجارية، والآلة الكاتبة في العربية والإفرنسية والاختزال.

### شعبتا اللغتين الإفرنسية والإنكليزية

كل طالب يرغب في تَعلم إحدى هاتين اللغتين ودَرسها درساً خاصاً عَلاوة على دروسه المدرسية، يدفع مئة وخمسين قرشاً سورياً في الشهر.

## المرتب السنوي (الرسوم)

ليرة عثمانية ذهب

| | | |
|---|---|---|
| ٢ق | الأطفال | (الصف التمهيدي) |
| ٢,٥ | قسم الأطفال | (الصف التأسيسي) |
| ٣,٥ | القسم الابتدائي | (السنة الأولى والثانية) |
| ٤ | القسم الابتدائي | (السنة الثالثة والرابعة) |
| ٦ | القسم الابتدائي | (السنة الخامسة) |
| ٨ | الشعبة التجارية | (السنة الأولى والثانية) |
| ٨ | القسم الثانوي | (السنة الأولى والثانية) |
| ١٠ | القسم الثانوي | (السنة الثالثة والرابعة) |
| ١٢ | القسم العلمي | (السنة الأولى والثانية والثالثة) |

يدفع المرتب السنوي على أربعة أقساط:

القسم الأول: في أول أيلول

القسم الثاني: في أول كانون أول

القسم الثالث: في أول آذار

القسط الرابع: في أول حزيران

يحسم للأخوين ٥٪ والثلاثة ١٠٪

### مواد عامة

١ – إذا تأخر الطالب عن تأدية القسط عند استحقاقه فالمدرسة معذورة في عدم السماح له بالدخول إلى قاعة الدروس.

٢ – إذا ترك الطالب المدرسة مختاراً أو أُخرج منها بناءً على قرار الإدارة لمخالفته النظام والآداب فلا يحق له استرداد شيء مما دفعه من القسط.

٣- تعطل المدرسة أيام الأعياد الرسمية.

## جمعيات المدرسة

تتألف الجمعيات الآتي بيانها من طلاب المدرسة وهي:

الجمعية الخيرية، وجمعية الخطابة، والتمثيل، والألعاب الرياضية، والموسيقى، والكشاف.

## دروس ليلية

افتتحت إدارة المدرسة شُعبتين ليليتين: الأولى لتعليم الأميين: الديانة، والقرآن الكريم والتجويد، واللغة العربية والحساب، والثانية لتعليم اللغة الإفرنسية: فعلى مَنْ يرغب متابعة هذه الدروس أن يبادر إلى قيد اسمه في إدارة المدرسة.

ولم يكتف الشيخ كامل بالعناية بمواد الدراسة والإشراف الجاد عليها، وإنما كان يختار لها الأساتذة المتخصصين الذين كانوا رجالات البلد المعروفين في العلم والمكانة والإخلاص، وقد تطوع بعضهم للتدريس فيها لما رأوا إخلاص الشيخ وتوجهه، منهم عبد الوهاب الإنكليزي وعارف الشهابي، وعبد الرحمن الشهبندر وأسعد الحكيم وخير الدين الزركلي، وصالح قنباز، وسليم الجندي، ورشيد بقدونس وسعيد العاص[1].

ولما كان الشيخ المؤسس عربي النزعة، خالص العروبة في وقت سيطر فيه حزب الاتحاد والترقي الذي احتقر العرب وأذاقهم الويلات، وحارب لغتهم فقد جعل وُكده هو ومن عاونه على إشاعة العربية ينشرونها بمختلف الوسائل.. وكان من أحبها إلى الطلاب الخطب والأناشيد والحفلات فعكفوا ينتجون منها كل ما طاب روحاً ومعنىً وبياناً. وكان أكثرها في تعريف الناشئ بأمته ووطنه ولغته وأمجاده واستنهاض همته لإحيائها، فكان الإقبال على استظهارها وإنشادها في الأسواق والمجامع مما أولع به الصغار والكبار، فبثت المدرسة الروح المطلوبة، وقطفت اللغة العربية أطيب الثمار هي والمدارس القليلة

(١) ذكريات علي الطنطاوي.. وجمعية العلماء بدمشق.

عدداً الكبيرة إيماناً وإخلاصاً في خدمة الأمة العربية[1].

واشتهرت المدرسة بتمثيل المسرحيات بالفصحى، يضعُها أساتذة أكفياء كأسعد الحكيم والأمير عارف الشهابي، كمسرحية «طارق بن زياد وفتح الأندلس».. وكانت حدثاً هزّ البلد في العهد التركي[2].

ولم تقتصر التمثيليات في المدرسة على بث الروح العربية، وإنما قدمت مسرحيات ذات صبغة فكرية ونقدية؛ فقد دعي والي سورية آنذاك عارف المارديني إلى حضور حفل في المدرسة قدم فيه مسرحية «الحق والباطل»، فاستاء مما فيها من عيب للحكام وإثارة للمحكومين، فانسحب قبل انتهاء الحفلة.. ثم قدم وشاية إلى وزارة المعارف في الآستانة طلب فيها محاكمة الشيخ كامل القصاب.. فشغلت عنها لقيام الحرب العالمية الأولى[3].

ولما كانت المدرسة من المدارس القلائل الهامة في دمشق، فقد كانت تستحوذ على نظر الولاة، فيشجعها الولاة العادلون كالوالي إسماعيل فاضل باشا، وكان يحب العرب، فيزورها حيناً من آخر، وأولع بها وعطف عليها.. فخطت المدرسة خطوات برسالتها بسبب تشجيعه[4]. بخلاف الوالي الذي أشرنا إليه آنفاً.

وارتقت المدرسة بعناية القائمين عليها، وغدت إحدى مفاخر دمشق.. وحازت ثقة الدولة، فكانت تقبل خريجيها في مدرستي الطب والحقوق دون اختبار[5]. ولقد تخرج بها جلة من الطلاب الذين صاروا أعلاماً في البلد، منهم الشيخ محمد بهجة البيطار، والدكتور أحمد حمدي الخياط أستاذ أطباء دمشق، والدكتور أسعد الحكيم[6]، والشيخ صالح الفرفور، والشيخ محمد عارف الجويجاتي، والشيخ حمدي الجويجاتي، والشيخ

---

(١) حاضر اللغة العربية ٢٧.

(٢) ذكريات.

(٣) جمعية العلماء ١٣.

(٤) جمعية العلماء ١٢.

(٥) السابق.

(٦) ذكريات ١/ ٢٨٠.

لطفي الفيومي، والشيخ محمد كامل القصار، والشيخ محمد بن عبد الغني القاسمي، والشيخ ياسين سويد، والشيخ فائز الحمزاوي، وصبري العسلي، وسهيل المهايني، وجواد المرابط، ومحمود العظم، وعمر شخاشيرو، والصيدلاني جمال البحرة، والدكتور مظهر المهايني، والدكتور عبد الوهاب القنواتي والدكتور منير شيخ الأرض، وحسام القدسي، وتوفيق الصواف، ونديم ظبيان، وبديع ظبيان، ودرويش القصاص، والخطاط حلمي حباب، ونسيب سكر، وحسن سكر، وأنور القطب، وسعيد رضا البزرة.

ثم تولى بعض هؤلاء الطلاب التدريس في المدرسة وصاروا أساتذتها.

وممن علّم في هذه المدرسة عبد الرحمن الشهبندر، وعز الدين التنوخي، وعبد الوهاب الإنكليزي، وعارف الشهابي، وأسعد الحكيم، وخير الدين الزركلي، والشيخ عارف الصواف الدوجي، والشيخ هاشم الخطيب، وحمدي الروماني، وأحمد المعضماني.

ومن طلابها الذين علّموا فيها درويش القصاص والشيخ محمد صالح الفرفور والدكتور أسعد الحكيم.

كانت الكاملية من أعظم مدارس دمشق.. وتراجعت مع الأيام فصارت في أواخر حياة الشيخ كامل مدرسة ابتدائية خاصة.. واليوم يديرها أبناؤه وحفدته[1].

---

(١) السابق.

# الكلية العلمية الوطنية[1]

دعا إلى تأسيس هذه المدرسة سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م الشيخ أبو الخير الطباع[2] الذي يُعدّ المحرك الأول لها، وتولى هو إدارتها، ثم تولاها من بعده الشيخ راشد القوتلي، وكان أحد مؤسسيها[3].

ولعل هذه المؤسسة التعليمية التي اشتهرت بدمشق كانت أول ثانوية بالمعنى المعروف حالياً للمدارس الثانوية المتطورة. وأنشئت فيها مراحل مدرسية متدرجة من الأدنى حتى نهاية المرحلة الثانوية التي تؤهل شهادتها لدخول الجامعة.

ولقد أنشئت لها في مراحلها الأولى لجنة من أعيان دمشق، أبدى فيها الدكتور أحمد منيف العائدي[4] آراء سديدة، فأقر المجتمعون أن يتولى هو إدارتها وشؤونها كلها. في

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتاب «الأستاذ الدكتور أحمد منيف العائدي» لعزّت مريدن، وكتاب «عبقريات من بلادي» لعبد الغني العطري ص٨١ وما بعد.

(٢) قال خير الدين الزركلي: مربٍ أديب من أهل دمشق مولداً ووفاة، أنشأ بها المدرسة الوطنية، وكان الناس في أشد الحاجة إلى مثلها، فنمت في أيامه نمواً سريعاً، وسميت بعد وفاته الكلية العلمية الوطنية، ولا تزال إلى اليوم (حين تأليف كتاب الزركلي) في طليعة المدارس الثانوية الأهلية. له مؤلفات (الأعلام ٦/ ١١٩)، وانظر (ذكريات علي الطنطاوي ٥/ ٢٥٨، ٨/ ٣٠٨)، وتاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ١/ ٢٦٦.

(٣) انظر ترجمته في كتاب عبقريات من بلادي المذكور، وكتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ٧٩٣، وفي الكتاب الأخير: «درّس في الكلية نحواً من أربعين سنة دون أجر، كان زاهداً ورعاً انصرف للعلم والأعمال الخيرية، وكان يتكسب من أرض زراعية ورثها عن أبيه، كان أخوه الشيخ عيد يزرعها، ويعطيه حصته منها».

(٤) أحمد منيف بن عثمان العائدي من أسرة تعود أصولها إلى مصر. ولد في دمشق ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م وتعلم بها، ثم انتسب إلى مدرسة الطب فيها، وأكمل دراسته في إستانبول حيث تخرج طبيباً عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م فعاد لبلده ليمارس مهنته في عيادة خاصة. ومع الحرب العالمية الأولى التحق طبيباً في الجيش التركي. وفي عهد الدولة العربية شكل الملك فيصل لجنة من خمسة أطباء منهم الدكتور العائدي لإعادة افتتاح مدرسة الطب العثمانية التي توقفت لأحداث الثورة العربية، ولما افتتحت باسم المعهد الطبي العربي عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م كان العائدي أحد أساتذته، فكان يدرّس الفيزيولوجيا وأمراض الأطفال. اختير عميداً للمعهد مرتين لما أطلق عليه كلية الطب، مرة في الثلاثينات، وأخرى في الأربعينات. وترأس مؤتمر الجمعية الطبية العربية عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م. أسهم في الفعاليات الاقتصادية =

حين اختير الشيخ راشد القوتلي مديراً فخرياً مدة حياته بالإضافة إلى توجيهات الشيخ بدر الدين الحسني[1] محدث الديار الشامية. ثم تولى الإدارة والإشراف على المدرسة عدنان[2] ابن الدكتور أحمد منيف.

قامت المدرسة في إحدى الدُّور العربية شمال سوق الهال القديم (قرب مركز الوثائق التاريخية اليوم). ولما لم تكن الدار واسعة بما فيه الكفاية فقد انتقلت إلى دار كبيرة قرب قصر العظم في منطقة البزوريين. وكانت تسمى المدرسة العلمية الوطنية، فأطلق عليها العائدي اسم الكلية لما كثر الإقبال عليها.

وتولى النظر في شؤونها مجلس علمي، يرأسه مديرها وعدد من العلماء البارزين، منهم عبد القادر العظم وعبد القادر المغربي وخيري الطرزي والشيخ جميل الميداني.

ولما استقر الأمر بها انقسمت إلى قسمين قسم يدرّس باللغة العربية، وقسم باللغة الفرنسية، يعلّم فيه أساتذة فرنسيون.

وقد كان مجلس أمنائها يختار أساتذة بارزين يأتمنهم على الطلاب من خيرة أهل العلم المعروفين بالأخلاق.

وربما استعان العائدي بأساتذة مكتب عنبر، أو أساتذة معهد الفرير إذا حصلت لديه قناعة بصلاح المدرس لتعليم المادة المقررة.. ولو كان المدرس شاباً صغيراً. هذا

---

= فانتخب رئيساً لشركة الكونسروة السورية. جهوده التربوية معروفة في الكلية العلمية الوطنية موضوع حديثنا، فإذا ذكرت ذكر معها، والعكس بالعكس، وفي هذا المجال انتخب عميداً للتعليم الخاص بوزارة المعارف (وزارة التربية اليوم). له مؤلفات في علم الغريزة وأمراض الأطفال. توفي عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

(١) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق، وفيات سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

(٢) عدنان العائدي، ولد بدمشق، وتعلم بها في الكلية العلمية الوطنية، رحل إلى بيروت، فحصل من الجامعة الأمريكية على إجازة التربية وعلم النفس، ثم على الدكتوراه من السوربون عام ١٩٤٦م حين عاد مساعداً لوالده في إدارة قسمي الذكور والإناث من الكلية، ثم تسلم إدارتهما بعد وفاة أبيه عام ١٩٦٢م، وقد عمل على تنظيم البرامج وسلوك الطلاب والطالبات، فلما صدرت قرارات إلحاق المدارس الأهلية بوزارة التربية انصرف إلى الأعمال الاقتصادية الحرة، فاختير مستشاراً للمصرف الصناعي بباريس، كما اختير مستشاراً لشركة ماراثون الأمريكية للنفط، ومثيلتها توتال. توفي عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

بالإضافة إلى احتضان الكلية أساتذة فلسطينيين، جاؤوا دمشق بعد نكبة ١٩٤٨م منهم محمد حنونة، ومحمود حنونة، ومفيد العَلَمي، وهذه قائمة بمشاهير مدرسيها، وبجانب كل منهم اسم المادة التي يدرّسها.. وقد كانوا على مراحل من عمر الكلية متعددة، بعضهم في المراحل الأولى وآخرون مع المتأخرين.

إبراهيم عبد الحق: الأشياء[1]

الشيخ أديب التقي

أديب الداغستاني: الرياضة البدنية

ألبير جاموس

ألكسندر دو زيلونوي[2]: الفرنسية

أمجد الطرابلسي: الأدب

أنطون مقدسي: الفلسفة والمنطق

بدوي الديراني : الخط

توفيق أبو شنب: الرياضيات

توفيق طالب: الإنكليزية

جميل صليبا: الفلسفة

جميل قربي: الاجتماعيات وعلم طبقات الأرض

جميل كيوان: الرياضيات

جوزيف خياط

حلمي حبّاب : الخط

الطبيب خالد الخطيب: الخطابة

---

(١) كانوا يقصدون بالأشياء مبادئ الفيزياء والكيمياء للمرحلة الابتدائية.

(٢) وهو روسي فرت أسرته من بلده عند قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م.

الشاعر خليل مردم بك[1]: الأدب

خيري الطرازي: (ناظر المدرسة)

رشيد بقدونس

زكي الأرسوزي: الفلسفة

سعيد هلال: الرياضيات: الهندسة المستوية والفراغية

الشاعر سليم الزركلي: الإنشاء

سليم عادل عبد الحق: الفرنسية وتاريخ فرنسا والأندلس

سهيل مشاقة[2]: الكيمياء والفيزياء والمحفوظات الفرنسية

شوكت الطرزي

صبحي القتابي: الكيمياء والفيزياء وحفظ الصحة

عابدين حمادة

عادل الحموي

الشيخ عبد القادر شموط: العربية والفقه (في الصفوف المتوسطة)

د. عبد القادر العظم

الشيخ عبد القادر المغربي

عبد الله رضوان

عبد الله واثق شهيد: الفيزياء

عثمان الحفار: الحساب التجاري (الدوبيا)

عثمان الحوراني: التاريخ العربي

علي الطنطاوي: الأدب

---

(١) بقي في التدريس أكثر من عشر سنوات، ثم انقطع إلى المجمع العلمي العربي حين انتخب رئيساً له. وقد تأثر به الشاعر تلميذه نزار قباني شاعر دمشق فيما بعد.

(٢) وهو صيدلاني صاحب المخبر المشهور بدمشق.

فاخر عاقل: علم النفس

فوزي سيباي[1]: الرياضيات

قدري الحكيم: علوم العربية

كامل الجاجة: الكيمياء والفيزياء وحفظ الصحة

لطفي طالو: معلم الابتدائية

محمد توفيق خماش: الرياضيات: الجبر والمثلثات

الشيخ محمد جميل الميداني: القرآن الكريم (وهو محاسب الكلية)

الشيخ محمد راشد القوتلي: الفقه وعلوم العربية

محمد كامل الدقر: العربية والحساب (في المرحلة الابتدائية)

الشيخ محمد كامل القصاب[2]

محمد محمود حنونة

محمود النجار: الاقتصاد والحقوق التجارية (تخصص من فرنسا)

محيي الدين القضماني: الفرنسية (تخصص من فرنسا)(وهو أمين سر الكلية)

معروف صعب

معروف النحاس: الرياضيات

مفيد العلمي

ممدوح الشريف: الخط

منير العجلاني: (كان طالباً ثم علّم بها)

نبيه عاقل

نجاة قصاب حسن: الأدب العربي

نسيب شهاب: الفرنسية

---

(١) ضابط في الجيش، كان يحضر بثيابه العسكرية.

(٢) مؤسس المدرسة الكاملية. ولعل له بعض الدروس في الشرعيات والعربية. انظر المدرسة الكاملية فيما سبق.

نظيم الموصلي: التاريخ

نعيم الرفاعي: الفلسفة

نعيم عرابي: الاجتماعيات

ولم يكن هؤلاء المدرسون مسلمين كلهم، بل كان فيهم مسيحيون ويهود، كما رأينا من أسمائهم.. ومنهم أساتذة استقدموا من مصر، وقد التحقوا بالكلية على مدى سنوات متلاحقة، ولم يكونوا كلهم في المرتبة الزمنية سواء.. ولكنهم كانوا جميعاً على كفاية. وربما صار بعض خريجيها مدرسين فيها فيما بعد.

عُنيت الكلية بالمناهج الحديثة إلى جانب عنايتها باللغات الأجنبية عناية خاصة، وكان تعليم اللغات يبدأ من أول الصفوف الوسطى الإعدادية حتى نهاية المرحلة الثانوية.. فيتمكن الطلاب منها كتابة وقراءة وتحليلاً وحفظاً وإنشاء.

وقد اختير للفرنسية أفضل الأساتذة الفرنسيين إلى جانب الدمشقيين المتضلعين منها.

واهتمت الكلية باللغة الإنكليزية كذلك، ولكن دون اهتمامها بالفرنسية.

ومع عروبة المدرسة فإنّ عادة مجلوبة تسربت إليها من المدارس الأجنبية، وهي طريقة العلامة Signale[1].

وكانت مناهج الكلية ومقرراتها واسعة متكاملة، تقدم للطالب حصيلة توسِّع معارفه وتنضج عقله وتهيئه للدراسة الجامعية بحق.

فإلى جانب اللغة العربية واللغة الفرنسية التي أشرنا إليهما واللتين كانتا من العناية بالدرجة الأولى نجد درس القرآن الكريم والتجويد، والعقيدة والفقه ودروس الخطابة، وكان التلاميذ يعوَّدون على إلقاء الخطب وحفظها في قاعة سوق عكاظ المخصصة للاحتفالات ليتدربوا على الجرأة والفصاحة.

إلى جانب ذلك مقررات الرياضيات بما فيها الحساب والجبر والمثلثات والهندسة،

---

(١) هذه الطريقة في فرض اللغة جيء بها من المدارس الأجنبية.. وهذا من تأثرنا بها. وقد مرّ الحديث عنها في الكلام عن المدرسة الأمينية الابتدائية. فالتلاميذ في أوقات الراحة يرغمون على التحدث بالفرنسية بهدف تقوية لغتهم.

والاجتماعيات ومعها الطبوغرافية، والفيزياء والكيمياء، والاقتصاد والحقوق التجارية، ومسك الدفاتر (المحاسبة التجارية) والفلسفة، وحفظ الصحة، وتحسين الخط، والرياضة البدنية.

وبالجملة فقد كانت مناهج الكلية تتبع مقررات وزارة المعارف[1]، وتُعدّ طلابها لامتحان الشهادة الثانوية (البكالوريا) التي تجريها الدولة وتشرف عليها[2].

هذا وحين سمحت الجامعة السورية للطلاب غير السوريين بدخولها بالشهادة الثانوية السورية أنشأت الكلية صفاً سمته صف الجامعة، يُدرَّس فيه كل ما يُدرَّس للمتقدمين إليها[3].

وقد اشتملت امتحانات الكلية على فصلين اثنين؛ الأول كتابي في منتصف العام الدراسي، والثاني كتابي وشفهي في آخره، ويمثل الطالب من أجل الامتحانات الشفهية أمام لجنة تضم أستاذ المقرر الامتحاني مع بعض المعلمين المتخصصين في المقرر، يسألونه أسئلة شتى، ليعلموا مقدار تحصيله، ويقدروا له الدرجة المستحقة.

وكانت المدرسة حريصة على نجاح الطلاب بجدارة، فلم تكن تتهاون بإعطاء الدرجة إلا بميزان صحيح؛ ولهذا فكانت ترغم طلابها على البقاء في المدرسة بعد انتهاء الدوام زمناً محدداً لمراجعة ما عليهم من الدروس، وهذا الوقت يسمى L,etude الدراسة.

واهتمت الكلية بالتربية الرياضية، وكان فيها جناح كبير، فيه أدوات رياضية مختلفة، يقوم على تدريب طلابها رياضي قدير، وربما انتسب بعضهم بمعرفة إدارة المدرسة إلى فرق رياضية لكرة القدم أو الكرة الطائرة أو سواها، ولعل الكلية أول من أسس فرقة كشفية مدرسية بثيابها الخاصة وشعاراتها المعروفة وتدريباتها وقيادتها، وبما فيها من التحلي بصفات الصدق والطاعة والفضيلة والإخلاص والوطنية، ملتزمة بمضمون قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال ٨/ ٦٠].

---

(١) تغير اسمها أيام الوحدة السورية ـ المصرية عام ١٩٥٨م إلى وزارة التربية والتعليم ثم إلى وزارة التربية بعدها.

(٢) ذكريات ١/ ٢٨٠.

(٣) ذكريات ١/ ٢٩، ٢٨٠. وكان الشيخ علي الطنطاوي يتقاضى على تدريس الأدب في الكلية آنذاك ٥٥ قرشاً سورياً على الساعة الواحدة، وهذا أجر كبير بحساب تلك الأيام (ذكريات: السابق) مما يدل على وفرة المال في الكلية بإقبال الطلاب عليها وحرص الإدارة على استقطاب كبار الأساتذة الذين يستحقون هذه المبالغ.

وكانت الفرقة تقوم برحلات عديدة في أيام العطلات خاصة للكشف عن المعالم الأثريّة، وإقامة الصلات والروابط.. وكانت لهؤلاء الكشافة فرقة موسيقية تصحبهم.

وبالإضافة إلى ذلك شجعت الكلية على حفلات تمثيلية، كان طلابها يقيمونها في احتفالات، يدعى إليها الوجهاء وأولياء الطلاب آخر العام الدراسي، تدور موضوعاتها حول الوطنية والتاريخ العربي الإسلامي. وكان الفنان عبد الوهاب أبو السعود هو الذي يقوم بتدريبهم.

هذه هي النشاطات وإلى جانبها الخطابة والمحاضرات والقصائد التي يلقيها الطلاب في الموضوعات المختلفة الوطنية والاجتماعية وكانت تجري في قاعة سوق عكاظ.. وكثيراً ما كان بعض المدرسين يحضرون هذه النشاطات وعلى رأسهم عميد الكلية الدكتور أحمد منيف العائدي تشجيعاً لهم..

وكانت الكلية خصصت ساعتين في الأسبوع لطلاب المرحلة الثانوية لتعودهم حسن إنشاء الشعر والإلقاء.

على أنّ المدرسة كانت تتألق سنة بعد سنة، ومنذ ثلاثينات القرن العشرين كانت التحسينات تجري عليها دوماً، وزيد في بنائها ثلاثة طوابق، ويزداد عدد طلابها على الأعوام من دمشق وغيرها. ومن أجل ذلك أحدث قسم داخلي لإقامة الطلاب الغرباء، اتسع لما يقرب من مئة طالب، تقدم لهم الكلية ما يحتاجون من خدمات غذائية وصحية وتربوية.. وقد زاد عدد الطلاب الذكور إجمالاً على ألف.

ولما رأى مديرها الإقبال عليها من سورية والبلاد العربية اقترح أن يطلق عليها اسم الكلية بدلاً من المدرسة.

التحق بالكلية طلاب من النصارى واليهود لم يقم فيما بينهم مشكلات طائفية، وإنما تجري الحياة بينهم على نحو سلس.

وتخرج فيها جمهرة كبيرة من الطلاب تألقت أسماؤهم فيما بعد، وهذه قائمة أسماء وصلت إلينا منهم، مرتبة على حروف المعجم[1]:

(١) هؤلاء من مشاهير الطلاب الذين عرفوا فيما بعد.

| | | |
|---|---|---|
| أحمد السمان | سعيد الرشاش | محمد علي القنواتي |
| أحمد الطباع | صباح قباني | مدحت شيخ الأرض |
| أنور الدسوقي | صلاح الدين المنجد | مراد القوتلي |
| بديع الكسم | عادل الخجا | معتز قباني |
| بديع اللولو | عبد الحميد دركل | منير دياب |
| بهجت الميداني | عبد الحميد دياب | منير العجلاني |
| تحسين الميداني | عبد الغني العطري | ممدوح القطب |
| توفيق القوتلي | عبد الله قائد | ممدوح مدور |
| جمال الدين نصار | عبد الله مريدن | موفق القوتلي |
| جميل الجابي | عبد الهادي الرباط | موفق الميداني |
| حكمت هاشم | عدنان العائدي | ناجي القادري |
| خالد بوظو | عدنان مردم بك | نادر عجمي |
| داود التكريتي | عزت مريدن | نزار قباني |
| رشاد فرعون | عزة الميداني | نعيم نصّار |
| رشدي الجابي | علي بوظو | نهاد القادري |
| رشيد قباني | فوزي الحفار | هيثم مردم بك |
| زكي الجابي | كمال الشرابي | يحيى الحصري |
| زهير الشلق | محمد الميداني | يسار البيطار |

وكان الدكتور العائدي يشجع الطلاب الفقراء ويحتويهم، وخصوصاً إن ظهرت عليهم علائم التفوق، وكان عدد منهم يدرسون على نفقته، ويزودهم فوق ذلك بالكتب. أو يخفض لهم الأقساط التي تتقاضاها المدرسة، ليرة ذهبية عن كل طالب[1].

(١) كان هذا القسط غير قليل.. ولكنه بجانب ما تقدمه المدرسة غير كثير.. على أن والدي الدكتور محمد أباظة رحمه الله (١٣١١-١٤١١هـ/ ١٨٩٣-١٩٩٢م) كان يقول كانت الليرة الواحدة تكفي مصروف أسرة من ذاك الزمن على مدى شهر كامل. والأسرة آنذاك في المتوسط لا تقل عن ثمانية أفراد.

ولقد كان لعميد الكلية موقف مشرّف عند قدوم الشباب الفلسطينيين إلى دمشق إثر نكبة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، ففتح لهم باب المدرسة، وقبلهم في الصفوف المختلفة من غير وثائق تثبت تحصيلهم في فلسطين وبأقساط رمزية، وتولاهم شخصياً، وحثهم على الدراسة فشحذ هممهم.. وتابع دراستهم وحضورهم.

وتفوق هؤلاء الفلسطينيون، فكان منهم أسماء لامعة كغسان كنفاني الأديب المعروف، ومحمود عباس (أبو مازن الذي خلف ياسر عرفات فيما بعد)، وسامي قنديل (عضو القيادة القطرية الفلسطينية)، ورامز الحاج إبراهيم (عميد في جيش التحرير)، ومحمد عبد الحميد (مهندس)، وعادل درويش (طبيب)، ومحمد بصل (أحد القياديين الفلسطينيين).

فهؤلاء الطلاب كما رأينا من أسمائهم كانوا رجالات البلد فيما بعد، وحملوا همّها، وقدّموا لها خبرات، وعمروها في شتى المجالات.

ويُسجّل هنا أنهم كانوا يتحلون بالروح الوطنية ضد الانتداب الفرنسي؛ كانوا يضربون عن الدراسة في الحوادث التي تتعرض لها سورية والبلاد العربية، ويخرجون إلى الطرقات يهتفون بإعلان سخطهم، ويتعاطف معهم التجار، فيغلقون محالهم ويشاركونهم.

ولقد تعلق هؤلاء الطلاب بمدرستهم التعلق الحسن؛ أحدهم وهو الشاعر نزار القباني، كتب يقول:

«كانت الكلية العلمية الوطنية، مدرستي الأولى، دخلتها منذ السابعة من العمر. كان موقع المدرسة في قلب مدينة دمشق، وقد لعبت هذه الكلية دوراً رئيسياً في تشكيلي الثقافي، وكذلك في الطلاب الذين تعلموا فيها، وقد كانت مؤسسة وطنية خاصة، يقصدها أبناء الطبقة البورجوازية الدمشقية من تجار ومزارعين وموظفين وسواهم، كما كانت تحتل مكاناً وسطاً بين المدارس التبشيرية ذات الثقافة الإفرنسية، وبين مدرسة التجهيز الرسمية التي تتبنّى الثقافة العربية. وقد لعبت مشاعر أبي القومية والإسلامية في قراره الحكيم بإدخالنا في مدرسة تجمع الثقافتين، فكانت ثقافتنا مطعَّمة ومنفتحة على العالم، وهكذا دخلنا معتز ورشيد وصباح وهيفاء وأنا إلى الكلية العلمية الوطنية، وقضينا على مقاعدها أحلى أيام العمر».

وتابع يقول:

«كان للمدرسة عناية فائقة بتعليم اللغتين العربية والإفرنسية، وفي هذا المناخ نشأنا نقرأ راسين وموليير وهوغو وغيرهم من أكابر الأدباء والشعراء الإفرنسيين. وإني بعيداً عن كل تعصب أو عنعنة أقول إن تعلم اللغة الأجنبية إفراز حضاري وإنساني وليست له أية انتماءات سياسية. وقد كانت الهيئة التعليمية في الكلية العلمية الوطنية، من صفوة رجال المعرفة ومن كبار الأدباء والشعراء والمفكرين، وأنه لمن نعمة الله عليَّ وعلى شعري معاً أن معلمي الأول الذي تتلمذت عليه كان شاعراً من أرق وأعذب شعراء الشام، وهو الأستاذ خليل مردم بك، هذا الرجل الذي ربطني بالشعر منذ اللحظة الأولى. وقد استمر يعلمنا ويقطف لنا من شجرة الشعر العربي زهرات جديدة في كل درس من دروسه، وكان من حسن حظي أنني كنت من التلاميذ الذين تعهدهم هذا الشاعر المفرط في حساسيته الشعرية. فقد كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر تحت جلدي وفي خلاياي وأنسجتي، وأنا مدين له ما حييت».

هذا وقد تداعى عدد من الخريجين عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م إلى تأليف جمعية خريجي الكلية العلمية الوطنية كانوا نحو خمسين، اجتمعوا، وانتخبوا كلاً من:

| | |
|---|---|
| عبد الحميد دياب: رئيساً | عبد الهادي الرباط: عضواً |
| عادل الخجا: نائباً للرئيس | عزت مريدن: عضواً |
| أحمد السمان: أميناً للسر | عزت الميداني: عضواً |
| أحمد الطباع: عضواً | ممدوح مدور: عضواً |
| جمال الدين نصار: عضواً | منير العجلاني: عضواً |

وكانت الجمعية تجتمع كل ثلاثة أشهر، من أجل الاستماع إلى المحاضرات وتبادل الأحاديث عن أحوال الخريجين بغية مساعدة من يحتاج إلى عون، ويتحدثون في ذكريات المدرسة وسوى ذلك من النشاطات.

واستمر نشاط الجمعية سنوات عديدة حتى انفرط عقدها قبيل وفاة رئيسها، وسفر معظم أعضائها إلى بلاد الله الواسعة.

أخيراً.. فالكلية العلمية الوطنية كانت تمثل أنموذجاً متطوراً جداً للمدارس الحديثة بكل معنى الكلمة، سدّ وجودها فراغاً كبيراً في الحياة التربوية بدمشق. قال الطنطاوي: كان لها دور ظاهر في النهضة التعليمية[1].

## خلاصة ونتائج عن الكلية العلمية الوطنية

- الكلية عبّرت عن وعي الدمشقيين في إنشاء المدارس ونشر العلم؛ إذ تداعى علماؤها (أبو الخير الطباع وراشد القوتلي) إلى تأسيسها.
- سدت الكلية ثغرة هامة في حاجة البلاد إلى المدارس.
- لم تتسم الكلية بصفة معينة، فلم تركز على العلوم الشرعية، وفتحت صدرها لجميع العلوم.
- أساتذتها من شرائح مختلفة مسلمون ونصارى ويهود وكذلك طلابها.
- لم تتسم بتوجيه معين، ولا بفكر بذاته، وإنما كانت للعلم فحسب؛ ولهذا أقبل عليها الأهالي كلهم.. وبها سجّل العلماء الشيوخ أبناءهم بها مثل أبناء الشيخ راشد القوتلي وابن الشيخ بهجة البيطار وابن الشيخ عبد الله المنجد من مشايخ القراء.
- ركّزت الكلية على العناية بالفرنسية وفرضت على الطلاب الحديث بها في الفسحة، وبهذا قلدت المدارس الأجنبية بفكرة السينيال **Signal**.
- تعلّم بها صفوة من الطلاب كانوا رجال البلد في التخصصات المختلفة وغالبهم تخرجوا بعدئذ في الجامعات.

(١) ذكريات ٨/ ٣٠٨.

# المدرسة المحسنية[1]

أنشأها السيد محسن الأمين[2] بالتعاون مع ثلة من رجال حي الأمين، إثر قدومه دمشق من النجف عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، فأزعجه حينذاك انتشار الأمية، فوضع نصب عينيه مسألة معالجتها. وقرر نشر التعليم.

وبسبب الإمكانات المادية الضعيفة استعار السيد داراً من الحاج يوسف بيضون، ونقل إليها كتّاب المحلة لتكون مدرسة تعلّم العلوم الحديثة، عرفت إذ ذاك بالمدرسة العلوية[3] العثمانية.. واستأجر داراً أخرى للإناث.

ومع إقبال التلاميذ على المدرسة أنشئ لها مجلس يتولى إدارة شؤونها العامة سمي عمدة المدرسة العلوية الإسلامية، كما جاء في أحد البيانات فيما بعد، في السنة الدراسية ١٩٢٥/ ١٩٢٦م:

| | |
|---|---|
| الرئيس: السيد محسن الأمين | الحاج محمد حسن بيضون |
| الأعضاء: السيد عباس مرتضى | السيد محمد نجيب مرتضى |

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتاب «حكاية المحسنية» للأستاذ المهندس بسام مرتضى.

(٢) السيد محسن الأمين آخر مجتهدي الشيعة الإمامية في بلاد الشام، ولد في قرية شقراء بجبل عامل في لبنان، وتعلم بها وبالنجف. ثم سكن دمشق فعمل بالتدريس والإفتاء، وإليه آلت مرجعية الشيعة بها، وبها توفي سنة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) وهو عضو المجمع العلمي العربي.. وكانت له مواقف مشهودة حين زاره عام ١٩٢٠م المندوب السامي الفرنسي في أول أيام الانتداب وعرض عليه أن يكون مفتياً للشيعة، فأنكر عليه ذلك، وعرف ما وراء هذا العرض وقال له: مفتينا الشيخ عطاء الله الكسم، مفتي السنة والشيعة، ورجع الجنرال من عنده كما جاء. وكان الشيخ عبد المحسن الأسطواني صديقاً للسيد يتعاونان ليسدا طرق الدجالين من هواة الإثارة الطائفية، وكانا يقربان وجهة النظر بين المذهبين. أحدث السيد في دمشق نهضة كان لها آثارها فيما بعد. انظر لسيرته الأعلام ٥/ ٢٨٧، وتاريخ علماء دمشق ٢/ ٦٣٦، ٧٧٢.

(٣) نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

| | |
|---|---|
| الحاج عبد المجيد رضا | السيد علي نظام (أبو فؤاد) |
| السيد محمد رشيد مرتضى | السيد عباس محمد مرتضى |
| الحاج مهدي اللحام | السيد مهدي مرتضى |
| محمد حسين بيضون | الحاج رضا العضل |
| جواد الروماني | عبد الله النحاس |
| الشيخ توفيق الروماني | حسن الحلباوي |
| السيد زين العابدين مرتضى | عبد الحميد اللحام |
| السيد علي السيد مصطفى نظام | حمدي الروماني |

ثم تولى الإشراف على المدرسة مجالس عمدة منبثقة بعضها عن بعض.

وبالتوازي مع ذلك تحدث السيد مع تجار الحي، فاشتروا بإشرافه دار الحاج يوسف بيضون بثمان مئة ليرة ذهبية فرنسية، استمر التدريس فيها إلى سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

ومن أجل الإشراف على المدرسة أسس السيد جمعية المدرسة العلوية المرخصة رسمياً في ٢٦/ ٩/ ١٩٣٣م رقم ٦٧٧٢. وقد سعت هذه الجمعية فحصلت على المرسوم ٢٤٢ تاريخ ٧/ ٤/ ١٩٣٦ بترخيص لمدرستين ابتدائيتين إحداهما للذكور باسم المدرسة العلوية الإسلامية، والأخرى للإناث باسم المدرسة اليوسفية الإسلامية[١].

ثم اقتنت الجمعية داراً أخرى أوسع[٢]، قال فيها السيد: وفق الله لشراء دار ثانية أحسن من الأولى بمراحل، ومن أفخم دور دمشق، شريت بقيمة ألف وخمس مئة ليرة عثمانية ذهباً، وأصلحت بخمس مئة، وهي تساوي أضعاف ذلك؛ بذل ثمنها كلٌّ من المحسنين

(١) انظر الحديث عنها فيما بعد.

(٢) سجلت وقفية هذه المدرسة الثانية في المحكمة الشرعية بدمشق في ١٧ ذي الحجة ١٣٥٥هـ الموافق ٢٨ شباط ١٩٣٧م (صورتها محفوظة في المدرسة) جاء في وصفها أنها دار بدري العظم وأنها قصر واسع جميل تتوسطها باحة كبيرة، فيها بركة مرصعة بالرخام، تنتهي جنوباً بإيوان، وفيها أحواض أشجار. تؤدي الجهة الشمالية منها إلى باحة صغيرة جعلت مصلى للطلاب.

السيدين علي وكامل نظام، والحاج رضا النحاس، والحاج مهدي اللحام، والحاج حسن الحلباوي، ونقل إليها التلاميذ. والدار الأولى تستغل، ويصرف ريعها على المدرسة.

وعندما نقلت المدرسة إلى هذه الدار الجديدة رأى المتبرعون والمشرفون على الجمعية استبدال اسم المدرسة العلوية، فأطلقوا عليها اسم المدرسة المحسنية اعترافاً بفضل المؤسس وجهوده، وتيمناً باسمه، كما تغير اسم جمعية المدرسة العلوية إلى جمعية المدرسة المحسنية.

أقبل الطلاب على المدرسة المحسنية، منذ اشتهرت، ولم يكن لها سجلات في المرحلة الأولى تبيِّن عددهم حتى كان العام الدراسي ١٩٣١/ ١٩٣٢م فأُجري عند ذاك إحصاء دقيق مما يدل على أن المدرسة كانت تخطو خطوات متسارعة.. حتى كتب السيد فيما بعد يقول: «وقد أصبحت المدرسة اليوم حين تحرير هذه الكلمات، وهو السابع من شوال سنة ١٣٧٠هـ [١٩٥١م] على أتم نظام وأحسن انتظام، ذات صفوف ثانوية، وقسم داخلي، تفوق جميع مدارس دمشق التي من نوعها، يحسن تنظيمها، والمحافظة فيها على التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، ونجاح طلابها في الامتحانات [العامة الرسمية] مئة بالمئة، وأصبحت الطلاب تتهافت عليها من جميع الأحياء، لما يرى أولياؤهم من تهذيب أخلاق أولادهم ونجاحهم، حتى صار يضطرنا الحال أحياناً إلى ردّ طلبهم لضيق المكان، فيلحون علينا، ويصرّون».

في عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م تقرر افتتاح القسم الثانوي بدءاً بالصف الأول منه، وبذا اكتملت للمدرسة المراحل التعليمية الثلاث، بالإضافة إلى قسم الحضانة.

وتقرر معه إنشاء قسم داخلي لسكن الطلاب الأغراب بناء على اقتراح السيد محسن الأمين، فأوفدت المدرسة عدداً من الشخصيات لمقابلة محافظ اللاذقية، والاتصال ببعض الأعيان هناك، وكذلك إلى بعض قرى جبل عامل في لبنان للدعاية لهذا القسم.

الترخيص الثاني بموجب المرسوم رقم /٢٤٢/ بتاريخ ٧/نيسان/١٩٣٦، وهو يشمل مدرسة للذكور (المدرسة العلوية الإسلامية)، والثانية للإناث (المدرسة اليوسفية الإسلامية) وهذا نصه:

(( المادة ١ – يرخص لجمعية المدرسة العلوية الإسلامية بتأسيس مدرستين ابتدائيتين تامتين نهاريتين في دمشق الأولى للذكور باسم المدرسة العلوية الإسلامية وفيها صف حضانة ويتولى إدارتها الدكتور السيد شفيق شحادة والثانية باسم المدرسة اليوسفية الإسلامية وفيها صف حضانة وآخر للأشغال والخياطة وتقوم بإدارتها الآنسة خديجة إدلبي.

المادة ٢ – يذاع هذا المرسوم ويبلغ إلى من يجب.

دمشق في ١٥/المحرم/١٣٥٥ و٧/نيسان/١٩٣٦. ))

فيما يلي صورة عن هذا المرسوم:

REPUBLIQUE SYRIENNE
MINISTERE DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE
LIBRE
N°

الجمهورية السورية
وزارة المعارف
الديوان
ب

المدرسة الحسنية

مرسوم رقم ٢٤٢

ان رئيس الجمهورية السورية

بناء على الدستور المنشور بتاريخ ١٤ مايس ١٩٣٠

وبناء على القرار رقم ٣٨٢٠ مكرر بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٣١ القاضي بوضع مراقبة معاهد التعليم الخاص . وبناء على اقتراح وزير المعارف

يرسم ما يلي :

المادة ١ – يرخص لجمعية المدرسة العلوية الاسلامية بتأسيس مدرستين ابتدائيتين تامتين نهاريتين في دمشق الاولى للذكور باسم المدرسة العلوية الاسلامية وفيها صف حضانة ويتولى ادارتها الدكتور السيد شفيق شحادة والثانية باسم المدرسة اليوسفية الاسلامية وفيها صف حضانة وآخر للاشغال والخياطة وتقوم بادارتها الآنسة خديجة ادلبي .

المادة ٢ – يذاع هذا المرسوم ويبلغ الى من يجب .

دمشق في ١٥ محرم ١٣٥٥ و٧ نيسان ١٩٣٦

محمد علي العابد

اصدر عن رئيس الجمهورية السورية

رئيس مجلس الوزراء

محمد عطا الايوبي

و. وزير المعارف

محمد عطا الايوبي

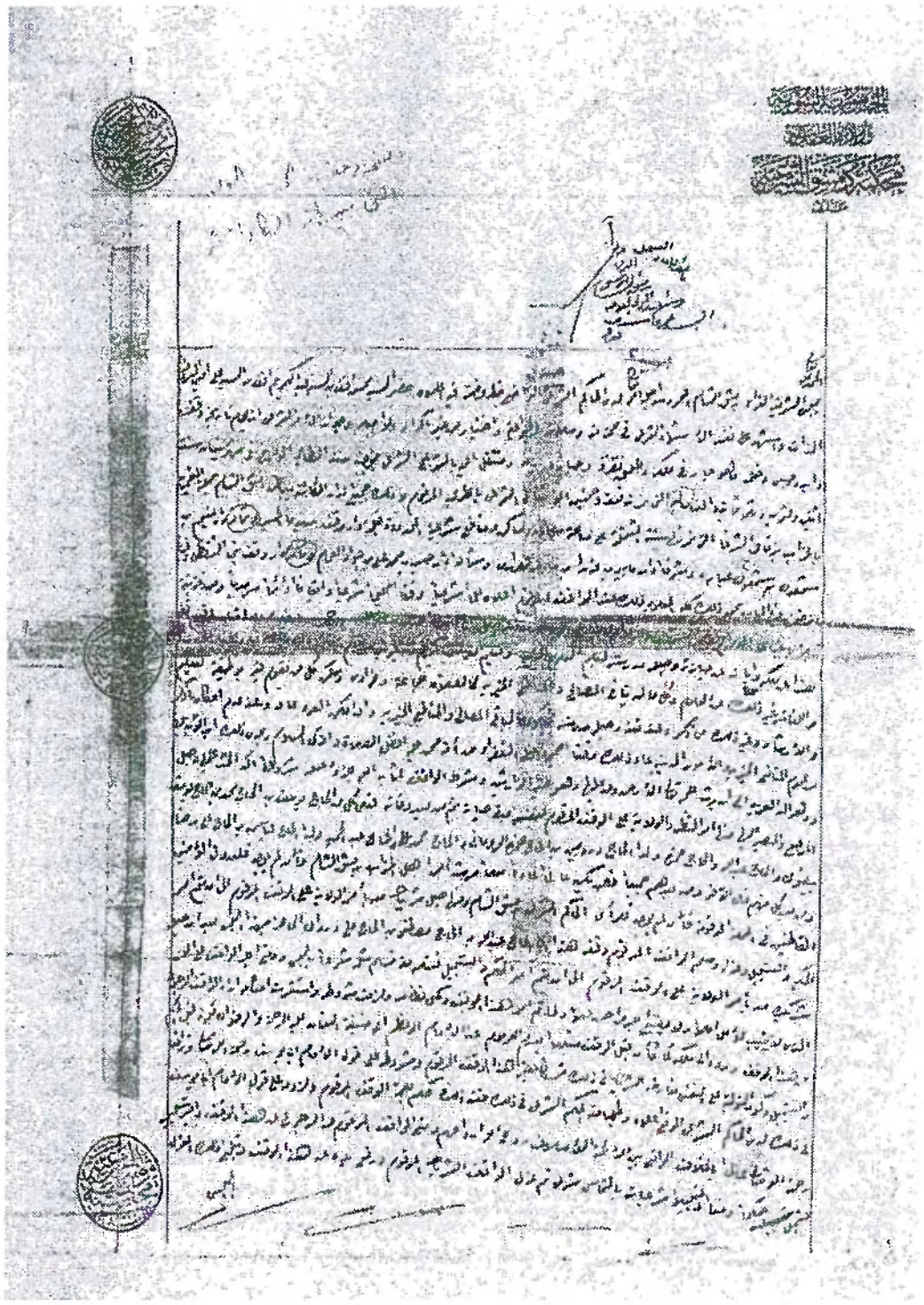

أسس سماحة العلامة السيد محسن الأمين الحسيني عام ١٣٢٦ هجرية، ١٩٠٩ ميلادية في مدينة دمشق الشام جمعية دعيت باسم (جمعية الإحسان الإسلامية) وهي تقوم بأعمالها وفقاً للنظام الآتي:

مادة ١: غاية الجمعية القيام بالمشاريع الخيرية لمساعدة الفقراء والأيتام فيما يحتاجون إليه من الضروري كالأغذية والملبوس والإسعاف والإحسان وتجهيز الموتى وشراء عقارات توقف باسم الجمعية ولا يجوز صرف شيء من أموال الجمعية لغير الغاية التي تألفت من أجلها.

كما جاء في المادة الأخيرة ما يأتي:

مادة ٤٤: إذا انحلت الجمعية (لا سمح الله) بسبب ما فإن المال الموجود في صندوقها يصرف على فقراء الطائفة الجعفرية بدمشق بمعرفة جمعية المدرسة الحسينية.

## الشخصيات المتعاقبة على عضوية مجلس إدارة الجمعية الخيرية

أولاً: من خلال البيان السنوي للعام الدراسي ١٩٢٥/١٩٢٦م فإن أعضاء "عمدة المدرسة" كانت تضم الشخصيات التالية:

الرئيس

(( سيادة العلامة المفضال السيد محسن الأمين. ))

الأعضاء

| | | |
|---|---|---|
| السيد عباس أفندي مرتضى | السيد زين العابدين مرتضى | السيد عبد الغني مرتضى |
| السيد علي السيد مصطفى نظام | الحاج محمد حسن بيضون | السيد محمد نجيب مرتضى |
| السيد علي نظام (أبو فؤاد) | الحاج عبد المجيد رضا | السيد عباس محمد مرتضى |
| السيد محمد رشيد مرتضى | السيد مهدي مرتضى | الحاج مهدي اللحام |
| الحاج رضا العضل | محمد حسن بيضون | عبد الله النحاس |
| جواد الروماني | حسن الحلباوي | الشيخ توفيق الروماني |
| عبد الحميد اللحام | حمدي الروماني | |

ونظراً لعدم توفر معلومات قبل العام ١٩٢٥م وبين العام ١٩٢٦م والعام ١٩٣٢م فإنه من المحتمل أن يكون الأعضاء المذكورون – جميعهم أو معظمهم – مشاركين في عضوية الجمعية قبل العام ١٩٢٥م وبين العامين المذكورين.

ثانياً: من خلال ما تضمنه سجل المحاضر من نتائج لانتخابات الهيئة الإدارية اعتباراً من العام ١٩٣٢م وحتى العام ١٩٤٨م.

(( تغيير اسم المدرسة العلوية الاسلامية باسم المدرسة المحسنية اعتباراً من هذا التاريخ. ))

وهذا أيضاً منسجم مع ما ورد سابقاً، كما أن البيان الصادر عن الجمعية للعام ١٩٣٦/١٩٣٧م ورد فيه:

(( وقد رأى هؤلاء المتبرعون بإجماع الآراء تغيير اسم المدرسة من المدرسة العلوية الإسلامية إلى (المدرسة المحسنية) اعترافاً بفضل المؤسس وجهوده وتيمناً باسمه الكريم فأصبح اسم المدرسة من الآن فصاعداً (المدرسة المحسنية) نسأله تعالى أن يتولى المحسنين بأحسن جزائه، ويوفقنا جميعاً لعمل الخير.

دمشق ٢٨/جمادى الثانية/١٣٥٦. ))

وقد رأى هؤلاء المتبرعون بإجماع الآراء تغيير اسم المدرسة من المدرسة العلوية الاسلامية الى (المدرسة المحسنية) اعترافاً بفضل المؤسس وجهوده وتيمناً باسمه الكريم فأصبح اسم المدرسة من الآن فصاعداً (المدرسة المحسنية) نسأله تعالى أن يتولى المحسنين بأحسن جزائه، ويوفقنا جميعاً لعمل الخير. دمشق ٢٨ جمادى الثانية ١٣٥٦

٥. في الاجتماع المؤرخ ١٣/تموز/١٩٣٧ ورد في المحضر:

(( تأجيل توزيع البيان السنوي إلى حين إقامة حفلة تدشين للمدرسة الجديدة. ))

ومن أجل ذلك خصصت دار تملكها المدرسة في الحي لتكون مقر القسم المشار إليه وهيئت لذلك. وطبعت نشرات عنه بالعربية والفارسية، أرسلت إلى بعض المعنيين في الداخل والخارج، فلقي القسم تشجيعاً مادياً ومعنوياً.

ثم إن الجمعية وضعت برنامجاً شهرياً للطعام وعينت معتمداً للتموين الشيخ محمد علي صندوق.

هذا وقد عزمت الجمعية المشرفة على المدرسة عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م على إنشاء مكتبة فيها، فتبرع السيد محسن الأمين بجميع مؤلفاته لهذه الغاية.. وجهزت قاعة المطالعة، وجعل الدوام فيها مسائياً من الساعة الخامسة حتى التاسعة وتقرر أن يعين عليها مشرف، ووضع قانون خاص بها[1].

ولعناية المدرسة بالثقافة فإنها لم تقتصر على المطالعة، وإنما عملت على إصدار مجلة غير دورية باسم «صدى المحسنية» بمشاركة الطلاب والمدرسين.

وفضلاً عن ذلك أنشأت الجمعية مخبراً علمياً للطلاب أنجز أواخر عام ١٩٥٣م، وزودته بالأدوات اللازمة.

ومع الأيام التالية نشطت الجمعية بتزويد المدرسة بما تحتاج إليه من أدوات وفعاليات للتطوير. فحصلت على هاتف وآلة طباعة، وحافلة لنقل الطلاب، واشترت ثلاثة دكاكين، أنشئ في أحدها (فرن المحسنية) وجهز بما يلزمه.

كانت الدراسة تبدأ في المحسنية صباحاً وتستمر أربع ساعات إلى صلاة الظهر حين يصليها الطلاب، ويستريحون للطعام حتى الساعة الثانية. وعندئذ تستأنف الحصص إلى الساعة الرابعة، وبعدها يبقون ساعة بعد توقف الدروس لكتابة ما طلب إليهم من واجبات إضافة إلى المطالعة.

وفي يوم الجمعة يؤتى بالطلاب المعاقبين، ليقضوا يومهم في المدرسة جزاء ما اقترفوه من إخلال في النظام أو سوء في التصرف. وللقصاص درجتان؛ الأولى التوقيف، والثانية

(١) وكان من نظامها الدخول بالألبسة اللائقة، ومنع إحداث الضوضاء، أو رفع الأصوات.

الحرمان، وهي الأشدّ.

وقد قام السيد محمد رشيد مرتضى بمشروع، فأنشأ مدرسة ليلية لمكافحة الأمية، لاقت نجاحاً وإقبالاً، وكان عدد الطلاب الذين انتسبوا إليها زهاء ٣٠٠ طالب.

اعتمدت المدرسة جميع العلوم التي يدرسها الطلاب في المدارس الرسمية، مع عناية خاصة بالقرآن الكريم واللغة العربية والآداب.

أشرف على المدرسة مديرون أكفياء، دأبوا على متابعة أعمالهم بجدارة.. وأول مدير مذكور اسمه في المصادر محمد رشيد مرتضى، وكذلك عرف من المديرين عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م محمد صالح مرتضى مكلفاً من جمعية المدرسة.

وأول مدير مذكور في سجلات الهيئة الإدارية سليم أفندي [كذا] ورد اسمه بتاريخ ١٩٣٢م. تلاه أحمد صندوق عام ١٩٣٣م، ثم صلاح قدور ١٩٤٢م، ثم أحمد صندوق ثانية ١٩٤٣، ثم السيد محمد رشيد مرتضى ١٩٤٤م، ثم حسن البيطار ١٩٤٥م، ثم أحمد الجواهري ١٩٤٦م، ثم صبحي النحاس ١٩٤٧م واستمر بعدئذ حتى بداية الخمسينات فيما يبدو.

**ومن المدرسين الذين علّموا في المدرسة :**

| | |
|---|---|
| السيد حسن الأمين | بشير الأسطواني |
| أديب التقي | الشيخ حسن الراعي |
| كامل الروماني | عبد الرزاق الطرابيشي |
| الشيخ علي الجمّال | أنور العش |
| الشيخ أحمد صندوق | سليم الغشاش |
| عبد الهادي الخليلي | خالد ظاظا |
| ياسر نصري | حسن الحريسي |
| الشيخ صادق [كذا] | ربيح الأسطواني |

صبحي النحاس
محمد علي النويلاتي
عبد العزيز اللحام
عبده لطف
نسيب مرتضى
مظهر القدسي
الدكتور صافي حيدر
الشيخ فهمي الناعمي
أحمد البيطار
فخري عبد اللطيف
اليان ديراني
نهاد طرزي
إبراهيم الخوري
عبد الله ينازي
أدمون باز
أدهم عدي
ممدوح السمان
أحمد سخيطة

عبد الماجد الرحماني
نزار الجابي
أحمد عندليب
إلياس أيوب
فتحي العطار
فؤاد السادات
أنور عدي
موفق الجندي
محمد علي صندوق
حسن البيطار
محمد رشيد مرتضى
سعيد حوارنية
موفق الرملي
ماجد شاكر
عز الدين السمان
معروف زريق
خالد دهمان

الجمهورية السورية

وزارة المعارف

الموضوع : الموافقة على القسم الداخلي في المدرسة المحسنيه

الرقم :

التاريخ : ١٩٧٤ / ٥ / ص

المستندات :

الى مديرية المدرسة المحسنيه الخاصة بدمشق

١٣ أيار ١٩٥٤

بالاشارة الى كتابكم رقم ٦/٣٢ المؤرخ في ١٩٥٤/٤/٢٦

نوافق على وجود القسم الداخلي بمدرستكم بعد أن توفرت فيه الشروط الصحية المطلوبة فيرجى اخذ العلم

وزير المعارف

صورة الى مديرية التعليم الخاص مع الاصل

صورة الى المفتش السيد انور برازي

الرقم ٢١ / ٢٤

التاريخ ١٣ / ٥ / ٥٤

ووردت أسماء المعلمين والمدرسين للمرحلتين الابتدائية والثانوية العام الدراسي ١٩٥٠/ ١٩٥١م على النحو الآتي:

**القسم الابتدائي**

سعيد الحاج، فهمي الناعمي، سامي وهبة، مصطفى المولوي، حبيب زغيب، عز الدين السمان، محمد علي صندوق، عبد الرحمن بركات، موفق الرملي.

**القسم الثانوي**[1]

شفيق نظام، عبد الرؤوف زغيب، رباح نفاخ، أحمد صندوق، محمد الأسمر، محمد غالب البرازي، فؤاد ساطع، أنور عدي، عبد الرحمن بركات، إلياس بطحيش، عبده لطف (خطاط)، سامي وهبة، شمس الدين عبد الصمد، رضا حيدر.

ويلاحظ من أسماء المدرسين أن المدرسة منفتحة على جميع الانتماءات، لا تقتصر على طائفة معينة، وكذلك كان طلابها.

هذا وقد جعل للمدرسة موازنة حصرت فيها وارداتها التي كانت تحتاج دوماً إلى دعم أهل الخير.

وقد ورد في بيان الجمعية للعام الدراسي ١٩٤٧/ ١٩٤٨م ما يأتي:

تتكون واردات المدرسة من ريع أوقافها[2] وأجور (أقساط) طلابها وهي لا تغطي ٤٠٪ من نفقاتها. والجمعية تعتمد في تسديد العجز الحاصل ـ بعد الله تعالى ـ على إعانة وزارة المعارف السورية السنوية، ومساعدة مشتركيها، ومؤازريها الأفاضل وتبرعات المحسنين الغيورين.

ومن هنا فقد وجهت الجمعية رجاء إلى الوزارة لمضاعفة الإعانة تكافؤاً مع الجهود الكبيرة التي تبذلها المدرسة، كما وجهت نداء إلى المشتركين والمتبرعين لزيادة

(١) المقصود بالقسم الثانوي المرحلتان الإعدادية والثانوية.

(٢) كان للمدرسة عدد من الأوقاف تنفق من ريعها، منها مدرسة صغيرة، بيت صغير بجانب المدرسة، بايكة بحارة الشرفا، بيت سكن لمرشد الطائفة بدخلة الشرفا، دكان بخان الجاموس، دكان قرب حمام الخراب، دكان في ساحة الجورة.

اشتراكاتهم وتبرعاتهم.. وللمتخلفين المبادرة إلى مؤازرة المدرسة.

علماً بأن المدرسة تصنف ما تتقاضاه من الطلاب على أصناف؛ فالأيتام والفقراء يقبلون مجاناً، ومنهم من يدفع نصف الأجر المطلوب، والباقي يدفعون الكامل.

وكانت الأجور تسدد شهرياً على الأشهر القمرية، ثم جُعل استيفاؤها على الأشهر الشمسية، وهذا يوفر على الطالب كل سنة ثلث المبلغ المطلوب.

بدأت المدرسة بالكتّاب عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م،وأصبحت خلال خمسين عاماً مدرسة كاملة المراحل الدراسية، بالإضافة إلى مرحلة الحضانة، مع قسم داخلي لمبيت الطلاب الأغراب عن دمشق. وغدت من مدارس دمشق المهمة على المستوى التعليمي والتربوي والأخلاقي.

وما تزال إلى اليوم من المدارس المشهورة.

# ثانياً ـ مدارس الإناث

## المدرسة اليوسفية[1]

نسبة إلى منشئها الحاج يوسف بيضون[2] في حي الخراب (حي الأمين اليوم). هذه المدرسة قامت من بدايات عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م حين كلف امرأة تقطن في دخلة الشرفاء لتخصص غرفة في دارها لتعليم البنات القرآن الكريم ومبادئ الكتابة والقراءة على نفقته، ووفر لهن ما يلزم من مصاحف وكتب ودفاتر وأقلام، مما أدى إلى نفع البنات آنذاك كثيراً.

وكان سبب قيام الحاج يوسف بهذه الخطوة أنه رأى في حيّه بنتين مسلمتين تصلّبان على صدريهما كما تفعل النصرانيات[3]، فساءه ذلك، ورأى ضرورة جمع البنات في الحي على مدرسة لائقة.

وفي عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م نقلت البنات إلى بيت الشيخ علي الجمّال، وبقي الأمر كذلك حتى عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م حين استقر الحاج يوسف في بيروت، ورأى ما آل إليه لبنان من نهضة علمية، فتيقظت في نفسه ضرورة تأسيس مدرسة كبيرة تجمع البنات، فاستوت عندئذ فكرة ما سمي فيما بعد بالمدرسة اليوسفية على النحو التربوي.

لقي الحاج يوسف في أول الأمر معارضة شديدة من أصحاب العقول المنغلقة وحورب

---

(١) اعتمد هذا البحث على وثائق مختلفة قدمها الأستاذ باسم صندوق مدير المكتبة للمدرسة المحسنية. وعلى كتاب «حكاية المحسنية» للأستاذ المهندس بسام مرتضى.

(٢) يوسف بيضون (١٨٤٠-١٩٢٧م) من كبار التجار، ولد بدمشق، ونشأ في مساعدة والده ببيع الخضار، ثم استقل عنه، واشتغل بتجارة العباءات والسجاد، نزح إلى بيروت عام ١٨٩٢ فراراً من تهديد أحد الوجهاء حيث توسعت تجارته، وبلغت صلاته التجارية تركيا والعراق وباكستان والهند حتى صار من وجهاء الأغنياء. توفي ببيروت.

(٣) كانت هاتان الفتاتان تتعلمان في مدرسة إنكليزية للإناث بزقاق التلّاج في بيت لطف الكبير. وكان للإنكليز كذلك مدرسة أخرى للذكور بطريق باب توما تجاه القشلة (حياة وذكريات ١٠٤) وانظر الباب الأخير من هذا الكتاب عن مدارس الطوائف والإرساليات.

من الأهالي بحجّة أن التعليم يفسد المرأة. لكن النجاح حالفه، إذ أرسل المتنورون بناتهم، فقلدهم الآخرون. وغصت المدرسة بالطالبات فاشترى عام ١٩٢٣م داراً للمدرسة أكبر، وهو بيت قزيها، دفع فيه ٣٥٠٠ ليرة ذهبية عثمانية، مقابل بيت بدري العظم[١] الذي صار بدوره مقراً للمدرسة المحسنية..

وقف الحاج يوسف لمدرسته ما يسدّ حاجتها على الدوام. وعمل على ترميمها وتجهيزها لتكون على المطلوب.

ويروى أنه لما اشترى دار المدرسة اليوسفية دخلها، وفتح المصحف الشريف في موضع لا على اليقين يستخير ربه، فقرأ قوله تعالى: {أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين}[٢] [القصص ٢٨/ ٦١]، فانشرح صدره، وأقدم على مشروعه.

أقيم حفل الافتتاح عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٥م بحضور السيد محسن الأمين، ووزير المعارف حسني البرازي، ومستشاره الفرنسي[٣] المسيو راجي، ومعاونيه ورئيس بلدية دمشق، وعدد من أعضاء المجلس البلدي، وبعض وجوه المدينة وأعيانها[٤].

وإذ ذاك أخذت المدرسة تستقبل البنات من سائر أحياء دمشق وخصوصاً من حي الأمين وما حوله. ولقيت إقبالاً واسعاً.

ولإقبال المواطنين على تعليم بناتهم، ولقلة المدارس صادف أن يكون في الصف الواحد بنات من أعمار مختلفة، فكانت المشرفات يضعن الكبيرات في جانب والصغيرات في جانب آخر.

وعملت المدرسة على تقديم تلميذاتها إلى امتحان شهادة الدراسة الابتدائية (السرتفيكا)

---

(١) كان في بيت قزيها مشغل للخياطة وفندق تجري فيه أشياء غير لائقة تزعج سكان الحي (حياة وذكريات) وقد بني على الطراز الشامي المعروف بزخارف ونقوش عربية، تربو مساحته على ألف متر مربع.

(٢) وكتبت هذه الآية في لوحة علقت في صدر الإيوان بالمدرسة، وهي فيها حتى اليوم.

(٣) كان لكل وزير أيام الانتداب مستشار فرنسي.. وله كانت الكلمة إذا تعارضت مع قرارات الوزير.

(٤) سيرة وتاريخ، ص٦٨٩، أديب الروماني، دمشق، دار القيم ١٩٩٣م.

التي تجريها الدولة، فكانت نسبة النجاح فيها تتجاوز ٩٠٪ مما دفع وزير المعارف إلى انتداب معلمتين من ملاك الوزارة على نفقتها لدعم المدرسة.

بقي الحاج يوسف يوفر للمدرسة المال اللازم لضرورة استمرارها، إضافة إلى أنه وقف عليها أوقافاً تمدّها.. وهذا ما تميزت به اليوسفية.. ويدل ذلك على عقلية منفتحة وأفق واسع، وهو ما تحتاجه الحركة التعليمية اليوم اقتداء بتاريخ هذه الأمة.

وبعد وفاة الحاج يوسف أمر السيد محسن الأمين بتسمية المدرسة باسمه (المدرسة اليوسفية) اعترافاً بفضله.

وقد دأب أولاد الحاج يوسف على رعاية المدرسة، وخصوصاً بنته الحاجة رقية التي ندبت نفسها للمدرسة وأمدتها بكثير من المساعدات، حتى كادت تنفق عليها جميع ما تملك دون أن تنسى الطالبات الفقيرات، ثم وقفت على المدرسة عقاراً ورثته عن أبيها في بيروت.

هذا وقد أسست فيها الحاجة رقية وأخوها الحاج محمد، وهو الوكيل الشرعي للمدرسة فرعاً للخياطة، تنتسب إليه البنت بعد دراستها الابتدائية، خصص له جناح يقوم به، تبرع له الحاج محمد بكل ما يلزمه من أثاث ولوازم وآلات.

وقام على المدرسة هيئة لتسيير شؤون المدرسة بإشراف الوكيل الشرعي، تتألف من كل من:

أديب روماني: رئيساً

علي بيضون: عضواً

عبد الله النحاس: عضواً

حمدي روماني: عضواً

وجيه بيضون: عضواً

أول مديرات المدرسة مديحة البرازي، تلتها الحاجة مسرّة شحادة.

إنشاء المدرسة اليوسفية (للبنات):

- يقول السيد في سيرته:

(( وكانت مدرسة البنات قد ضاقت بالطالبات فتبرع المرحوم الحاج يوسف بيضون بشراء دار دفع ثمنها ثلاثة آلاف وثمانمائة ليرة عثمانية ذهباً... واعترافاً بفضل الحاج يوسف بيضون أطلقنا اسمه على المدرسة وسميناها المدرسة اليوسفية. ))

ولم يشر السيد هنا إلى تاريخ الشراء. إلا أن اللوحة الرخامية المثبتة على مدخل المدرسة المذكورة تشير إلى أن تاريخ التأسيس والوقف كان في العام ١٣٤٢هـ (١٩٢٣/١٩٢٤م).

# الكلية العلمية الوطنية[1]

تقدم عدد من الأهالي إلى الدكتور أحمد منيف العائدي[2] يرغبون إليه باستحداث قسم من الكلية للإناث، فعمل على تأسيسها في أوائل الأربعينات من القرن العشرين في حي سوق ساروجة.. وقامت على غرار مدرسة الذكور في منهاجها وتوجهاتها تماماً.

زوّد الدكتور العائدي المدرسة بأفضل المدرسات، وكان بعض المدرسين استقدموا من بلاد عربية، وآخرون يعلمون في قسم الذكور، منهم قدري الحكيم، وجميل كيوان، وسليم عادل عبد الحق ونجاة قصاب حسن وغيرهم. وكان من بين المعلمات مدرسات أجنبيات لتعليم الفرنسية والإنكليزية، وميسر شاهين[3].

كما استقدم العميد أفضل المتخصصات بشؤون الإدارة من غير سورية، وأقام على القسم مديرة مرتبطة به.

امتلأت صفوف الإناث الإعدادية والثانوية بهن، وأقبلت على القسم جمهرة من الطالبات، فنقل إلى بناء جديد في حي أبي رمانة، غربي جامع الروضة.

ولما استقبلت الكلية طالبات من خارج دمشق أنشئ لهن جناح داخلي لإقامتهن..

لقي قسم الإناث عناية خاصة من القائمين عليه، فأنشئ فيه حركة المرشدات (مقابل الفرقة الكشفية للذكور) انتسبت إليه طالبات الإعدادية والثانوية، وقد نظمت الحركة رحلات خفيفة للاطلاع على الآثار والمتاحف في دمشق وخارجها، كان يرافق الطالبات فيها أستاذ خبير يشرف عليهن. وقد بقيت الحركة قائمة حتى إشراف وزارة التربية على

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتاب «الدكتور أحمد منيف العائدي» لعزت مريدن. وكتاب «عبقريات من بلادي» لعبد الغني العطري ص٨١ وما بعد.

(٢) مر الحديث عنه في بحث الكلية العلمية الوطنية للذكور.

(٣) فلسطينية جاءت دمشق بعد نكبة ١٩٤٨م.

المدارس الأهلية في أواخر ستينات القرن الفائت.

ومما يذكر لقسم الإناث اهتمام الإدارة باللغة الفرنسية التي كانت الطالبات يتقنها، ويتكلمنها بطلاقة مثل قسم الذكور.

هذا وقد ألحق بقسم الإناث روضة للحضانة، تشرف عليها معلمة أجنبية خبيرة.. ولعلها كانت من أوائل الروضات النموذجية بدمشق.

# معهد دوحة الأدب[1]

في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وبعد انتهاء الثورة السورية بقليل دعت السيدة عادلة بيهم[2] صديقات لها من الناشطات بالعمل الاجتماعي وهن وداد قوتلي، خيرية رضا سعيد، رفيقة العظم البخاري، فرلان مردم بك، وداد الحجار.. دعتهن لتأسيس جمعية باسم دوحة الأدب، اجتمعن لها في بناء المجمع العلمي العربي بمقره في المدرسة العادلية بباب البريد.

كانت الغاية من الجمعية إبراز مكانة المرأة لتشارك في المجتمع من الجوانب الثقافية والفكرية، والعمل على ترقيتها، وتنشئتها تنشئة علمية تقدمية صحيحة، وإدخال العنصر النسائي في الحركة الوطنية، وتربيتها تربية قومية عربية، تؤهلها لتكون ربة بيت وأماً مثالية، لتنهض بالأجيال، وتعمل كما يعمل الرجال تحقيقاً لذاتها وكرامتها وحريتها.

وكان من أغراض الجمعية إنشاء مؤسسة تعليمية ما لبثت أن تحققت بافتتاح معهد دوحة الأدب مطلع العام الدراسي ١٩٣١/ ١٩٣٢م في شارع الجلاء (أبو رمانة) أرقى شوارع دمشق ومحلّاتها الحديثة آنذاك.

بدأ المعهد بمدرسة ابتدائية.. ثم بمدرسة إعدادية عام ١٩٣٦/ ١٩٣٧م، ثم بمدرسة ثانوية حين توصلت الطالبات إليها.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على الموقع الإلكتروني لجمعية دوحة الأدب، وعلى ذكريات علي الطنطاوي (انظر فهرسها فيما يتعلق بكلامه عن المعهد)، والموسوعة العربية ٥/ ٦٦٤، وعلى مشافهات المطلعين.

(٢) عادلة بَيْهَم، ناشطة من أصل لبناني، ولدت في بيروت عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م لأسرة وجيهة ثرية، وتعلمت بمدرسة بروسيا فيها، تلقت العربية على الشيخ عبد الله البستاني، وأتقنت الفرنسية والألمانية. شاركت في الحركات النسائية في وقت مبكر من عمرها. انتقلت إلى دمشق بزواجها من القاضي مختار بن عبد القادر الجزائري، انخرطت في حركة المقاومة ضد الفرنسيين وأسهمت في العمل بالجمعيات الخيرية، فلما تمخضت هذه الجمعيات عن اتحاد الجمعيات النسائية عام ١٩٣٣م ترأستها، كما ترأست الاتحاد العام النسائي عند إنشائه. نالت أوسمة آخرها وسام الاستحقاق السوري عام وفاتها ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. (انظر إتمام الإعلام ط١، ٢١٤، وسابقات العصر ١٢٢، وأديبات عربيات ١/ ٩٥، وجريدة تشرين ٧/ ٢/ ٢٠٠٠).

حصل المعهد على ترخيص رسمي من الدولة عند تنظيم المدارس برقم ٦١٣، تاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٥٣.

وجاء في أهداف معهد الجمعية :

- يضمن المعهد للفتيات العربيات تنشئة تقدمية، لا تتوافر لهن في المدارس الأخرى.
- تزويدهن بالمهارات الأساسية للتعليم وبالمعارف العلمية المناسبة، وتكوين المهارات الضرورية الملائمة لمستوى نضجهن، مما يفيد في التعامل مع المجتمع مستقبلاً.
- إثارة ميولهن وتحفيزهن على العمل، وتشويقهن في أثناء التعليم، لضمان إيجابيتهن، عن طريق الوسائل التعليمية الجذابة، أو بواسطة الشرح المشوق والأسئلة المثيرة.
- زرع روح الانضباط فيهن، وتقوية الاعتماد على النفس وحب الدراسة والإنتاج من خلال تطبيق مبدأ النظام والتعاون الجماعي.
- اكتشاف الموهوبات والمتفوقات، وتحديد ميولهن، والعمل على تطويرها، ووضعها في المسار السليم.
- التأكيد على الدور البارز للغة العربية وارتباط العلوم بعضها مع بعض وتكاملها.
- تعزيز اللغتين الإنكليزية والفرنسية للتواصل المهم بين الشعوب والثقافات.
- تنمية القيم الأخلاقية والهوايات النافعة.
- غرس الروح الوطنية والقومية السليمة.
- مراعاة الفروق الفردية.
- إثارة الدافعية للتعلم، لتحقيق هدف اكتساب المعارف والمهارات والعلوم المختلفة.
- اعتماد أسلوب التعزيز المناسب، لضمان نجاح العمليتين التعليمية والتربوية.
- تنمية الحس الجماعي والقدرة على السلوك الاجتماعي السليم.

استدعى المعهد للتدريس كبار الأساتذة ومشاهيرهم آنذاك، ممن كانوا يشغلون

الساحة الثقافية بدمشق، والمدرسون المذكورون أدناه جاؤوا على أزمان متتالية فيهم قدامى، وفيهم شباب، منهم وجيه السمان، مصطفى الحاج إبراهيم، صلاح الدين البيطار، عادل السعدي، صلاح الدين المحايري، حافظ الجمالي، الشاعر أنور العطار، الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، هاني المبارك، سليمان الخش، موسى كاظم التونسي، بسام كرد علي، عدنان عبد الواحد، فاتح المدرس، صدقي إسماعيل (وهذان من الفنانين التشكيليين)، عبد الوهاب أبو السعود (أستاذ التمثيل والمسرح)، د. شكري فيصل، د. شاكر مصطفى. د. شاكر الفحام، د. كامل عياد، د. عبد الله عبد الدايم، د. إحسان النص، د. بديع الكسم، د. نور الدين حاطوم، د. عبد الهادي هاشم، د. عبد الحميد دركل، د. عبد الحليم سويدان، د. إبراهيم الكيلاني، د، معاذ الجابي، د. نظيم الموصلي، د. حكمت هاشم، د. عادل العوا، د. عمر شخاشيرو[1].

وضع الشاعر سليم الزركلي نشيداً خاصاً للمعهد، لحنه مصطفى الصواف[2]:

روضة الشآم دوحة الأدب ... عشتِ في سلامٍ دمت للعرب
نحن آمال البلاد ... نحن أعلام الرشاد
كلنا للعزّ غاد ... ولتمزيق الهوان
قد بنينا لك مجدا ... ولقينا فيك سعدا
ورفعنا لك بندا ... خافقاً طول الزمان

تولت إدارة المعهد عادلة بيهم حتى اكتمل له نظامه ومنهجه. وخلال ذلك أعدت ابنتها أمل الجزائري[3] لتتسلم إدارته منذ كان لها من العمر أربعة وعشرون عاماً مع بقاء إشراف

(١) معظم هؤلاء مذكورة تراجمهم في كتابنا «إتمام الأعلام».

(٢) مصطفى الصواف (١٩٠٢-١٩٨٧م) موسيقي بارز من السابقين، ولد وتوفي في دمشق، انتسب إلى كلية الطب وتركها إلى دراسة الموسيقا، فتخرج بمدرسة روش الألمانية عام ١٩٢٦م، وعاد إلى بلده فحصل على شهادة كلية الآداب، أتقن الألمانية والتركية والفرنسية والعربية، كان يقول: أنا صاحب رسالة. وهو الذي وضع شارة الافتتاح للإذاعة السورية عند إنشائها عام ١٩٤٠م، له مؤلفات (الموسيقا في سورية ٤٥).

(٣) أمل الجزائري (-٢٠٠٣م) ناشطة اجتماعية، شاركت بتأسيس الندوة الثقافية النسائية، عضو جمعية الهلال الأحمر =

أمها عليه.. وبقيت أمل مديرته حتى وفاتها.

كان من اهتمامات المعهد:

- اختيار زي رسمي باللون الطحيني للمرحلة الابتدائية، واللونين الرمادي والكحلي للمرحلتين الإعدادية والثانوية.
- إنشاء مسرح بإشراف الفنان عبد الوهاب أبو السعود.
- العناية باللغات الأجنبية والثقافة العامة العلمية والاجتماعية والوطنية.
- مشاركة الطالبات بالمناسبات القومية والوطنية.
- الاهتمام بأدب الصحافة، فصدرت عن المعهد مجلة الدوحة بمشاركة الطالبات (وقد دامت نحو عشر سنوات).
- تنمية الذوق الفني والحسّ الموسيقي بتعليم الطالبات العزف على آلة البيانو، ودفعهن للاستماع إلى السيمفونيات العالمية.

حقق المعهد شهرة، فأقبلت عليه أسر الطبقة العليا التي أخذت الأسلوب الغربي في حياتها، وتوسع عمله مع السنوات، حتى أضافت الجمعية القائمة عليه قسماً داخلياً للطالبات الوافدات من المحافظات السورية ومن البلاد العربية، أنشأته عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.

وفي السنة التالية عام ١٩٥٠ افتتحت الجمعية قسماً داخلياً في مصيف بلودان.

واهتم المعهد براحة طالباته، فاقتنى حافلة نقل خاصة به منذ قيامه عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م يوم كانت السيارات نادرة في البلد.

ولقد كان المعهد مقصد الزوار من الشخصيات التي تفد إلى دمشق[1]؛ فقد زاره الدكتور طه حسين[2] لما اشترك في مهرجان مجمع اللغة العربية عن أبي العلاء المعري. فلما عاد

---

= السوري.. توفرت على إدارة المعهد.

(١) ولعل ذلك كله من الدعاية الواسعة والاتصالات النشطة التي كانت تقوم بها مديرته الأولى ومن معها من السيدات.

(٢) طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣م) من مشاهير الأدباء والباحثين المصريين ولد في إحدى قرى الصعيد، وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكف بصره، تعلم بالأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها. وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون وعاد إلى مصر فاتصل بالصحافة، وعين في كلية الآداب بجامعة القاهرة =

إلى مصر أرسل له منحة ثقافية من مدرسين مصريين.

كما أرسل الشيخ عبد الحميد بن باديس[1] رئيس جمعية العلماء الجزائريين يطلب قبول بعثة من الفتيات الجزائريات للدراسة في المعهد.

وقد تفوقت بنات المعهد في الامتحانات العامة، فحصلت ثلاث منهن على بعثات لمتابعة الدراسة في جامعات أوربا.

قام المعهد لتعليم البنات، ولم يكن فيه من الذكور سوى قلة قليلة، منهم د. قتيبة الشهابي[2]، والموسيقار صلحي الوادي[3]. على أن عدد البنات آنذاك كان قليلاً، فالنخبة هي التي كانت تنتسب إلى المعهد وليس العدد، فضلاً عن أن دمشق حين افتتاح المعهد كانت محدودة السكان، وبقيت كذلك حتى سبعينات القرن العشرين.

وأحدث معهد الأدب حادثة أقامت دمشق وأقعدتها؛ ذلك أن الزعيم فخري البارودي[4] اقترح على المعهد تدريب طالباته على رقصة السماح[5] ولا بأس بذكر الحادثة هنا لتقديم

---

= ثم كان عميداً لتلك الكلية فوزيراً للمعارف، فتمكن إذ ذاك من جعل التعليم الثانوي والفني مجاناً. له كتب مشهورة.. وأحدث بعضها ضجة في عالم الأدب العربي (الأعلام ٣/ ١٣١).

(١) عبد الحميد بن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر من بدء قيامها سنة ١٩٣١ إلى وفاته، ولد في قسنطينة عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م وتعلم بالزيتونة ـ وأصدر مجلة الشهاب علمية دينية أدبية، كان شديد الحملات على المستعمر حاول الفرنسيون إغراءه بتوليته رئاسة الأمور الدينية، فامتنع. مما أدى إلى اضطهاده وإيذائه، وقاومه من حوله وهو مستمر في جهاده. أنشأت جمعية العلماء لعهده كثيراً من المدارس، له تفسير القرآن الكريم ومؤلفات (الأعلام ٣/ ٢٨٩).

(٢) قتيبة الشهابي: (١٩٣٤-٢٠٠٨) طبيب أسنان فنان تشكيلي، مؤرخ دمشق لزمنه، ولد وتوفي فيها وتخرج بجامعتها وتخصص بالتصوير الضوئي. له مؤلفات عن معالم دمشق الأثرية وترك لوحات فنية تشكيلية (إتمام الأعلام ط٣).

(٣) صلحي الوادي: (١٩٣٤-٢٠٠٧) موسيقي ولد في بغداد، وتوفي بدمشق وأولع بالموسيقا تخرج بكلية فكتوريا بالإسكندرية ثم بالأكاديمية الملكية للموسيقا في لندن، وعاد إلى دمشق فأسس المعهد العربي الموسيقي ١٩٦٠-١٩٦١م ثم حمل اسمه فيما بعد. نال وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة. (الموسيقا في سورية ٦٨٤).

(٤) انظر ترجمته في الحديث عن الكتاتيب، مطالع هذا الكتاب.

(٥) كانت رقصة السماح في الأصل لمشايخ الصوفية يؤدونها وهم ينشدون مبتهلين إلى الله تعالى عندما ينقطع الغيث، وأكثره تضرع ودعاء. ويعبرون بدقات أقدامهم عن الإيقاع الموسيقي، وبأيديهم عن حركات النغمة (ذكريات ٥/ ١٠٢).

صورة من تاريخ دمشق الاجتماعي.

أخذ المعهد باقتراح البارودي فاستقدم له الشيخ عمر البطش[١] فدربهن، ثم ظهرن أول مرة عام ١٩٤٧م، بملابس خاصة، وهن يرقصن وينشدن بحضور رجال الدولة:

امـــلأ الأقـــداح صـرفـاً ... واسـقـيـنـهـا لـلـصـبـاحْ
شـربُـهـا تـيـهـاً وعُـجـبـاً ... نـورهـا كـالـفـجـر لاحْ
شـربـهـا يـشـفـي الـسـقـيـمـا ... طـالـعٌ فـيـهـا سـعـيـد
كـلُّ مـن قـد هـام فـيـهـا ... مـن نـدامـاي الـصِّـبـاحْ

فكان ذلك حدثاً جديداً على دمشق، أدى إلى ردّة فعل شديدة من علماء الشريعة، ننقلها من رواية علي الطنطاوي[٢].

كتب علي الطنطاوي في ذكرياته عن الحادثة يقول[٣]:

جاء فخري البارودي بالشيخ عمر البطش من حلب، وكان أستاذاً يحفظ الموشحات، وفصلت للطالبات ثياب من الحرير بأزهى الألوان، فضفاضة كثياب القيان والإماء في بغداد قديماً وفي الأندلس.. وحَفَّظهُن هذه الموشحات، ولكنه نقلها مما كانت عليه حين كان ينشدها ويرقص عليها المشايخ، وحوَّل ما يصاحبها من النشيد إلى كلام كله عشق وغرام، وشوق وهيام، وكثير منه صِيْغَ ليكون من كلام البنت تخاطب الرجل.

ثم قال:

واستمر التدريب، ونحن لا ندري به، وما يدرينا بالذي وراء جدران مدرسة أهلية للبنات، ونحن لا ندخلها، وما لنا فيها قريبة ولا نسيبة تخبرنا بالذي فيها! حتى سمعت

(١) عمر البطش: صوفي موسيقي، ولد بحلب ١٨٨٥م واتصل بالمنشدين ومشايخ الصوفية وتلقى عن فناني عصره أصول الموسيقا، وكان حسن الصوت، وبرع في أداء الموشحات والأنغام ورقص السماح، وتصرف فيه فجعله أكثر رقة.. ونشر كل ذلك في حلب ودمشق. ولما قامت ثورة إبراهيم هنانو اعتزل العمل وارتدى الزي الديني ولازم حلقات الذكر. عين مدرساً في المعهد الموسيقي الشرقي. لحّن أكثر من ١٥٠ موشحاً. أفاد من مكتبة البارودي التي حوت مؤلفات موسيقية ضخمة، توفي عام ١٩٥٠ (الموسوعة العربية ٥/ ١٦٤، الموسيقا في سورية ١٢٤).

(٢) انظر ترجمته في مقدمة الكتاب.

(٣) ذكريات ٥/ ١٠٢ وما بعد.

أنها ستقام حفلة كبيرة في دار أسعد باشا العظم[1]، وهي أوسع الدور الدمشقية.. فكتبت أنقد إقامتها، وأحذر منها، وأنصح آباء البنات وأولياءهن أن يمسكوا بناتهم، فلا يبعثوا بهن إليها، وكيف يرضى لبنته مسلم عربي أن ترقص أمام الرجال الأجانب، تتلوى وتتخلع، وهي تغني أغاني كلها في الغرام والهيام؟

ثم قال:

ولكن الحفلة أقيمت، وحضرها رئيس الوزراء، وأظنه كان خالد بك العظم[2] وحضرها العقيد أديب الشيشكلي[3]، وحضرها قوم ممن يُدعون بوجوه البلد وكبارهم، وعرفنا خبرها من الجرائد والإذاعة.

قال:

وأنا من عادتي إذا سمعت بمنكر أو رأيته أدخله في ذهني كما تدخل المعلومات في المحساب (الكمبيوتر)، فأنام عنه كما أنام كل ليلة ،كأن شيئاً لم يلج فكري، فإذا كان قبل موعد قيامي لصلاة الفجر، استيقظت من نومي، فوجدت الفكرة قد ملأت عليّ نفسي، وغلبت على فكري، وتملكت أعصابي، فأتحمس لها، وأعد في ذهني ما أكتبه أو أقوله عنها، ويطير النوم من عيني، فألبث متيقظاً أترقب طلوع النهار.

وكنت يومئذ القاضي الممتاز في دمشق، وكنت أخطب مع ذلك في مسجد الجامعة.. فلما أقيمت هذه الحفلة رقص فيها هؤلاء البنات رقصة السماح، وهن صفوة فتيات دمشق، جمالاً ومالاً ودلالاً..

لم يكن في هذه الرقصة عورة مكشوفة، ولا كانت رقصة هز البطن الظاهر المعروفة في بعض البلاد، ولا كان فيها عرض الأفخاذ بحركات متزنة كالذي يدعونه رقص الباليه، ولكن فيها ما أظنه أضر على الشباب من ذلك كله! لأن فيها على الرغم من الثياب الواسعة من الإثارة

---

(١) انظر لمعرفة شأن هذه الدار وإقامتها كتاب «حوادث دمشق اليومية للبديري الحلاق»

(٢) انظر لترجمته أعلام الزركلي ٢/ ٢٩٩.

(٣) انظر لترجمته أعلام الزركلي ١/ ٢٨٥.

ما كان يتعمد مثله في العصر العباسي الإماء الفاتنات المستوردات لإثارة ميول الرجال.

وكان من عادتي حين أصعد المنبر لأخطب خطبة الجمعة أن أعد الموضوع في ذهني، لا أكتبه.. حتى إذا أذن المؤذن بين يديّ يصل إلى «حي على الصلاة وحي على الفلاح».. لم أكن أنوي التعرض للحفلة، لأنني تكلمت فيها وكتبت، وحسبت أني أعذرت بذلك إلى ربي، ولكني لما بلغت الدعاء في آخر الخطبة خطرت على بالي الحفلة وما كان فيها، فخفت من الله أن يراني ساكتاً عن إنكارها، وأن أكون شيطاناً أخرس، وأنا لا أرضى لنفسي أن أكون شيطاناً ناطقاً بليغاً، فأرضى أن أكون شيطاناً، وأخرس.

وأحسست أن شيئاً قد نبض في قلبي، فهزه مثل هزّة الكهرباء، وسرى في أعصابي وعروقي.. فقلت ما معناه: «إن دمشق ظئر الإسلام، ومثابة الأخلاق، لا ترضى بما يخالف الإسلام، ولا بما يذهب بمكارم الأخلاق كائناً من كان قائله أو فاعله، وكانت منزلته بين الناس، وإن هذه الحفلة منكر، وإنها حرام، وإنها تنافي الإسلام، وإن كل من حضرها، ورضي بها آثم وإن الذي لا يغار على محارمه دَيُّوث».

قال:

وخرجت الكلمات من فمي كالرصاصات من المدفع الرشاش، ما احتمل هذا الكلام كله دقيقتين اثنتين، وشَدِه السامعون أولاً، ثم خشعوا، ثم اقتنعوا، واستيقظت ضمائرهم المؤمنة، وقرأت في الصلاة آيات جاءت مناسبة للمقام..

أقبل الناس عليّ بعدها داعين مهنئين، خائفين علي، فقلت لهم: إني فعلت ذلك لله، والله لا يتخلى عمن يعمل له..

ومشت كلمتي في الناس مشي الكهرباء، تنتقل من أقصى البلد إلى أقصاها، فلم يمس المساء حتى كانت حديث البلد.

أما الحكومة فعلمت أنها فوجئت وغضبت، ولكن لم تجد سبيلاً عليّ، فأنا أتمتع بحصانات: بحصانة القضاء، وحصانة الدين لأني أخطب خطبة الجمعة في بيت الله، ومن ورائي الأمة المسلمة وآلاف من الشباب، يدافعون عمن ينصر دين الله.

فلم تجد الحكومة إلا أن تصب غضبها على رأس مذيعة ما لها ذنب، أظن أن اسمها فاطمة البديري، ولست أعرفها.

لما سألوها قالت لهم: ماذا تريدون أن أصنع؟ هل أقطع البث؟ (ونسيت أن أقول لكم إن الخطبة كانت تذاع من الإذاعة على الهواء). هل أقطع الخطبة والخطيب من رجال الدين؟ ثم إنه قاضي البلد، وماذا يقول سامعو الإذاعة؟ ثم إن الأمر كله لم يمتد إلا أقل من دقيقتين، لم أفق فيهما من دهشتي، حتى أرجع إلى عقلي، وأقدر ما ينبغي عليّ أن أفعل؟.

وعلى هذا الدفاع المخلص أوقعوا عليها العقاب.

وانقسم الناس قسمين: أما أهل الدنيا وفيهم بعض الحاكمين وبعض الصحافيين فحملوا عليّ، وكتبوا عني ما شاؤوا وشاء لهم هوى نفوسهم، وقد قلت لكم من قبل شيئاً قد لا تصدقونه ولكنه حق، هو أن الجرائد في الشام تُعلق على جدار القصر العدلي، وأنه طالما وقع لي أن الجرائد كانت تحمل عليّ، وتسبني بالعناوين الكبيرة، وأنا أمر بها، فلا ألتفت إليها، وأدخل إلى المحكمة، وأباشر عملي، وأنساها، كأنني ما رأيتها.

وأقسم لكم لتصدقوا أنني إلى هذه الساعة لم أدر ما الذي كتبوه فيها.

أما أهل الدين وهم الكثرة الكاثرة من السوريين بحمد الله رب العالمين فهم معي، حتى أن القاضي الفاضل العالم الشيخ محمد الأهدلي، رحمه الله، كتب مقالة عنوانها «كلنا علي الطنطاوي» ذهب فيها في تأييدي كل مذهب ممكن.

ونشرت الهيئات الإسلامية بياناً، طبعت منه أكثر من مئة ألف، ووزعته في أرجاء البلاد عنوانه «بيان الهيئات الإسلامية إلى الشعب الكريم».

كان مما قالت فيه: إن الجمعيات الإسلامية وعلماء المسلمين، تعلن للحكومة باسم الدين، وباسم الدستور، والكثرة الساحقة من هذا الشعب، الذي تنكر أديانه على اختلافها، وتنكر أعرافه وأخلاقه، الفسوق والدعارة والتهتك وإقامة الحفلات الراقصة المتكشفة باسم الفن والذوق والرياضة. والتي غضبت من الحفلة التي أقامتها مدرسة دوحة الأدب، وعرضت فيها البنات المسلمات راقصات أمام الرجال، في شهر رمضان شهر الطاعة،

ونحن في مرحلة حرب مع اليهود، ولا يستنزل نصر الله بمعصية الله.

تعلن للحكومة أنها قياماً بواجب الدين الذي يأمر بإنكار المنكر، وتنفيذاً لأحكام الدستور الذي يحمي الخلق والعفاف، وذوداً عن عقائدها وأخلاقها، لا ترضى بمخالفة شرع الله، وشرع العفاف، والسماح للفئة التي تتبع أهواءها وشهواتها باسم دعوى التقدمية والتجدد، أن تتحكم بأخلاقها وأعراض بناتها ومستقبل أبنائها، وتؤيد (وأنا هنا أنقل ما هو مكتوب) فضيلة الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي في كلمة الحق التي أعلنها في خطبته في مسجد الجامعة، وعبر فيها عن حكم الدين، وتنكر كل تحريف لها، وتطلب وضع حد لمؤازرة بعض رجال الحكومة لهؤلاء الناس، وحمايتهم للحفلات الماجنة.. إلخ.

أما التوقيعات فهي: رئيس رابطة العلماء أبو الخير الميداني، رئيس جمعية تضامن العلماء كامل القصاب، رئيس جمعية الهداية الإسلامية محمد سعيد الحمزاوي، نائب رئيس رابطة العلماء مكي الكتاني، رئيس جمعية التوجيه الإسلامي حسن حبنكة الميداني، رئيس جمعية الأنصار أحمد كفتارو، رئيس جمعية التهذيب والتعليم هاشم الخطيب، رئيس جمعية الشعائر الدينية محمد الهاشمي، نائب رئيس الجمعية الغراء أحمد الدقر، المراقب العام للإخوان المسلمين مصطفى السباعي، رئيس جمعية التمدن الإسلامي محمد حسن الشطي، رحمهم الله جميعاً[1].

قال:

ثم أصدرت جمعية الهداية الإسلامية منشوراً آخر، قالت فيه: «لقد حذر فضيلة الشيخ علي الطنطاوي (عفواً فإني أنقل ما هو مكتوب) وكثير من العلماء والجمعيات المراجع الحكومية من إقامة هذه الحفلة، ومما ينشأ عنها من ذيول هي في غنى عنها وعن عواقبها، وليس الظرف بالذي يلائم التفكك بين أفراد الشعب الواحد، أو إثارة مسائل لا يرضى عنها الدين.. إلى أن قالت: وما كان الذي جرى بالأمر الذي يسكت عنه قادة الدين وعلماء المسلمين، وفي طليعتهم (عفواً مرة ثانية) فضيلة قاضي دمشق

(١) انظر تراجم هؤلاء الأعلام في كتابنا «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري».

الشرعي الأستاذ الطنطاوي.. إلخ.

ولما قابل وفود العلماء رئيس الوزراء، وأحسب أنه كان خالد بك العظم، قال لهم: إنه يحترمني ويقدرني، ولكنه أنكر لفظاً بذيئاً، لا يليق بي، قد استعملته، هو لفظ الديوث. فصرخ به الشيخ عبد القادر العاني[1] وكان جهير الصوت، حديد المزاج، صداعاً بالحق: «لقد كفرت، وحرمت عليك امرأتك، إلا أن تجدد إسلامك. أتقول عن لفظ استعمله رسول الله وورد في الحديث إنه لفظ بذيء؟» يريد لفظ الديوث الذي ورد في حديث أخرجه الإمام أحمد والنسائي والحاكم وغيرهم[2]، فبهت ولم يجد بداً من الاعتذار.

قال:

ثم انتقلت القضية إلى المجلس النيابي وأثيرت في جلسة ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٥١م الموافق ٢٢ من شهر رمضان سنة ١٣٧٠هـ.

وكان الاستجواب موقعاً من نائب دمشق مصطفى السباعي[3]، ونائب دمشق محمد المبارك[4] ونائب المعرة حكمة الحراكي، ونائب الباب عبد الوهاب سكر، رحم الله الجميع، فقد مضوا إلى رحمة الله. أما الاستجواب فمنشور في الجريدة الرسمية في الصفحة ٢٥٩ من المجلد الصادر سنة ١٩٥١م.

لا أستطيع أن أورد الاستجواب كله لأنه طويل، ولكن ألخصه فيما يأتي:

يقول أولاً: هل ترى الحكومة في هذه الحفلة التي أقيمت في قصر آل العظم باسم معهد دوحة الأدب، وبرزت فيها الفتيات في سن الثامنة عشرة والعشرين في رقصات متعددة أمام الجمهور، وأنشدن أناشيد الهوى والغرام بشكل مثير، استعملت فيها آيات القرآن في مواطن لا تتفق مع جلالة القرآن وقدسيته؟

هل ترى الحكومة في هذا ما يتفق مع نصوص الدستور وبيانها الوزاري؟

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، وفيات سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) يشير إلى قول رسول الله ﷺ: «الدَّيوث الذي يقرُّ في أهله الخبث». وفي رواية: «الذي لا يبالي من دخل على أهله». وكان العامة في دمشق يسبون بهذه الكلمة خصومهم، يعيرونهم بها، فظنها رئيس الوزراء كلمة بذيئة.

(٣) انظر لترجمته كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، وفيات ١٣٨٤ ط٢.

(٤) انظر لترجمته علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري وفيات سنة ١٤٠٢هـ.

هل ترى الحكومة أنه كان من المناسب إذاعة هذه الحفلة من محطة الإذاعة الرسمية في شهر هو عنوان العبادة والتقوى والخضوع إلى الله، وهو شهر رمضان؟

هل ترى الحكومة أن مثل هذه الحفلات يصح أن يقوم بها معهد أنشئ للتعليم والتهذيب.. إلخ؟

هل ترى الحكومة أنه مما ينسجم مع بيانها الوزاري ومع تعليمات وزارة الداخلية بمنع الاختلاط في الشوارع العامة بين الرجال والنساء في شهر رمضان أن سمح بالاختلاط في تلك الحفلة، حين كانت السيدات والتلميذات في أتم زينة وأجمل حلية؟

هل ترى الحكومة في تقديم الأستاذ الطنطاوي للقضاء احتراماً لحرية الرأي، ولحرية المساجد، وللإسلام الذي نص الدستور على وجوب استمساك الدولة به وبآدابه.. إلخ؟.

وتكلم في هذه الجلسة الأستاذ محمد المبارك، رحمه الله ورحم الجميع، فقال كلمة طيبة جاء فيها: «إن رقص السماح أيها الإخوان الذي يريد بعض الناس أن يفخر به قد رافق عصر الانحلال والانحطاط في الأندلس وفي بعض البلاد العربية الأخرى، أفلا يجب أن نقلد ـ إذا ما أردنا أن نقلد ـ عصور الحضارة والمد الذهبي الذي كانت فيه المرأة تجمع بين الخلق والكرامة والجهاد والكفاح.. إلخ؟».

ثم تكلم رئيس المجلس فدعا النواب إلى إرجاء البحث في هذه القضية حتى يرد جواب الحكومة. ثم أعطى الكلمة للدكتور منير العجلاني[1] فكان مما قال: «سيدي الرئيس، لقد ألقيت سؤالاً على معالي وزير العدلية يتعلق بقضية قاضي دمشق الأستاذ علي الطنطاوي، وليس القصد إحراج معالي الوزير، فهو شخصية محببة مهذبة، وأنا من الذين يحبونه ويحترمونه. ولكن أردت أن نفهم من هذا السؤال الأسباب الحقيقية التي حملت الصحف على تكثيف حملة غاشمة ضد كاتب كبير، ومناضل وطني معروف (أعتذر مرة ثالثة لأنني أنقل مدح نفسي) هو فضيلة قاضي دمشق الأستاذ علي الطنطاوي. وقد كان من جملة الأشخاص الذين استمعوا إلى خطابه في المسجد أستاذ في كلية الحقوق هو

(١) انظر لترجمته علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري وفيات سنة ١٤٢٥هـ.

الأستاذ مصطفى الزرقا[1]، كما استمع إليه أستاذ آخر هو الدكتور مصطفى البارودي[2]، وقد أكدا لي أن فضيلة القاضي لم يأت على ذكر حفلة دوحة الأدب بصراحة، ولا تعرض لها بجملة مخصوصة.. إلخ».

ثم ألقى الشيخ الدكتور مصطفى السباعي كلمة قال فيها: «إننا نزولاً عند رغبة مقام رئاسة المجلس النيابي ودولة رئيس مجلس الوزراء نرجئ بحث هذا الموضوع حتى يأتي جواب الحكومة، ولعلها تسعى في هذه المدة إلى إصلاح الجو بما يحفظ لنا الأخلاق، ويحفظ سمعتنا في البلاد العربية الشقيقة».. إلى آخر ما قال..

هذه هي القضية التي شغلت الناس والتي لم أرد من إثارتها يعلم الله إلا إنكار المنكر، وقد حوكمت بعدها أمام مجلس القضاء الأعلى عليها، وعلى مقالة كنت كتبتها في نقد قانون العقوبات الذي يكاد يبيح الزنا، وقلت عنه إنه قانون «القطاط في شباط».

وقصة المحاكمة طويلة، وقد انتهت بالحكم عليّ بحسم عشر راتبي شهرين متعاقبين!.

انتهى كلام الشيخ علي الطنطاوي.

أما المعهد فعلّق فيما بعد يقول: هذا ما أثار مجتمع دمشق المحافظ المتزمت على المعهد وإدارته، وعلى الفنان عمر البطش دون جدوى، وانتصرت التقدمية في نظراتها للفن على الرجعية المتزمتة، وما قامت به من أعمال، واستمرت طالبات دوحة الأدب في تقديم عروضها الفنية في كل عام، محققة عن طريق هذا الرقص التراثي الرائع في كل شيء أول نصر حقيقي للمرأة في ميدان الفن.

---

(١) انظر لترجمته علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري وفيات سنة ١٤٢٠هـ.

(٢) انظر لترجمته إتمام الأعلام ط٣ على تسلسل ألف باء.

## خلاصة ونتائج حول المدارس الثانوية الجامعة

- كانت هذه المدارس الثانوية الجامعة تضم مراحل التعليم الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية.
- اعتمدت مناهج تربوية في شتى العلوم.. إلى جانب اهتمامها باللغة العربية ثم اللغة الفرنسية.
- خرَّجت الثانويات طلاباً أكفياء، حصلوا على شهاداتهم بجدارة دون محاباة، فاحترمهم المجتمع ورفع أقدارهم من جهة، ومن جهة أخرى خدموا البلد من الجوانب الاقتصادية والحقوقية والطبية والسياسية والإدارية والعلمية.
- كان مؤسسو هذه المدارس من أعيان البلد وعلى غيرة وطنية، وكذلك كان أساتذتها من كبار العلماء.
- كانت المدارس التجارية والكاملية والمحسنية واليوسفية ذات صبغة دينية، في حين غلبت على برامج الكلية العلمية الوطنية العناية بالعلوم العصرية، مع احترامها للعلائق الإسلامية. أما دوحة الأدب فما كانت تهتم بالعلوم الدينية.
- عدّ الشيخ علي الطنطاوي هذه المدارس مدارس جامعة أي إن عليها مدار التعليم الأهلي الجاد.
- كانت الثانويات المذكورة بعيدة عن أي توجّه طائفي أو سياسي معين أو فكري خاص.
- أهّلت هذه المدارس طلابها للحصول على اعتراف الدولة، والدخول في الجامعة.
- لم تعرف هذه المدارس التعليم المختلط بين الجنسين. فلما توسع التعليم وشمل البنات أسست فروعاً خاصة لهن.
- قام بعض هذه المدارس على تبرع المحسنين، وتبرع القائمين عليها. وكان بعض

المدرسين يتبرعون بجهودهم الثقافية حسبة دون أجر. وبعضها كان يتلقى تبرعات المحسنين لأن الرسوم السنوية لم تكن تقوم بمصروفاتها.

- بقيت المحسنية واليوسفيّة مستمرتين حتى اليوم بزخمهما، إلا أنهما تعدّان الآن كباقي الثانويات الخاصة التي سنتحدث عنها. في حين تحولت المدرسة الكاملية والمدرسة التجارية إلى مدرستين ابتدائيتين كسائر المدارس الخاصة اليوم. ثم أغلقت هذه الأخيرة.
- عُنيت بعض هذه المدارس الجامعة بالرياضة، وعني بعضها كذلك بالتمثيل المسرحي يوم كان ذلك مكروهاً عند الناس، ولكنه كان تمثيلاً ملتزماً.
- وبعد

**فقد قال الأستاذ سعيد الأفغاني[1]:**

افتحت المدارس الأهلية بكثير من المضايقات لتخمد أنفاسها، فلم يزدها ذلك إلا قوة في الحياة.. وكان ما يتساقط على رؤوسها من المثبطات أضعاف ما يزدحم على المدارس الأجنبية من المشجعات. وقال: هذا تاريخ قل من أشار إليه، ولعل هذا من تتمة حظها المنكود مادياً، ولا يليق بمن يتكلم على نهضتنا أن يغفل باعثيها الحقيقيين، ويشتغل عن دونهم ممن ظهر على مسرح السياسة الغوغائية[2].

---

(١) سعيد الأفغاني (١٩٠٩-١٩٩٧م) نحوي بحاثة، ولد بدمشق، وتعلم في مدارسها وعلى علمائها، وتخرج بمدرسة الأدب العليا (نواة كلية الآداب) فيها، تقلب في سلك التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي حتى كان أستاذ النحو الأول في دمشق لزمنه، واشتهر، كان له أثره العلمي في طلابه، وكان حازماً جاداً ذا فكاهة مرّة، له مؤلفات عديدة.. ولما أحيل على التقاعد تلقفته جامعات عربية ثم لزم بيته. توفي في مكة المكرمة ودفن بها، ترك عدداً من المؤلفات (إتمام الأعلام ١٧٠ ط٢. وانظر «سعيد الأفغاني في سيرته وأعماله» للدكتور مازن المبارك).

(٢) حاضر اللغة العربية في بلاد الشام ٢٧.

# الباب الثالث

# (المدارس الثانوية التالية)

تمهيد

## أولاً- مدارس الذكور

أ - الثانويات السابقة: المعهد العربي

- ثانوية السعادة
- معهد الأنصار
- ثانوية دار الحكمة

ب - ثانويات أخرى:

- دمشق العربية
- الأندلس
- دمشق الوطنية
- اليرموك
- دار الثقافة
- الأهلية
- دار الفكر
- العربية

ج- مدارس العمال الليلية

## ثانياً- مدارس الإناث

أ - أنموذج معهد بدر

ب - ثانويات أخرى:

- معهد النجاح
- الجمهور
- تحرير الفتاة
- المعري

خلاصة ونتائج.

# تمهيد

بعد الجلاء عن سورية عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م انتقلت البلاد إلى مرحلة جديدة وتطلُّع آخر هو تطلّع النهضة والبناء. وتولى الوطنيون سدّة الحكم الذي قام على الديمقراطية أولاً، وكان الحاكم هو المجلس النيابي الذي يوجّه انتقاداته إلى الوزراء والمديرين والمسؤولين ويعدّل من ميولهم، ولا ينجو من انتقاده رئيس الجمهورية[1]. ثم انحرفت الأوضاع وتحكّم بالبلاد ناس لا يرعون إلّاً ولا ذمةً.

في تلك الفترة تأسست مصانع هامة، ونشطت التجارة، وفُتحت أبواب الاقتصاد، وقامت في دمشق حركة غير عادية، وحدثت نقلة نوعية في البلاد على جميع الأصعدة.

وكان من جملة تلك الحركة إنشاء عدد من المدارس الثانوية الهامّة، بعدما بدأت الثانويات الأهلية بالتراجع.. كما رأينا في الحديث عنها.

ولم تكن المدارس الثانوية الأهلية التالية بهية المظهر، ولا قوية الإمكانات، قامت في الدور العربية الشعبية القديمة، ومنها ما كان ضيقاً، وكان معظمها في دمشق القديمة قبل أن تتوسع المدينة منذ سبعينات القرن العشرين.

قامت هذه الثانويات الجديدة على استحياء، ولم يكن لها ممولون يدفعون لها رؤوس أموال تسندها، وإنما كان غالبها يقع على عاتق مدرسين يتجمعون بما لديهم من مدخرات، يضمون بعضها إلى بعض، فيستأجرون من تلك الدور الرخيصة الأجرة، ويقومون هم بالتدريس، ويستعينون إلى جانب ذلك بزملائهم.. ويحاكون مناهج الدولة تماماً، ولا يخرجون عنها.

---

(١) هناك أخبار عجيبة عن محاسبة المجلس للرئيس شكري القوتلي فضلاً عن الوزراء. اقرأ ما كتبه عنه في الكتاب الذي يحمل اسمه عبد الله الخاني.

وكانت هذه المدارس تتقاضى أقساطاً زهيدة، لا يجني مؤسسوها من ورائها سوى أرباح متواضعة[1].

وكان مما أدى إلى الإقبال على تلك المدارس الثانوية الجديدة، وأكّد وجودها أن الدولة لم تستطع إيجاد الثانويات الكافية لاستيعاب الطلاب، فكانت تقبل في الثانويات الرسمية ما يملأ الأماكن المتاحة للطلاب.. وترفض ما يزيد عن إمكاناتها.

وقد لجأت إلى قبولهم وفق معدلات نجاحهم في الشهادتين الابتدائية والإعدادية، ومن لم يحصل على المعدل المطلوب منهم اضطر إلى التسجيل في الثانويات الأهلية[2].

ثم بقيت الحال على ذلك حتى عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م حين قامت ثورة آذار، وحاولت الدولة من جهتها استيعاب الطلاب الناجحين في الشهادتين، فتأخرت بذلك المدارس الخاصة.

ثم عينت الدولة على كل واحدة منها مديراً من قبلها، يراقب خط سيرها، وتكون المسؤولية الإدارية العامة إليه، ليطبق الخطة التي اعتمدتها وزارة التربية لها.

ولم تختلف الثانويات الخاصة في مناهجها ولا في نظام الحصص الدرسية فيها ولا في عطلاتها عن نظيراتها الرسمية، كانت صورة طبق الأصل عنها. ولئن ظهر ضعف بعضها، فإن منها ما حصل على سمعة طيبة وربما فاق بعض الثانويات الرسمية.

على أن لبعض الثانويات الأهلية ميزة لم تكن لمثيلاتها الرسمية، وهي أن أساتذتها على الغالب منتقين، وهي تحرص على المدرسين المعروفين حرصاً على سمعتها، واستجلاباً للطلاب. ولذا فإنها تصرف المدرس غير الكفي. في حين لا تقدر على ذلك الثانويات الحكومية.

لكن هذه الميزة لم تكن في جميع الثانويات الخاصّة.. ويبقى بعضها في المستوى الضعيف الذي تأثرت سمعته.

ومع ازدياد الإقبال على التعلم والانفجار السكاني، والهجرة من الأرياف إلى المدينة، بدءاً بثمانينات القرن الرابع عشر الهجري وتسعيناته/ ستينات القرن العشرين وسبعيناته

(١) كان طالب المرحلة الثانوية مثلاً يدفع في ستينات القرن العشرين قسطاً سنوياً ما بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ليرة سورية، وهذا ما يعادل الراتب الشهري لموظف الطبقة المتوسطة آنذاك.

(٢) استثني من شرط معدل القبول أولاد المدرسين والمدرسات.

دخلت المدارس الخاصة في منعطف جديد، لأن ما أحدثته الدولة من مدارس جديدة لم يكن يقوم بحاجة المواطنين.

ولكن المشكلة أنّ هذه الثانويات الأهلية بقيت محدودة جداً، لأنّ الدولة امتنعت بعد ثورة آذار عن منح تراخيص لمدارس جديدة، فتضخمت بأعداد الطلاب وضاقت عن الاستيعاب، فكان يحشر في الصف الواحد طلاب فوق المسموح به، ويُوضعون في شروط غير صحية ولا تربوية[1].

ومنذ ثمانينات القرن العشرين، واشتداد الازدحام في المدينة والإقبال على الجامعات التي أخذت تتشدد في القبول[2]، وترفع المعدلات المطلوبة دخلت المدارس الأهلية في منعطف جديد، هو منعطف العناية بصف الشهادة الثانوية، واشتهرت بعض الثانويات بأساتذتها، فازداد عليها إقبال الطلاب الذين يريدون معدلات عالية للفوز بالكليات الجامعية المطلوبة كالطب والصيدلة والهندسة؛ ذلك لأن المدارس الرسمية لا تستطيع بمجمل أساتذتها أن تساعدهم على ما يريدون إلا بجهود الطالب الذاتية، واعتماده على مدرسين خصوصيين، فزاد الإقبال على مشاهير الأساتذة المعروفين وارتفعت أجورهم.

وكان بعض هؤلاء الطلاب راسبين لم تعد تقبلهم الثانويات الرسمية، أو ناجحين يريدون إعادة الكرّة في امتحانات الثانوية مع الطلاب الأحرار للحصول على معدلات في النجاح أفضل، فما كان لهم إلا اللجوء إلى المدارس الخاصة التي أخذت تتنافس في استقطاب مدرسين مشهورين أكفياء. ومن هنا أدت المدارس الأهلية وظيفة خاصة في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين.

سنعرض في البحث لبعض الثانويات بدمشق في وقفة متأنية، وسنشير إلى بعضها الآخر إشارات سريعة.. وسنفصل الحديث على ثانوية دار الحكمة الخاصة نموذجاً لها، يعبّر عنها.

(١) وقد لجأت بعض الثانويات إلى أنواع من الترتيبات، فجعلت دوام الطلاب على ثلاث مراحل، الأولى منذ الصباح الباكر حتى الظهيرة، والثانية من الظهيرة حتى المساء، والثالثة من المساء حتى التاسعة ليلاً، ولكل مرحلة ما يناسبها من نوعية الطلاب.

(٢) لم تكن الجامعات الخاصة مستحدثة بعد.

# أولاً - مدارس الذكور

## أ - الثانويات السابقة

### المعهد العربي الإسلامي[1]

أنشأه الدكتور مصطفى السباعي، تحت اسم جمعية المعهد العربي الإسلامي، فقام في أربعينات القرن العشرين، في بناء عربي (شعبي) مستأجر لبيت القباني، مقابل واجهة البرلمان السوري (مجلس الشعب)[2]، ثم انتقل المعهد إلى بناء مستأجر آخر من ثلاث طبقات شمال منطقة عرنوس، في الموضع القائم فيه اليوم.

حصلت الجمعية لاحقاً على الترخيص الصادر عن وزارة الداخلية برقم ش/ ١١٨٣٦ تاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٥٢. وجاء في نظامها الأساسي الذي شهر في ٩/ ١/ ١٩٦٠م أن أغراضها تعليمية وتربوية وثقافية.. وأنها تتوسل لتحقيق غاياتها بإنشاء المدارس الثانوية والإعدادية والابتدائية ودور الحضانة للبنين والبنات في سورية، وبإلقاء المحاضرات، وبإصدار الكتب والمجلات بعد الحصول على ترخيص مسبق من الجهات المختصة.

وجاء كذلك في النظام المذكور أن برامج الجمعية التعليمية تُجاري برامج المدارس الرسمية، وأنها إلى ذلك تعنى بوجه خاص بمواد الثقافة العربية والإسلامية.

وأكد هذا النظام أن لا علاقة للجمعية بالشؤون السياسية مطلقاً، وأنها لا تقوم بأي عمل سياسي.

وقد حدد النظام شروط العضوية فيها، وصفة الجمعية العمومية لها، ومجلس الإدارة، وأموال الجمعية، وفروعها.. وذكر النظام الأساسي المشار إليه أسماء الشخصيات التي أسست الجمعية، وهم على حروف المعجم:

---

(١) اعتمد هذا البحث على النظام الأساسي للجمعية، وعلى ما أفاد به الأستاذ الدكتور مازن المبارك، ومقابلة المعنيين.

(٢) البناء واسع، أزيل وأقيم مكانه في ستينات القرن العشرين برج.

أبو الفرج الشاش
أحمد حمدي الخياط
أحمد مظهر العظمة
أديب القطب
أنور الشوّا
بدر الدين دياب
بديع القصص
بهجة الحيلاني
توفيق الكوسا
حسن الشطي
حسن الطرابيشي
حسني الهبل
حمزة بدير
رشاد البعلبكي
سعيد الحلواني
سعيد حمزة
سعيد غنيم
شفيق دياب
شفيق سكر
صالح الشامي
صبحي مراد
صلاح الدين باقي
صلاح الدين دعدوش
صلاح الدين الشاش
صلاح الدين شمسي باشا
صياح البغدادي
عادل الخجا
عادل سودان
عبد الحميد دياب
عبد الحميد السيدا
عبد الهادي الرباط
عثمان النوري
عربي سكر
عزة الدبس
غالب اليافي
فائز المط
كامل شاشيط
محمد أمين هاشم
محمد بهجة البيطار
محمد خير الحبال
محمد رفعت الإيتوني
محمد كمال أحمد الخطيب
محمد المبارك
محمد ياسين الطباع
مصطفى الزرقا
مصطفى السباعي
ممدوح القطب
ممدوح النص
منير السمان
منير المالح
مهدي الكزبري
مهيب إياس
نظمي ملص
وجيه العاقل
وهبي الحريري

والمتأمل في أسماء هذه الشخصيات يرى أنها الشخصيات العليا في دمشق، فيهم كبار رجال الأعمال وأساتذة الجامعات والأطباء وأهل العلم والأدباء والكتاب والقراء.. وهم كذلك خلاصة الأسر الكبيرة الوطنية التي حملت رسالة النهضة بالبلد على جميع الأصعدة.

لذا يمكن أن نعد المعهد أول هيئة تعليمية، تشرف عليها جمعية تمثل الأطياف المختلفة للبلد.

قصد المعهد أبناء الأسر الدمشقية المحافظة، رغبة في السمعة الطيبة التي وصل إليها، والرسالة الهادفة التي يحملها، ولاهتمامه بالثقافة العربية والإسلامية التي تهمّ الملتزمين بهما.

علّم فيه خيرة المدرسين، واستطاعوا أن يخرجوا طلاباً كان لهم شأنهم العلمي والثقافي والفكري.

واهتم القائمون على المعهد بإحداث دوام ليلي للطلاب الذين تمنعهم ظروفهم المعيشية من الدراسة النظامية والتفرغ للعلم.. فتقدم هؤلاء الطلاب لامتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية.

أدار المعهد أولاً الدكتور مصطفى السباعي، ثم عمر بهاء الأميري، ثم عبد الغني الباحقني، ثم نمر المصري، ثم رفيق الجويجاتي، ثم حسن عبيد.

كان من مدرسيه الدكتور شكري فيصل والدكتور مازن المبارك.

ثم أنشأت الجمعية فرعاً من المعهد للبنات في منطقة نوري باشا، ثم انتقلت مؤخراً إلى ضاحية دمر.

# ثانوية السعادة[1]

كانت بداية الفكرة بعدما ضرب الفرنسيون جامع تنكز مقر الجمعية الغراء في حوادث ٢٩ أيار/ مايو ١٩٤٥م وظهرت حاجة للتعويض عن المدارس المتعلقة، فقررت الجمعية بجلستها المنعقدة في ٨ تموز/ يوليو من العام المشار إليه ضرورة إنشاء ثانوية كونية[2] تفي بالمطلوب، ثم رفعت طلباً إلى رئيس الجمهورية للحصول على الترخيص المطلوب.

افتتحت الثانوية في العام الدراسي ١٩٤٥/ ١٩٤٦م في مبنى مدرسة سعادة الأبناء شمال الجامع الأموي.

أحدث فيها أولاً الصف الأول الإعدادي (كانت المدارس الابتدائية من خمسة صفوف فقط) ثم أخذت المدرسة تحدث صفاً أعلى في كل سنة دراسية جديدة حتى استكملت صفوف المرحلتين الإعدادية والثانوية.

بعد مدة نقلت الثانوية إلى جناح في جامع تنكز حيث معهد العلوم الشرعية للجمعية الغراء.

التزمت الثانوية بمناهج الدولة كباقي الثانويات الأهلية التي أحدثت بعدها، وكانت مثلها كذلك تتقاضى أقساطاً سنوية، بخلاف مدارس الجمعية المجانية.

ولما أوعز وزير الداخلية عبد الحميد السراج زمن الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨- ١٩٦١ بإغلاق المعهد المذكور سمحت الجمعية للشيخ عبد الغني الدقر مدير الثانوية أن يطلب ترخيصاً باسمه. فاستأنفت المدرسة أعمالها على النسق القديم.

ثم أغلقت الثانوية ثلاث سنوات، تنازل الشيخ بعدها عن الترخيص إلى الأستاذ فاروق الطباع، فحصل لها على ترخيص جديد من مديرية التربية صدر برقم ٢٠٢ تاريخ ١٠/ ١٠/ ١٩٦٢م فتابعت عملها.

---

(١) اعتمد هذا البحث على ما جاء في كتاب «الشيخ علي الدقر» وفيه تعريف واسع بالجمعية المذكورة، وانظر كذلك للتعريف بها في الباب المتعلق بالمعاهد الشرعية للجمعيات الخيرية.

(٢) المقصود بالكونية المصطلح الذي اعتمده علماء الشريعة بدمشق ليعني تدريس المواد غير الشرعية.

وفي عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م انتقلت ملكيتها إلى الأستاذ هشام الناشف[1]، فخصص وقته كله لها، وارتقى بها لتتسنم قائمة الثانويات الأهلية بدمشق. إذ عمل على انتقاء المدرسين الأكفياء، وضبط الدوام، وأشرف على الثانوية الإشراف التربوي الرفيع، وألزم الطلاب الالتزام الدراسي الصحيح.. فكانت نتائجهم في الشهادة الثانوية على تفوق، فأقبل عليها الطلاب إقبالاً ملحوظاً.حتى اكتظت بهم مما لا مزيد عليه.

(١) الأستاذ هشام الناشف: (١٩٣٠-٢٠٠٣) من كبار أساتذة الرياضيات، ولد وتوفي بدمشق، وأمضى عمره في التدريس مخلصاً فيه، فأنشأ جيلاً من الطلاب يعترفون بفضله. شارك في تأسيس عدد من الثانويات، منها: ثانوية دمشق العربية، ومعهد لينغوا لتعليم اللغات، له بعض كتب مدرسية في تخصصه. كان دؤوباً في عمله يحضر المدرسة قبل الطلاب وقبل المستخدمين، ويغادر بعدهم كلهم.

# معهد الأنصار[1]

مدرسة إعدادية وثانوية للذكور تشرف عليها جمعية الأنصار الخيرية لرعاية الفقراء والمساكين وطلبة العلم، أسسها الشيخ أحمد كفتارو[2] عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.

برزت فكرة إنشاء المعهد حين زار مؤسسه المدرسة اللعازارية فوجد في غرفة الإدارة صوراً لأبرز الشخصيات السياسية والعلمية التي تخرجت فيها. فشعر بتقصير علماء المسلمين في تأسيس المدارس العامة، هذا إضافة إلى أنه رأى غالب العلماء يعملون على إنشاء المعاهد الشرعية التي لا مستقبل لأبنائها في تسنم ذرا المؤسسات الإدارية.

قرر الشيخ الإسراع في تأسيس المعهد بالرغم من الاضطرابات التي كانت تشهدها البلاد، بالإضافة إلى ضعف الإمكانات المادية. فاستأجر من وزارة المعارف (التربية اليوم) قاعة في مدرسة بحي البحصة، وجهزها لتستقبل طلاب الصف الأول الإعدادي والصف الأول الثانوي بدءاً بالعام الدراسي ١٩٤٩/ ١٩٥٠م، وجعل يحث الأهالي على تسجيل أبنائهم، فأقبل عليه الطلاب.

وقد أجمل المؤسس أهداف المعهد في التوجهات الآتية:

- تربية النشء وتثقيفه بثقافة علمية، تدعمها العقيدة ومكارم الأخلاق .

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على مقالة خاصة كتبها الدكتور محمد شريف الصواف، وعلى نشرة تعريفية بالمعهد.

(٢) الشيخ أحمد بن محمد أمين كفتارو (١٩١٠-٢٠٠٤م) مؤسس نهضة علمية، من شيوخ النقشبندية البارزين، وأحد أعلام دمشق لزمنه، ولد بدمشق لأسرة كردية، قرأ على والده وغيره. أقبل عليه المريدون، واستقطب شرائح واسعة منهم، وذاع صيته، تولى إفتاء الشافعية بدمشق سنة ١٩٥١م ثم الإفتاء العام منذ عام ١٩٦٤م حتى آخر حياته، أنشأ إلى جانب معهد الأنصار للذكور معهد بدر للإناث، ثم جمعية الأنصار عام ١٩٥٩م لرعاية الفقراء وطلاب العلم التي عنيت بالنهضة العلمية والتي انتهت بإقامة مجمع أبي النور وتغير اسمه قبل وفاته إلى مجمع الشيخ أحمد كفتارو، وضم معاهد شرعية مختلفة للمرحلتين الإعدادية والثانوية، وفرعاً لجامعة أم درمان السودانية وفرعاً كذلك لكلية الدعوة الإسلامية الليبية، وفرعاً ثالثاً لكلية الشريعة بجامعة الأزهر وأقساماً للدراسات العليا.. عضو هيئات ثقافية عربية وإسلامية. توفي بدمشق ودفن بالمجمّع المذكور (إتمام الأعلام).

- تعريف الطالب بحقيقة الإسلام ومعناه علماً وعملاً، وإطلاعه على حكمة التشريع، وفلسفة الدين.
- جعله قدوة صالحة لتمثيل المسلم الحقيقي القوي جسماً وتفكيراً وخلقاً وإيماناً واعتزازاً بالتراث العربي الإسلامي.
- جعله مدركاً لواجباته وحقوقه حتى يصبح عاملاً للمصلحة العامة، وهو مشبع بروح التضامن والأخوة بين جميع المواطنين.

وما إن بدأ الطلاب دروسهم حتى عصفت الاضطرابات السياسية بالبلد، فحالت وزارة المعارف آنذاك دون إتمام المشروع، ومنعت الشيخ من استخدام المدرسة قبيل العام الدراسي المشار إليه.

على إثر ذلك استأجر الشيخ غرفتين في إحدى الدور بحي نوري باشا غرب الجسر الأبيض، ونقل المعهد إليهما ليمضي فيهما العام الدراسي المذكور، وليستأجر بيتاً في شارع خالد بن الوليد، حلَّ فيه العام الدراسي التالي، حتى استقر المشروع أخيراً في حي سوق ساروجة تجاه المدرسة الشامية[1] حتى عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

اعتمد منهاج المعهد مقررات المناهج الرسمية للمدارس الثانوية بنصها، لتأهيل الطلاب إلى امتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية الرسمية، وأضاف إليها:

- التوسع في الثقافة العربية الإسلامية

(ويندرج تحت هذا اعتماد الدراسات الإسلامية، لتقوية ملكة الطالب في الدعوة مستقبلاً لكونه يحمل رسالة الإسلام، وفيها تجويد القرآن الكريم، مع حفظ أجزاء منه ومن الحديث الشريف، وكذلك تفسير القرآن مع تفهّم أسباب النزول وحكمة التشريع، والفقه.. وذلك بدورات في العطلة الصيفية).

- الاهتمام باللغات الأجنبية الحية.

---

(١) المدرسة الشامية. البرانية أمرت ببنائها الخاتون ست الشام ابنة نجم الدين أيوب عام ٥٨٢هـ في أسفل سويقة ساروجة على شارع الثورة اليوم (خطط دمشق ١٢٤) وتقتصر حالياً على المسجد.

- تنشيط الروح العلمية في نفوس الناشئة لتساير ركب الحياة الاجتماعية، بحيث يستفاد من أرقى ما وصلت إليه الأمم بما يحقق المبادئ الإسلامية.
- العناية بالفتوة والرياضة مما يحقق تطبيق الحديث الشريف «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل»[1].
- إحداث رحلات تحت إشراف المدرسين لتعلُّم هذه السنن الشريفة على أحدث الطرق الفنية السليمة.

بالإضافة إلى هذا ركّز المعهد على البناء الفكري والعقدي من خلال المدرسين الذين انتقتهم الإدارة من التربويين المعروفين، إضافة إلى ترسيخ جانب العبادات، إذ كان الطلاب يؤدون صلاة الظهر يومياً في جامع المدرسة الشامية المذكورة، مع العناية بمجلس الذكر النقشبندي[2] صباحاً قبل بداية الدوام بساعة.

ولتعزيز ارتباط الطلاب بالأساتذة اهتم المعهد بالرحلات الترفيهية، وإقامة المخيمات؛ وكان من أشهرها مخيم منتجع الحمة[3]، كما عني المعهد بإعداد المسرحيات الهادفة في موضوعات تاريخية واجتماعية ووطنية وترفيهية. وكان المعهد قد وضع في تطلعاته إحداث تعليم ليلي للعمال الذين لا تمكنهم ظروفهم من الدراسة النهارية.. وكذلك إنشاء ملاعب رياضية.

هذا، وقد اشتمل المعهد على مخبر، يحتوي على آلة سينمائية لعرض الصور العلمية والتاريخية والصحية، ومذياع، ومسجلة، وأدوات كهربائية، ونماذج من الأحجار والحيوان والنبات، وأدوات طبية ومجهرية، ومجسم للجسم البشري بأقسامه.. وعدد من وسائل الإيضاح.

---

(١) الحديث في البيهقي موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفيه زيادة في نصه.

(٢) النقشبندية: طريقة منسوبة إلى خواجة بهاء نقشبند، وقد دخلت دمشق مطلع القرن الحادي عشر الهجري، ثم انتشرت انتشاراً واسعاً على يد الشيخ خالد النقشبندي الذي بعث نهضتها في القرن الثالث عشر الهجري.

(٣) الحمة: منتجع لينابيع معدنية حارة في جنوب سورية وشمال الأردن في منخفض الغور، تقصد للاستشفاء من الأمراض الجلدية، والله المعافي. والحمة السورية اليوم تحت الاحتلال الإسرائيلي.

وبينت نشرة المعهد المذكورة أنه يعتمد النظامَ ذا البنود الآتية:

- إحصاء دوام الطالب، وإعلام وليّه بمرات غيابه.
- إطالة دوام المعهد إلى أوسع قدر ممكن.
- عدم إرهاق الطالب بالحفظ، والعمل على تقوية حيويته وتنمية روح الإبداع والابتكار لديه.
- توجيه الطلاب للاستفادة من الوقت وتعريفهم بقيمة الزمن، حتى يصدروا ولو في لهوهم عن فوائد جمّة.
- تنمية الرجولة والحزم، وبث روح التربية العسكرية لتحمل شظف العيش.
- إيجاد مكاتب للمطالعة في أوقات الفراغ.
- التشجيع على الخطابة والكتابة.
- توجيه المسرح لعرض الوقائع العربية الإسلامية.
- الابتعاد عن السياسة والحزبية.
- تنمية الميول الشخصية والنبوغ.
- توفير الصلة بين البيت والمدرسة.
- السهر على صحة الطلاب ونظافتهم بمراقبة طبيب المعهد الخاص.
- فتح سجلات الأعمال مع ملاحق خاصة بها، تتضمن الرسوم البيانية وأعمال الطلاب لتسجيل كل واحد منهم مقدار ما أنجز في كل مادة، فلا يمضي أحدهم أغلب وقته في دراسة المواد التي يميل إليها، وإهمال ما عداها.

علّم في المعهد نخبة من تلاميذ الشيخ المؤسس ممن عرفوا بالكفاية الإدارية والعلمية والتربوية والحس الدعوي، ومهارة التواصل مع الطلاب، عرف منهم:

نصر الدين الخشة: مدير منتدب من وزارة التربية

عدنان علوش: المدير الأساسي

محمد عيسى: موجه إداري

الشيخ أسامة الخاني: الموجه المسؤول عن رعاية الطلاب والتواصل معهم (قام على رعاية الشباب والإشراف على جميع الأنشطة)

عدنان دركزلي: أمين السر والمحاسب

ومن أشهر مدرسي المعهد على مدى السنوات (وكلهم من مريدي الشيخ):

نصر الدين الخشة: التاريخ والتربية الوطنية

د. عارف الطرقجي: العلوم

عبد الرحمن الباني: التاريخ والتربية الدينية

عبد الحميد الصباغ: التربية الدينية

زكريا خبازه: الفيزياء والكيمياء

أسامة الخاني: الاجتماعيات والرياضة

حقي المحتسب: اللغة العربية

مصطفى حربل: الرياضيات

قاسم دبش: الرياضيات

محمد حسن الحمصي: اللغة العربية

زياد الدين الأيوبي: التاريخ

عدنان تركو: الجغرافية

محمود الكاتب: الرياضيات والعلوم

عمر سليم الصباغ: التربية الدينية

راتب محملجي: الكيمياء

علي رستم: الانكليزية

ثم في مرحلة متأخرة جاء جيل من المدرسين (من تلامذة الشيخ أيضاً)، من أشهرهم: زهير الأيوبي، مروان شيخو، ميسّر سهيل، فاروق آق بيق، نعيم منصور، عدنان الدبسي، سعيد الذهبي.

وممن تخرجوا في المعهد وكان لهم أثرهم في المجتمع:

ضياء الأسطواني، أسامة المؤيد العظم، عبد الكريم الشايب، بهجت قبيسي، زاهر كفتارو، عبد الفتاح شركس، عدنان دبسي، مروان البني، د. محمد المصون الطرقجي، محمد سعيد البغدادي، نصوح الشربجي، نذير شخاشيرو، محمد خير فاطمة، بسام الصباغ، أحمد المفتي، غسان كلاس، عبد الرحيم الشمص، غسان الحموي، علاء الدين الأيوبي، أحمد النجار، هاني الصحاني، محمد ديب، حمزة شكور.

اختار الشيخ المؤسس قصيدة الشاعر محمد إقبال لتكون نشيد المعهد، يفتتح به الطلاب يومهم الدراسي:

الصين لنا، والعرب لنا ... والهند لنا، والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تُمحى ... في الدهر صحائف سؤددنا
بنيت في الأرض معابدنا ... والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه ... بحياة الروح ويحفظنا

***

في ظل السيف تربينا ... وبنينا العز لدولتنا
علم الإسلام على الأيام ... شعار المجد لملتنا
بهلال النصر يضيء لنا ... ويمثل خنجر سطوتنا
وأذان المسلم كان له ... في الغرب صدى من همتنا

***

قولوا لسماء الكون لقد ... طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر لقد جربت على ... نسيران الشدة عزمتنا

طـوفـان الـبـاطـل لـم يـغـرق فـي الـخـوف سـفـيـنـة قـوتـنـا

***

يـا ظـل حـدائـق أنـدلـس أنـسـيـت مـغـانـي عـشـرتـنـا

وعـلـى أغـصـانـك أوكـار عـمـرت بـطـلائـع نـشـأتـنـا

يـا دجـلـة هـل سـجـلـت عـلـى شـطـيـك مـآثـر عـزتـنـا

أمـواجـك تـروي لـلـدنـيـا وتـعـيـد جـواهـر سـيـرتـنـا

يـا أرض الـنـور مـن الـحـرمـيـ ـن، ويـا مـيـلاد شـريـعـتـنـا

روض الإسـلام ودوحـتـه فـي ظـلـك رواهـا دمـنـا

ومـحـمـد كـان أمـيـر الـركـ ـب يـقـود الـفـوز لـنـصـرتـنـا

إن اسـم مـحـمـد الـهـادي روح الآمـال لـنـهـضـتـنـا

بقي المعهد على عطائه حتى أغلق عام ١٩٧٢م. ويبدو حين ذاك أن توجهات الشيخ المؤسس سارت في طريق آخر.

# ثانوية دار الحكمة[1]

أنشئت دار الحكمة بمنطقة القنوات خلف مبنى الإذاعة القديم، قرب جامع الشاذبكية[2]، في بناء عربي مستأجر. وهو بناء ضيق لا تتوافر فيه الشروط الصحية ولا يصلح للمدرسة التي اشتهرت، والتي افتتحت العام الدراسي ١٩٥٤/ ١٩٥٥م لتضم المرحلتين الإعدادية والثانوية، وللذكور دون الإناث.

ثم افتتح في العام الدراسي التالي ١٩٥٥/ ١٩٥٦م قسم مسائي للطلاب الأحرار غير النظاميين، لمن لا يتمكن من متابعة الدراسة النهارية، لانشغاله بالعمل، أو لكبار السن.

انتسب إلى الثانوية في العام الأول نحو ٢٥٠ طالباً، وصلوا في ذروتهم إلى ٢٥٠٠ طالب في الدراسة النهارية، وبمثلهم في القسم المسائي. فاكتظت بهم المدرسة، وضاقت عنهم الباحة الصغيرة في أوقات الفِسَح بين الدروس.

أسس الثانوية أربعة عشر شخصاً، كلهم من المدرسين إلا واحداً، تعاونوا على إحداثها بحصص متساوية، كان لكل واحد سهم واحد، وهم على حروف المعجم:

| | |
|---|---|
| أحمد البيطار (إجازة في التاريخ) | بشير عرجة (إجازة في اللغة العربية) |
| بهاء حبش (تخصص رياضة بدنية) | توفيق أبو شنب (إجازة في الرياضيات) |
| سعيد الحفار (إجازة في العلوم الطبيعية) | صلاح يحياوي (إجازة في العلوم) |
| عاصم البيطار (إجازة في اللغة العربية) | عبد الرؤوف نقشبندي(إجازة في الكيمياء) |

(١) اعتمدت في هذا البحث على مشافهة الأستاذ الدكتور مازن المبارك، وعلى ذكرياتي في دراستي بهذه الثانوية التي كانت من أجمل سنيّ حياتي، وتوسعت لذلك بالحديث عنها، ولكونها أخذت حظاً من الشهرة في الخمسينات والستينات من القرن العشرين.

(٢) بناها سنة ٨٥٧هـ على الطراز المملوكي الأمير شاذي بك دوادار (أمين السر بلغة اليوم) تقلب في المناصب بدمشق. والعامة تحرف اسمها فتقول الشابكلية، والحي منسوب إليها، وهي اليوم مسجد معروف (خطط دمشق ١٢٢).

عبد الصمد عويتي (إجازة في التاريخ) فاروق سلكا (إجازة في العلوم)

مازن المبارك (إجازة في اللغة العربية)

مطاع الجعفري (رئيس دائرة الامتحانات بوزارة التربية)

موفق نصري (إجازة في اللغة العربية) هاني المبارك (إجازة في التاريخ).

أسندت الإدارة اسمياً إلى ممدوح سليم، ثم كان مديرها من قبل الدولة شفيق المالح.. في حين تولى الإدارة الفعلية عبد الصمد عويتي، وكان ينوب عنه في غيابه أحمد البيطار مدير القسم المسائي، وإلى هذا الأخير آلت إدارة الثانوية كلها فيما بعد.

على أن المدرسين المؤسسين أصحاب الثانوية قاموا فيها كلهم بالتدريس، عدا مطاع الجعفري وعبد الصمد عويتي، وقد كانوا كلهم على كفاية، واشتهروا في سلك التدريس.. واستعانوا بآخرين من المدرسين الأكفياء. أذكر منهم:

أحمد السيد (تربية إسلامية) أنطون رحمة (فلسفة وعلم نفس)

أنطون مارين (كيمياء وفيزياء) أيوب حبش (لغة إنكليزية)

حسن عبيد (تاريخ) خالد دهمان (جغرافية)

سليم مارديني (لغة فرنسية) عبد الله حسون (لغة إنكليزية)

محمد خير عابدين (مدرب الفتوة) معروف زريق (فلسفة وعلم نفس)

وحيد عقاد (تربية إسلامية) يسار عسكري (لغة عربية).

كان المدرسون في دار الحكمة من ذوي الأسماء المشهورة بين مدرسي دمشق، قاماتهم مرفوعة، وأناقة لباسهم بادية، وأصواتهم مسموعة، ليس فيهم غير كفي، يضبطون صفوفهم كأحسن ما يكون الضبط، يهابهم طلابهم ويخشونهم.

وهذه النخبة من المدرسين رفعت شأن الثانوية، فاستقطبت الطلاب من الأسرات الدمشقية العريقة الغنية التي ترغب في تفوق أولادها، ولذا كان مستوى المدرسة بمثل مستوى المدارس الثانوية الرسمية الكبرى، وتُنافسها، وهي تدرّس منهاج الدولة تماماً لا

تحيد عنه. فتخرج فيها طلاب نزلوا في المجتمع منزلة عالية فيما بعد، كان منهم أطباء ومهندسون وصيادلة ومحامون وإداريون، ورجال أعمال كلهم يفتخر بالانتساب إلى هذه الثانوية .

كان لكل أستاذ نكهة خاصة وأسلوب فريد، وكان بعضهم على شدة وقسوة.. أو مهابة.. أو لطف ممزوج بوقار.

لا أنسى يوماً كنا فيه بدرس الإنكليزية للأستاذ أيوب حبش.. وكان مستغرقاً في درسه، حين أهوى بكف غليظة على وجه زميل لنا من أسرة مردم بك المعروفة، فأسال الدم من أنفه، ووبخه بكلام عنيف.. لم أدر حتى اليوم ماذا أحدث الطالب المتفوق في الإنكليزية من إثم حتى استحق من الأستاذ هذا التصرف؟ ولم يجرؤ أحد منا على السؤال، ومضت دروس هذا المدرس منضبطة حتى آخر العام.

وكان من أشد الأساتذة على الطلاب أستاذ التربية الإسلامية وحيد العقاد. كان الطلاب في درسه بخلاف ما يكونون عليه في دروس الديانة التي يغلب عليهم فيها فوضى وسوء انضباط، لما يجدونه من الرحمة في تعامل أساتذة هذه المادة.

كان أولَ دروسه درسُ تهديد وتحذير وإنذار، أفهم الطلاب فيه بصوتٍ واضحٍ عالٍ أنّ كل تصرّف سيء يورد صاحبه المهالك. كان أستاذاً قوي الجسم مهاباً، أدرك الطلاب منه بطريقة أو بأخرى أنه مستعد للضرب واللكم من غير تهاون، مع أنه لم يستعمل معهم عنفاً ولا شتائم.

حذرهم من طرح أسئلة لا طائل من ورائها غير تضييع الدرس؛ فممنوع أن يسأل أحدنا مثلاً: هل الإنسان مسير أم مخيّر؟ ما رأيك يا أستاذ بتطبيق الحكم الإسلامي في الدولة؟ هل انتشر الإسلام بالسيف؟ هل الحب حرام في الإسلام؟ وأمثال ذلك..

كان الأستاذ وحيد يهدر هدراً في درسه، يقر برنامجاً لا يحيد عنه البتة، ويوجه الطلاب التوجيه السليم.

ولما حان امتحان المادة وزع علينا الأوراق، حذّرنا بشدة من الغش أو الالتفاف في أثناء الكتابة، وأنّ من يفعل ذلك سيكون عقابه درجة الصفر. ولما بدأنا الإجابة، قام فصعد فوق

طاولته، وقف، ودعس عليها بأقدامه ليكون جميع الممتحنين تحت ناظريه، لا يتحرك أحد حركة إلا رآه من مرصده.

قرأ علينا خلال العام سورة الأنعام كاملة، فأتقناها وأحسنّا تلاوتها، وفهمناها على النحو المطلوب، كما فهمنا الأحاديث الشريفة المقررة والموضوعات الواردة في المنهاج، ووفّى المنهاج المقرر حقه.

أفدنا من الأستاذ معروف زريق معلم الفلسفة والمنطق وعلم النفس فوائد، عادت بالنفع على طريقة دراستنا، علّمنا كيف نحضّر للامتحانات، وكيف نقرأ، ونصح لنا نصائح صحية، تفيد في تركيز المعلومات، شكرناها له، ولمسنا نتائجها في حياتنا.

كان الأستاذ معروف هادئ الطبع، خفيض الصوت، لا ينفعل ولا يكاد، ما عنّف طالباً ولا زجر أحداً، وكان يقرر الدرس بوضوح، بعيداً عن التعقيد والغموض، يتناول موضوعه بتسلسل منطقي، لا ينتهي منه إلا والطلاب يفهمون عنه بوعي، لا يحتاج الطالب بعد الدرس إلى عناء في الحفظ.. فسهّل لنا مادته الصعبة. وغالباً ما كان موضوع الدرس ينتهي مع قرع الجرس أو قبله بقليل، وهذا دأب الأستاذ الناجح .

وكان إذا دخل غرفة الصف ووجد الطلاب في فوضى واختلاط أحاديث وانشغال عنه، وقف من دون أن يتكلم، ينظر في الطلاب ويصمت، فيعديهم صمته، فيسكتون رويداً رويداً، حتى ينتظموا في استعداد للتلقي عنه، وعندئذ يبدأ الدرس.

دخل مرة وعمد إلى أسلوبه هذا، فلم يسكتوا، فاستدار إلى السبورة، وبدأ يكتب بخطه الجميل عبارة ما ـ فهو خطاط بارع، وله في الخط كتاب تعليمي – فسكت الطلاب يتابعون ما يكتب، فأمسك المسّاحة، ومحا ما كتبه، ليشرع في موضوع درسه.

ومن غرائب هذا الأستاذ أنه كان مجازاً من مصر باللغة العربية وليس بالفلسفة ولا علم النفس، ولكنه اشتهر بتدريسهما.

وكان الأستاذ معروف مدرساً مطلوباً من المدارس الثانوية الخاصة كلها، ولذا أقبل عليها حين هبّت رياحه، فاغتنمها على أوسع ما يكون، تبدأ دروسه في الثامنة صباحاً،

وتنتهي عند الثامنة مساءً. لا يتوقف ولا يستريح إلا بالفسح التي تكون بين الحصص الدرسية. وغداؤه شطيرة في (بوفيه) الثانوية أو بقاعة استراحة الأساتذة. وله دروس خاصة يوم الجمعة.

ومن غرائبه أيضاً ما حدثني هو عن نفسه فيما بعد في حديث خاص أن دار الحكمة أرادت أن تحتكره لنفسها، فسأله المتنفذون فيها: كم يعطونك في ثانوية دمشق الوطنية؟ قال: مثلما تعطونني؛ ثلاثين ليرة على الساعة الأسبوعية. قالوا له: نعطيك خمساً وثلاثين وتتركهم. قال: لا، قالوا: نعطيك أربعين، قال: لا، قالوا: نعطيك أجر الحصص دفعة واحدة حتى آخر العام. قال: لا. قالوا: نعطيك أجر الحصص دون أن تدرّس، بل تجلس عندنا في وقتها.. تشرب الشاي والقهوة، فسال لعابه، وقبل العرض السخي.

ومن غرائبه كذلك أن مجلساً ضمه ذات يوم بالأستاذ خالد قوطرش التربوي المعروف[1] وهو أستاذ المعلمين، تخرج به مئات بل آلاف، فتحدّث الأستاذ الكبير عن مشروع له في تأليف كتاب عنوانه «كيف تلقي درساً؟» فسارع الأستاذ معروف وقد راق له الموضوع، فأصدر كتاباً بهذا العنوان خلال شهر أو نحوه.. وفوّت العمل على الأستاذ قوطرش.

ومن غرائبه فوق هذا ما حدثني به بعد سنوات حين كان يتردد علينا في مؤسسة دار الفكر للنشر، حيث كان يطبع كتبه، أنّ طالباً جاء يطلب درساً خاصاً، فواعده عند باب الثانوية ساعة الظهيرة، وصحبه الطالب في سيارته واتجه نحو الربوة فظن الأستاذ أن بيته في منطقة كيوان، فلما جاوزها ظن بيته في الربوة، وحين خرج منها سأله الأستاذ: إلى أين نحن ذاهبون؟ قال الطالب: يا أستاذ، اتفقنا على أن الساعة الزمنية بخمس ليرات، ولا عليك، فقد بدأ التوقيت حين انطلقنا من دمشق..

ومضت السيارة نحو الغرب حتى جاوزت الحدود السورية اللبنانية، وانعطفت بهما نحو بلدة زحلة، فدخل الطالب وأستاذه أحد المطاعم الفاخرة فيها، فأكلا فيه، حتى إذا فرغا من طعامهما شرح الأستاذ الدرس لطالبه، ثم انفتلا عائدين ليستغرق ذلك أكثر من

(١) مَرَّ الحديث عن الدكتور قوطرش في مقدمة الكتاب باستفاضة.

خمس ساعات.. نقد الطالب أجرها لأستاذه غير ثمن الغداء الذي كان ضيافة من الطالب.

وكانت حصة الأستاذ سليم مارديني في اللغة الفرنسية حصة عجيبة جداً، كان مدرساً قديراً، يحسن عرض مادة درسه على نحو مهني كلاسيكي، وهو يصرّف الأفعال، ويقوم مع الطلاب بترديدها كأنشودة، يرى ذلك ضرورياً في تعلم اللغة، لا يملُّ ولا يكاد من تقسيم الأزمنة الصرفية وتقليباتها، ويجدول منها ما يتصرف مع فعل المُلك (Avoir) أو مع فعل الكون (Être)، ويجيد قراءة النصوص وحل التمارين.. لا يهدأ في الدرس منذ يدخل حتى يخرج.

حتى هنا تظهر الصورة الإيجابية في الرجل، لكنه كان على جانب من السلبية عظيم؛ إذ إنه بُلي بطلاب لا يقدّرون اللغة حق قدرها، والسوريون عموماً على كره باللغات الأجنبية وخصوصاً جيلنا الذي درس في الستينات حتى نهاية القرن العشرين.. ختم الله على قلبه في غير العربية، فكان الطلاب في درسه شاردين عنه، لا يلقون إليه أذناً سامعة، ولا عيناً مبصرة، والطالب الشارد إذا لقي شخصية كالأستاذ سليم صدّر إليه المخازي التي يصنعها الشباب.. فكان يسوءه أن يجد منهم ذلك، ويأتي على قاعة الدرس زمانٌ كما يقول المثل المعروف «كالحمّام المقطوع المياه».

ويحاول الأستاذ لملمة الصف واستيعاب الطلاب، فلا يزدادون إلا غيّاً، وتخرج من فمه جمل يرى أنها تنفع فيهم، فيقول لهم: صلوا على النبي، وحّدوا الله.. صلوا على النبي، وحّدوا الله، فلا يصلون على النبي، ولا يتفوهون بكلمة التوحيد.. بمعنى أنهم لا يهدؤون ولا ينصاعون..

فإذا زاد شغبهم، وأمعنوا في المكروه ولم يعد يحتملهم ثار بهم وضجّ، فألقى الكتاب الذي بيده على الأرض، وألقى بنظارته على الطاولة بعنف، وراح يشتمهم، ويسمعهم قارص الكلام، حتى إذا استحكم به الغضب عاد فوحد الله هو.. لا هم.

وفي مرة من المرات أمسكه غضبه على نحو غير مألوف، فخرج عن طوره فسبّ دين الطلاب ـ وهو مسيحي ـ فقام إليه طالب طويل عريض من آخر القاعة فلبّبه، فاستخزى

وخاف.. وخرج مغضباً يحسم القضية. ولم يكن الطالب غيوراً على الدين[1]، وإنما وجدها فرصة ليعبث بأستاذه.

تطوّع الأستاذ سليم مرة في أواخر العام أن يعطي دروساً إضافية لصف الشهادة الثانوية، ولما كان يريد الطلاب الجادّين، جعل الحضورَ اختياراً، فحضر نصف الطلاب، ولم يمض زمن يسير حتى بدؤوا ينسحبون واحداً إثر واحد، حتى لم يبق غير آحاد، فغضب، وقال: قوموا، اخرجوا، لا ينفع فيكم درس. حرام أن أضيع وقتي معكم.

ولما خرجوا وهو معهم تبسط لهم في الحديث وكان رائق المزاج، فقال له أحدهم وهو يشعل سيكارة إذ كان يدمن التدخين بشراهة: يا أستاذ ما دمت توحد الله وتصلي على النبي ﷺ فلماذا لا تدخل الإسلام، فوقف الرجل مدهوشاً، أدركته المفاجأة، وقال له: ما هذا الهراء؟ هل تريد أن تخرب بيتي؟ أنا لا أستطيع أن أغير مذهبي من الكاثوليكية إلى الأرثوذكسية أو البروتستانتية، أفأخرج إلى غير دين.. لا حول ولا قوة إلا بالله. اذهبوا يا أولاد.. اذهبوا.

وللأستاذ موفق نصري قصة أطرف، كان فارع القامة جمع إليها أناقة هندام، يبدو على سيمائه اعتداد واضح، يمكن أن نسميه خيلاء الشباب.

تناقل الطلاب قصته؛ لا يدري أحد من أين جاؤوا بها، فالناس دفاتر الناس كما يقول المثل. قالوا: كان في صباه عاملاً يشتغل عند نجار، فتعرّض لحادثة مؤسفة، فَقَدَ فيها أصابع يده اليمنى، ولعل ذلك دفعه إلى بذل الجهد في الدراسة، حتى تخرج في قسم اللغة العربية، وبرع.

وبسبب هذه الآفة التي لحقت بالأستاذ نصري كان يخشى أن يُظهر يده للناس، يدسُّها في جيبه دوماً، فازداد مظهره بذلك اعتداداً في عيون الطلاب، كمن يحسُّ بالترفع، واضطر للكتابة باليد الأخرى، لا يعيقه ذلك.

---

(١) مما يسوء في طرقات دمشق وبيروت وجود سفلة من الناس يسبون الدين، وربما يسبون الله سبحانه وتعالى عدواً بغير علم. وهذا غير معروف في بلاد عربية أخرى.. عافانا الله وهدى الجميع.

أتقنتُ عليه مبادئ علم العَروض وأوليات البلاغة مما أفادني في الجامعة، لأرتقي فيهما على مرتكز حسن.. ولكنه كان ـ كشأن كثير من أساتذة تلك الأيام ـ كلاسيكي الإلقاء والتعليم، لا يراد من الطلاب غير حفظ المعلومات، ثم تأديتها على الورق في الامتحانات كما هي..

بدأت تظهر لدي عند هذا الأستاذ موهبة الكتابة، وكان يثني عليَّ في دروس التعبير، فاختارني أنا وطريف الشمعة للإشراف على مجلة الثانوية التي تصدر مطبوعةً كل عام، ويشركني معه في تلقِّي مساهمات الطلاب وفي اختيار المناسب منها، وفي تنسيقها وتصحيح التجارب الطباعية. فكنت أتردد إلى مطبعة المفيد في زقاق رامي قرب الثانوية حتى صدرت أعدادها.

وظهرت المجلة وعليها الآية الكريمة التي كنت اقترحتها على الأستاذ، فاستحسنها أن تكون في الصحيفة الأولى ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة ٢/ ٢٦٩]، كما حملت الصفحة اسمي واسم زميلي طريف، مما أشعرنا بين الطلاب بالاعتزاز، وتوجهت إلينا أنظارهم بالتقدير.

وحدثت لي مع الأستاذ نصري حادثة غريبة؛ أثارته، وخدشت شخصية الاعتزاز المتأصل فيه، وعلى نحو لم أكن أقصده، إذ كان من تركيبتي النفسية التي جعلني الله عليها أن تظهر على لساني فلتات لست أقصدها، فلتات قال بعضهم عنها: إنها كالدبابيس الناعمة التي تؤذي السامع على نحو لطيف غريب إن صح هذا التعبير؛ وذلك أنه كان يقدِّمني في حصة التعبير (الإنشاء) فأقرأ الموضوع الذي كتبته على زملائي، ويدرِّبهم بعد قراءته على النقد وبيان موضع الجودة من الخلل فيه. وفي ذات مرة طلب مني أن أخرج فألقي موضوعي. فقلت له: لم أكتبه. فسأل بلسان التوبيخ: ولم يا حضرة المحترم؟ فقلت له: لم يعجبني الموضوع. وكنت يجب أن أقول: لم يفتح الله عليّ بشيء، أو إنني لم أستطع الكتابة، أو أي شيء من مثل ذلك.. ولكن الجواب أصاب منه الصميم، فاربدّ وجهه، وبدا عليه انزعاج لم أعهد مثله، فوقف وكان قاعداً، فقال: من منكم لم يكتب الموضوع؟ ودار

على الطلاب يتفقد من كتب ممن تخلف.. ولم يكن دأبه ذلك من قبل، وإنما يكتفي بمن أحضر الواجب، ويتغافل عن الآخرين. فأخرج منا سبعة أو ثمانية من أمثالي، ثم قال: اتبعوني.. فتبعناه صاغرين، لا ندري ما سيفعل بنا؟

ثم دخل بنا غرفة الإدارة، وأوقفنا أمام المدير الأستاذ عبد الصمد عويتي وكان هذا مهاباً، لا يستريح الطالب لشكله، مربوع القامة، مملوءها، عبل الكفين، مفتول الساعدين، يمكن أن يعطب طالباً إن أهوى على صدغه بصفعة حرّى. وتذكرت ذلك الطالب ابن مردم بك الذي صفعه أيوب حبش صفعة أسالت الدم من أنفه.. فداخلتني هيبة وفزع، وما كنا نعرف أن المدير الأستاذ عبد الصمد طيب القلب، وكثيراً ما لا تدل قسمات المرء على طويته.

وسأل المدير أستاذنا عما اجترحناه من آثام، فردّ بانزعاج لم يبارحه، وإنما زاده سؤال المدير سخطاً، فقال: يا سيدي اسأل هذا ـ وأشار إلي ـ قال: إن موضوع الإنشاء الذي طلبت منهم الكتابة فيه لم يعجبه.. ما شاء الله! هذا قد أصابه الغرور صار له رأي يبديه فوق أساتذته.

أدرك المدير أن المسألة تافهة، ولكنه لم يشأ أن يسفّه رأي أستاذ بحضور طلابه، فتصنع الغضب، وقال له: اتركهم.. دعهم لي يا أستاذ، وأوهمه أنه سيعاقبنا العقوبة اللازمة، فلما غادرنا الأستاذ تحدث المدير معنا – وهو يوجه الكلام إليّ لأنه عرف أنني المقصود ـ تحدث بكلام ليّن، وبيّن لنا فضل المعلم، وأنه يجب أن نتحدث إليه باحترام.. ونصح لنا أن نتوجه إلى الأستاذ بالاعتذار، فكان كلامه لملمة مبطنة لما جرى.

وخرجت إذ ذاك وأنا شديد العَجَب.. وأدركت أن الأستاذ يعلي من شأني، ويعتقد أن تخلّفي عن الكتابة ليس عن إهمال أو تقصير، بقدر ما هو عن استعلاء أزعجه.

ولما عدنا إلى قاعة الدرس.. وكانت الحصة قد أشرفت على الانتهاء. قال الأستاذ الذي لم يزايله انزعاجه: اكتبوا واجب الدرس القادم؛ «إن الغرور مرض يهدم الإبداع، بخلاف الاعتزاز بالنفس الذي يرقّيها: عالج هذا الموضوع مؤيداً بالحجج، وبما تحفظ من شواهد».

ضحكت في سري يوم ذاك، ودفعتني الحادثة للكتابة، ووفقني الله تعالى إلى انتزاع إعجاب الأستاذ بعدئذ، فأثنى عليّ عندما قرأت الموضوع، وكان ذلك شبه اعتذار..

وأنا بعد على ما أعرف من نفسي امرؤ متواضع الإمكانات، ذو بضاعة يسيرة.. ولكنها كانت زوبعة في فنجان.

رحم الله الأستاذ موفق نصري، كنت أزور المقبرة مرة لقراءة الفاتحة على أمواتنا، فدهشت حين طالعتني شاهدة لقبرٍ، عليها اسمه، فلما سألت عنه من أعرف عنه قالوا: أصيب بمرض في قلبه، اقترحوا عليه صدمة كهربائية، فلما طبقت عليه لم يتحملها.. وكان فيها أجله. كتبه الله عنده من المقبولين وغفر له، كفاء ما قدّم. ورحم الله الشاعر إبراهيم طوقان[1] الذي قال:

يا من يريد الانتحار وجدته ... إنّ المعلم لا يعيش طويلا

وترك الأستاذ حسن عبيد مهابة واحتراماً في نفوس طلابه، كان على طول قامة مملوءة صحة وقوة، ووجه صارم القسمات، يوحي بالجدّ، أبيض أزهر.. ثم علمتُ فيما بعد أنّ جدته من بلاد روسيا.. فجاء بمثل هذه الطلعة.

كان الأستاذ حسن مخلصاً لاختصاصه في التاريخ، يقدمه لطلابه تقديماً حسناً شائقاً، ويوضح لهم الملابسات التاريخية في ماضينا المملوء بالمشكلات. وما أقل المنصفين فيه، خصوصاً وأن المقرر علينا نحن طلاب الشهادة الثانوية هو تاريخ الدولة العثمانية وما فيه من أكاذيب وافتراءات.. ومن أمور عويصة.

تعلمت من الأستاذ عبيد أشياء كثيرة، وكان تربوياً، لا يوبخ طالباً، وما احتاج أن يزجر أحداً؛ لأنّ صفه كان على انضباط تام، قال لي يوماً في أثناء الدرس؛ ما لك يا بُنيّ لا تنتبه

---

(١) إبراهيم طوقان (١٩٠٥-١٩٤١م) شاعر غزل من أهل نابلس بفلسطين، تعلم في الجامعة الأمريكية ببيروت وبرع بالأدبين العربي والإنكليزي. وتولى التدريس فيها عامين توفي بالقدس مريضاً شاباً (الأعلام ١/ ٧٤ ذكر ذلك عمر فروخ في كتابه «شاعران معاصران الشابي وطوقان». وقال: إنه لم يكن يحب التدريس) شعره رقيق عذب، وهذا البيت الفكه من قصيدة له يعارض فيها قصيدة شوقي في المعلم التي مطلعها:

قم للمعلم وفّه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا

للكلام كما ينبغي؟ قلت له: يا أستاذ، أنا أكتب عنك ما تقول، ولا أنشغل. قال: يا بني ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤] انتبه وكن معي، ثم بعد ذلك تكتب ما بدا لك، فكان ذلك توجيهاً سديداً أفادني في حياتي.

وكان الأستاذ الذي ترك فينا حباً وانطباعاً هو الأستاذ عاصم البيطار، دخل علينا في الصف العاشر، وكان صفنا أرحب صف في الثانوية، صف كبير ذو سقف من نوع خاص كنا نسميه مغارة قاديشا، فبدأ دروسه الأولى في مراجعة للمهم من مشكلات النحو، ليستدرك بها ما عندنا من خلل أو ضعف أو نسيان.. فأفادنا كثيراً، حين ذلّل لنا ما أُبهم علينا من قبل، وأقبلنا بشغف على مسائل كنا نعدها معضلات استغلقت علينا.

كان يتناول تلك المسائل ببساطة ويسر، ويشرحها بأسلوب قليل النظير حتى إذا سار بنا أسبوعين أو ثلاثة فيما استحسناه وأحببناه، دخل علينا الأستاذ موفق نصري ليحل محلّه، وأنبأنا أنّ مدينة الرياض تخطفته منّا.

كان الأستاذ عاصم صاحب نكتة، خفيف الروح في تعليقاته على الطلاب وحديثه معهم، في درسه درس متع وفوائد لا تنقضي.

حدثنا الأستاذ عاصم فيما بعد حين كانت تجمعنا به مجالس، أنه لما حصل على الشهادة الثانوية، سأله أبوه الشيخ بهجة[1]- أحد شيوخ دمشق الأجلاء المتنورين في الفكر والعلم -: ما الفرع الجامعي الذي تريد أن تسلك فيه، قال من غير تردد إنه يريد التسجيل في قسم اللغة العربية. قال له: ولماذا؟ قال: أود أن أكون مدرّساً. قال له الشيخ: أتدري أنّ هذه المهنة هي مهنة الأنبياء؟ فماذا أعددت لها؟ كان ذلك توجيهاً عظيماً من الشيخ لابنه.. فأعطى الابن عطاء، حمده عليه طلابه أينما حلّ في الثانويات، ثم في الجامعات، وانتفع به خلق كثير.

هؤلاء هم أساتذتنا الذين نهلنا من علمهم في ثانوية دار الحكمة، وتخرجنا بهم، وعرفنا من هم فيما بعد، حين دخلنا الجامعة.

---

(١) محمد بهجة البيطار (١٨٩٤-١٩٧٦م) بحاثة علامة، عضو المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية اليوم) تلقى العلم عن مشاهير شيوخ عصره وتأثر بأفكار الشيخ جمال الدين القاسمي التنويرية، وسار على منهاجه، كانت له جهود علمية في السعودية أيام الملك عبد العزيز آل سعود. له مؤلفات. (إتمام الأعلام ط٢، ٣٤٤).

لم يستطع طالب أن يتحدث مع واحد منهم حديثاً غير لبق، أو يتبسط في الحديث مع أحدهم، لأنهم كانوا غرّة في جبين التعليم.. والحادثة الآتية تدل على هذا:

حدث مرة في درس الأستاذ فاروق سلكا مدرس الفيزياء وما أدراك ما الفيزياء! أن علّق طالبٌ من طلاب الشهادة الثانوية يقلّده في عبارة اعتاد أن يختم بها البرهان على المسألة التي يعالجها.. «وهكذا نرى» فوضع الطبشورة من يده، وقال لطلابه: محرومون من الدرس أسبوعاً كاملاً.

ثم خرج ليدخل أبو سعيد الموجه التربوي للثانوية كلها، وأخذ يلقي على الطلاب درساً في الأدب والاحترام واللباقة في قاموس طويل عريض.

ولم يعد الأستاذ لدرسه إلا بعد اعتذار شديد ورجاء حار، فالطلاب يحضّرون لنيل الدرجات العليا في الشهادة لدخول الجامعة.. وربما يؤثر في الواحد منهم نقص درجة واحدة في معدله، فأفزعهم الأستاذ.

وكان لكل أستاذ شأنه المشابه لهذا في التعامل مع الطلاب.

كان ضبط الطلاب في الثانوية شديداً، لا يتهاون القائمون عليها في متابعتهم وإخضاعهم للنظام، حرصاً منهم على سمعة المدرسة، وتحقيقاً لأهداف مؤسسيها الذين حملوا رسالة تربوية عالية.

وكان الموجّه الوحيد الذي يحمل همّ الثانوية أبو سعيد، أشهر شخصية فيها، مهاب الجانب، عصاه على كتفه، طويل القامة، أسمر اللون إلى السواد، عالي الصوت، مقطب الجبين، مفتوح العينين، لا يعرف الضحك إلا للسخرية من طالب مذنب، يقرعه إذا أذنب بلسان حاد، ويهزأ به أمام رفاقه.

وكان أبو سعيد يأمر بإقفال باب الثانوية الحديدي عند بدء الدوام في الصباح، فلا يفتح إلا مع جرس الانصراف.. وعيّن عليه أبا صياح الكردي، أحد الأذنة القوي الشكيمة، الطويل القامة، العابس الوجه، الصامت أبداً كخزنة جهنم، الرجل الذي لم يمنعه من القيام على مهمته حَوَلٌ في إحدى عينيه. وبه كان يتنادر الطلاب.

لم يكن أبو صياح يسمح بالدخول أو الخروج بعد إقفال الباب إلا لمدرس أو مراجع.

ومن المضحكات أن طالباً تسلل من الباب حين كان أبو صياح يفتحه لأحد المدرسين، فخرج يجري وراءه حتى لحق به عند باب الإذاعة على شارع النصر فقبض عليه قبض الشرطي المتمرس على المجرم الآثم، وما استطاع هذا أن يتفلت منه حتى أدخله الثانوية، ليسلمه إلى أبي سعيد، الذي عاقبه بما يلزم.

وكان أبو سعيد ينزل عقوباته المناسبة بالمتأخرين، ويكشف حيل المحتالين، ولا يسمح لطالب بالخروج في أثناء الدوام إلا لأمر ضروري مقبول، ويلاحظ تصرف الطلاب مع المدرسين.. وكثيراً ما يستدعي أولياء الطلاب عند المخالفات التي يرتكبونها، ويتهددهم بالفصل عند اللزوم.. ولذا كان الطلاب يحسبون له حساباً.. مما جعل الثانوية في وضع الانضباط التام.. أو شبه التام.

ضبط أبو سعيد ذات يوم أخي متلبساً بجرم التدخين في الحمامات، فلم يفعل شيئاً سوى أن أشار إليه نحو باب الخروج، وقال له: لن تدخل المدرسة إلا مصحوباً بولي أمرك. وحار أخي ما يفعل؟ إذ لا يمكن أن يفاتح أباه بمثل هذا الموضوع وإلا نزلت به الطامة، وكان والدي رجلاً ذا شكيمة ومهابة، يهون الأمر مع أبي سعيد إذا ما قورن به. فهداه اضطراره إلى أن يرجو نجاراً بجوارنا ليرافقه إلى المدرسة، ليمثّل أمام أبي سعيد دور الأخ الكبير.. ومرّت الحادثة على خير، وأخي قد تملكه الفزع أن يكشف أبو سعيد كذبه، فتكبر القضية، وتنتهي إلى ما لا يحمد عقباه.

كان بناء الثانوية كما ذكرنا من الأبنية الشعبية، وكان فوق ذلك يضيق عن أعداد الطلاب الذين تكتظ بهم الباحة، لا يجدون فيها فسحة للحركة، وهو فوق ذلك غير صحي لا ترمقه عين الشمس ولا تتسلل إليه، ولذلك لم يكن يساعد على إحداث أي نشاط فيه، ولا يسمح بممارسة الرياضة، ومن هنا كان مدرس الفتوة الملازم الأول محمد خير عابدين يستعير لتدريبنا ثانوية الثقفي في حي المالكي، أو ثانوية الكواكبي في حي الميدان، فنوافيه في هذه أو تلك على بعدهما كلتيهما عن ثانويتنا.

تدربنا على النظام المنضم وأتقناه بعد طول معاناة، وعلى استعمال البندقية وفك أجزائها وتركيبها، وحفظنا المقرر المطلوب منا.. صَحِبنا ذات يوم إلى حقل الرمي خارج بلدة حرستا، فرمى كل فتى منا طلقات عشراً أو نحوها، فأخطأ كثير منا، وأصاب بعضنا.

وكان لخروجنا إلى معسكر الزبداني قصة أخرى، نزلنا هناك خياماً، لم يعتد النزول بها كثير منا، فكان المعسكر نزهة جميلة على بعضنا، كريهة على آخرين، مارس فيه الفتيان الرمي والرياضة والمسير الليلي وأشياء أخرى تطلب من الجنود عادة.

وبعد..

فقد تغيّر الزمان وأهله، ولم تعد المدارس اليوم كتلك المدارس فيما نسمع ونرى.

ولئن استمرت الثانوية قائمة حتى اليوم إن الذي ظل يشْخَصُ منها رسمُها دون أهلها الذين مضوا، والذين أفنوا حياتهم بها. وكلما مررت بها حننت إلى تلك الأيام.. دخلتها يوماً فأنكرتني العيون التي رأتني، وما عرفتني إلا الجدران والشبابيك، ترحّب بي على طريقتها، تكاد تنطق لتقول كل شيء .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس، ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

## ب- ثانويات أخرى

وعلى نمط الثانويات المذكورة آنفاً قامت مثيلاتها منذ سبعينات القرن الرابع عشر الهجري، خمسينات القرن العشرين الميلادي، منها:

- ثانوية دمشق العربية: في شارع أبي رمانة.
- ثانوية دمشق الوطنية: في شارع خالد بن الوليد.
- ثانوية اليرموك: شمال الجامع الأموي، قرب جامع المدرسة الباذرائية.
- ثانوية دار الثقافة: قرب حمام القرماني بسوق العتيق، من مؤسسيها الدكتور إحسان النصّ.
- الثانوية الأهليّة: في سوق الهال القديم، إدارتها مسيحية فيها أساتذة أكفياء، منهم شاكر مصطفى الباحث المؤرخ المعروف[1].وإحسان النصّ، ونعيم الحمصي والدكتور وحيد الصواف، وعبد الحميد دركل
- ثانوية دار الفكر: أنشئت أولاً في حي القنوات الشاذبكية (الشابلكية) ثم انتقلت إلى منطقة سويقة ساروجة. مؤسسوها الأساتذة محمد عدنان سالم، محمد الزعبي، أحمد الزعبي.. لم تستمر طويلاً؛ إذ انصرف أصحابها إلى افتتاح شركة دار الفكر للنشر بداية عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
- ثانوية الأندلس: في منطقة الحلبوني تأسست عام ١٩٥٤م.

(١) أفاد بذلك القاضي الأستاذ سعدي أبو جيب. وكان أحد طلابها في الشهادة الثانوية.

## ج - مدارس العمّال الليلية[1]

ظهرت في سبعينات القرن الرابع عشر الهجري/ أوائل خمسينات القرن العشرين الميلادي. وصاحب فكرتها الدكتور مصطفى السباعي[2].

كانت هذه المدارس ليلية، مجانية تطوع فيها معلمون شباب يقومون عليها، وانتشرت في كل حي من أحياء دمشق على مقاعد المدارس النهارية الحكومية.. وكانت مكتظة ممتلئة، أقبل عليها العمال الذين تشغلهم أعمالهم وكسب عيشهم في النهار من الدراسة النهارية، وتعلم فيها هؤلاء التعليم الجيد.. وأفلح كثير منهم.

أشرف على هذه المدارس ومتابعة أعمالها الدكتور يحيى الهندي، حتى أغلقت في نهاية الثمانينات من القرن الهجري المذكور/ **ستينات القرن العشرين**.

أهّلت مدارس العمال الليلة كثيراً من طلابها لتقديم امتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية (فرع الأحرار)، ودخلوا الجامعة.

ثم نافست الثانويات الخاصة هذه المدارس التي أخذت بالتراجع شيئاً فشيئاً حتى انتهى أمرها.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على معلومات من الأستاذ الدكتور مازن المبارك.

(٢) الدكتور مصطفى السباعي (١٩١٥-١٩٦٧م): داعية، خطيب، مفوه، مجاهد، مؤسس كلية الشريعة بجامعة دمشق، وأول عمدائها، دكتوراه في التشريع الإسلامي وتاريخه من الأزهر. جاهد ضد الاستعمار في مصر والشام واعتقل. ثم كان على رأس كتيبة ذهبت للدفاع عن القدس قبيل نكبة ١٩٤٨م. له مؤلفات مهمة وأصدر مجلة حضارة الإسلام عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م (الأعلام ٧/ ٢٣١، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ط٢، ٢/ ١٠٣٥).

# ثانياً ـ مدارس الإناث

وهي على شاكلة ثانويات الذكور، التزمت بمنهاج الدولة تماماً، وجرى عليها ما جرى على تلك.

فيما يأتي الحديث عن إحداها، ومسرد بالمدارس الأخرى.

**معهد بدر**[1]

أسسه عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م الشيخ أحمد كفتارو[2] مدرسة إعدادية وثانوية للبنات، واستأجر له بناء في منطقة البحصة، بين مبنى المحافظة ومسجد الشامية[3].

افتتح المعهد ابتداءً في العام الدراسي ١٩٦٥/ ١٩٦٦م الصف الأول الإعدادي بثلاثين طالبة، والثاني الإعدادي بعشرين، ليستكمل ضمن الشهادة الإعدادية في السنة التالية. وهكذا حتى اطردت الدراسة.

حرص المؤسس على أن يكون المعهد نسائياً خالصاً، فلم يكن فيه رجال غير البواب، وكانت المديرة، والمدرسات يقمن بجميع الأعمال العلمية والخدمات.

تولت إدارة المعهد إنصاف رمضان[4] الجامعية الوحيدة آنذاك من بين مريدات الشيخ المؤسس، وعينت موجهة يسرى القضماني.

وكانت الإدارة والتوجيه على ارتباط بإدارة معهد الأنصار للذكور للاستفادة من خبرات مديره عدنان علوش وموجهه الشيخ أسامة الخاني.

**ومن المدرسات:**

إنصاف رمضان (المديرة): للتربية الإسلامية والاجتماعيات

---

(١) اعتمدت في هذا البحث مقالة خاصة من الدكتور محمد شريف الصواف.

(٢) انظر للتعريف بالشيخ أحمد كفتارو بحث معهد الأنصار.

(٣) مرّ تعريفه في بحث معهد الأنصار.

(٤) إجازة في الفلسفة من جامعة دمشق عام ١٩٦٣م، ودبلوم التأهيل التربوي.

هند كفتارو: للتربية الإسلامية مريم خشة (منتدبة): للغة العربية

كوكب رمضان: للغة العربية خديجة بغدادي: للتدبير المنزلي

رجاء تسابحجي: للفيزياء والكيمياء سميحة ناجي: للعلوم الطبيعية

فريال زند الحديد: للتربية العسكرية (فتوّة) والتدبير المنزلي

آسية عربي كاتبي: للغة الإنكليزية

وتولى أنشطة الذكر والدعوة بنات قويدر منى وفاطمة وهيفاء.

هذا وكان للشيخ المؤسس مجالس خاصة شهرية مع المدرسات.

ومن خريجات المعهد اللواتي قمن بواجب الدعوة وصار لهن شأن في المجتمع: إحسان ووفاء وصفاء المبيض، وابتسام منصور، وخيرية الملا، وبراءة الأيوبي، ونعمت الزين، وهدى شيخاني، ونجوى مطر، وصباح سفر، ومها محيي الدين الصواف.

وبقي المعهد على نشاطه حتى أغلق عام ١٩٧٢م.

**ب ـ ثانويات أخرى**

**معهد النجاح (معهد الإيمان):** في منطقة المسشتفى الإيطالي أسسه في ستينات القرن الرابع عشر الهجري / أربعينيات القرن العشرين د. صبيح الجزار وأداره ثم تسلم الإدارة أشرف رمو حتى وفاته.

من مدرسيه مازن المبارك، فاروق سلكا، محمد أبو حرب، مطيع كيلاني (موسيقا) مطيعة شورى (مراقبة).

**ثانوية الجمهور:** في جادة الرئيس بمنطقة الجسر الأبيض

**ثانوية تحرير الفتاة:** في منطقة عين الكرش، مؤسسها عبد المجيد مشوّح، وكان من مدرسيها مازن المبارك وعلاء الدين الخاني.

**ثانوية المعري.**

**ثانوية في حارة بندق:** أسسها سميح السكري وفائقة الرباط. من مدرسيها عبد الكريم الأشتر ومازن المبارك.

# خلاصة ونتائج

وبعد..

فيمكن - بعد الاطلاع على أحوال المدارس الثانوية التالية لنظائرها القديمة - استخلاص النتائج والملاحظات الآتية:

- تعبر المدارس التالية عن غيرة وطنية لدى الشخصيات الفاعلة في دمشق..
- سدّت هذه المدارس ثغرة هامة في حاجة البلد لتستوعب ما يفيض عن استيعاب المدارس الرسمية.
- لم يكن مستوى هذه المدارس ليقل عن مستويات نظيراتها الرسمية.
- كانت هذه المدارس التالية في أبنية لا تناسب العملية التعليمية، وإنما هي بيوت سكنية على الطريقة الشعبية أو الحديثة.
- كان مستوى الطلاب فيها متفاوتاً، فالذين دخلوها عن رغبة فيها كانوا في المستوى الأول، بخلاف الطلاب الذين انتسبوا إليها بسبب ضعف في معدلات نجاحهم.
- لم يكن لهذه الثانويات سمة دينية بارزة إلا ما كان في معهد الأنصار الذي لم يستمر حتى اليوم، وإلا ما كانت بداية المعهد العربي الإسلامي، ثم حذفت منه كلمة الإسلامي، ليلحق في توجهاته باقي الثانويات الخاصة الأخرى.
- لم تقم على إنشاء الثانويات الخاصة شركات تجارية، أو بجهود رجال أعمال يوظفون أموالهم، وإنما قامت عموماً بجهود مدرسين أو شخصيات وطنية، بهدف سدّ ثغرة الحاجة التعليمية، ولذا كانت أرباحها متواضعة في تلك الحقبة.

# الباب الرابع
# معاهد التعليم الشرعي
# للجمعيات الخيرية

تمهيد

- معهد جمعية التهذيب والتعليم
- معهد العلوم الشرعية للجمعية الغراء
- المعهد العلمي الديني
- معهد التوجيه الإسلامي
- معهد جمعية دار الحديث
- معهد جمعية الفتح الإسلامي
- معهد جمعية إسعاف طلاب العلوم الشرعية الإسلامية
- معهد جمعية الفرقان
- معهد أبي النور

خلاصة ونتائج

# تمهيد

تعدّ المعاهد الشرعيّة الخيرية بدمشق ظاهرة تستحق الدراسة؛ قامت بدعم المحسنين من الأهالي بأموالهم وجهدهم ثقة منهم بالقائمين عليها، فانتشرت على نحو معجب لتؤوي طلاباً مواطنين وأغراباً، وعلى امتداد العالمين العربي والإسلامي.

ودمشق منذ الأزمان القديمة كانت تستقطب الناس، ويأوي إليها الغرباء يرتاحون فيها، ويستبدلونها ببلادهم، ويقصدها اللاجئون من الشرق والغرب.

وإنك لتدهش منذ الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، بل قبل ذلك، حين تدخل صفوف هذه المدارس الخيرية فتجد الأسود الإفريقي يجلس بجانب الأصفر الصيني والياباني، وأمامهما المغربي الجزائري أو المراكشي، ووراءهم البوسنوي والروسي وعن أيمانهم وشمائلهم طلاب من طاجيكستان والشيشان، وفرنسا وإنكلترا وتركيا وأندونيسيا وماليزيا وباكستان والهند.. أمم الدنيا قد أرسلت إلى هذه المعاهد أبناءها ليدرسوا العلم الشرعي، ثم ليأخذوا في دعوة إخوانهم إذا رجعوا إليهم.

وهذه المعاهد الشرعية منذ أن قامت وهي تعنى بالطلاب لا بتدريسهم وتوجيههم فحسب، بل بتقديم ما يحتاجون إليه كذلك من ملبس ومطعم ومأوى ومصروف شخصي.

وبتلك العناية تخرّج منهم حفظة وقراء وفقهاء؛ جرى ثواب ما يحصّلونه في صحفهم وصحف أهل الفضل الذين تكلفوهم بأموالهم وإحسانهم ورعاية تلك المدارس والمعاهد.

ويعدّ شهر رمضان بدمشق شهر إحسان، يُقدّم فيه من الصدقات إلى تلك المعاهد الشيء الوافي بحاجة الطلاب حولاً كاملاً وزيادة، غير ما يتبرع به خلال السنة.

فماذا عن هذه المعاهد؟

# معهد التهذيب والتعليم
# (القلبقجية)[1]

كان الشيخ أبو الخير الخطيب[2] أوقف داراً من ثلاثة طوابق، افتتح فيها مدرسته، وضعها بملك وتصرف المدرسة المجاهدية[3] ووضع عليها ناظراً ابنه الشيخ كمال[4] الذي بنى بيته إلى جوار المدرسة وأشرف على حلقات التعليم.

ثم آلت المدرسة إلى الشيخ عبد الرحيم الخطيب، فأسس لها جمعية التهذيب والتعليم الخيرية التي صار إليها الإشراف على الطلاب، وحصل على رخصتها في ١٠ ذي الحجة ١٣٤٩هـ/ ٨ آذار ١٩٣١م.. ثم أُشهرت عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

وجاء في نظامها الداخلي أنّ الجمعية تستهدف خدمة الاتجاهات الروحية والإسلامية والقومية العربية والذود عنها، والعمل على بثها وذيوعها.

وذُكر في نظامها أيضاً أن الجمعية تعمل على تحقيق أهدافها بالطرق المشروعة، بنشر العلم من خلال فتح المدارس المختلفة الدرجات والفروع، وتشجيع طلاب العلوم الشرعية والعربية بمساعدتهم مادياً ومعنوياً، والمساهمة بنشر الثقافة العامة بإصدار نشرات، وإلقاء

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على ما قدمه الدكتور محمد صالح بن نوري الخطيب مدير المعهد، وبمشاركة أمين سر الجمعية والمعهد الشيخ أحمد اللوجي.

(٢) أبو الخير الخطيب (-١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م) خطيب الجامع الأموي، وهو شيخ محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني، وبه تخرج (انظر تاريخ علماء دمشق في وفيات سنة ١٣٠٨هـ).

(٣) وهي المدرسة المجاهدية الجوانية، بناها مجاهد الدين بزّان بن ياسين الكردي، وأوقفها سنة ٥٢٩هـ على فقهاء الشافعية، وهي اليوم مسجد جامع، قبلي سوق الحرير، عرفت في العصر العثماني بالحجازية لنزول أهل الحجاز بها. ثم اشتهرت بالقلبقجية (المفرد قلبقجي، صانع القلابق)، لأنهم كانوا يصنعونها، ويبيعونها هناك (خطط دمشق ١٦١)، والمدرسة اليوم جوار هذا المسجد. (قال محمد دهمان: والقلبق نوع من لباس الرأس من الوبر، مدبب وأسطواني، قد يصنع من جلد الخروف أو ما يشبهه، يسمى قماشه استرغان، والجمع قلابق، (معجم الألفاظ التاريخية).

(٤) كمال الدين الخطيب (-١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في وفيات السنة المذكورة.

دروس ومحاضرات خاصة وعامة، والقيام بالدراسات العلمية والرحلات الثقافية والرياضية.

وبالاستناد إلى رخصة الجمعية افتتح مؤسسها الشيخ عبد الرحيم الخطيب[1] مدرسة تحملُ اسمها، (بدل المدرسة المجاهدية)، وجعل التدريس فيها مجانياً، وتولى إدارتها حتى وفاته عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.. فآلت إدارتها عندئذ إلى الشيخ محمد هاشم الخطيب[2] الذي استصدر عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م مرسوماً لرفد المدرسة بقسم للدراسة الإعدادية والثانوية الشرعيين. كانت المرحلة الابتدائية بالمدرسة تضم خمسة صفوف بالتتالي، تعلّم العلوم الشرعية والعربية، وتمنح خريجها شهادة فيها. وكانت على قسمين ليلي ونهاري.. هذا إلى جانب التدريس بالحلقات المعروفة في المسجد.

ثم اقتصرت المدرسة على ستة صفوف، يبدأ الأول فيها بعد المرحلة الابتدائية؛ وتنتهي بالحصول على شهادة التعليم الشرعي الموازي للشهادة الثانوية الشرعية في المدارس الرسمية.. وإن كان مستواها كبقية مدارس المعاهد الخيرية أعلى علماً.

أدار المدرسة بعد الشيخ محمد هاشم الخطيب الشيخ محمد رشيد ابنه، فالشيخ أبو الفرج الخطيب، فالأستاذ ثروة الخطيب، فالحاج إبراهيم شقير، فالشيخ عبد الرحمن الشاغوري، فالحاج برهان الدين الأشقر، فالأستاذ عبد الرحمن بن ياسين الخطيب[3].

وكان من أشهر أساتذتها الشيخ محمد أبو الفرج الخطيب، الشيخ محمد سهيل الخطيب (الفرائض)، الشيخ محمد صالح الفرفور، الشيخ بهجة طالب (القواعد)، الشيخ أحمد السماق (القرآن الكريم والتجويد والإعراب)، الشيخ محمد خليفة الندة (الفقه الشافعي)، الشيخ محمد جنودي (الإملاء)، الشيخ واصف الخطيب (التجويد)، الشيخ عبد المتعال (كتاب الترغيب والترهيب)، الشيخ محمد سليم الرفاعي، الشيخ بشير الخجا، الشيخ

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. وفيات سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

(٣) بعض هؤلاء الأعلام مترجمون في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. وكتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

محمود الحبال (الفقه الشافعي واللغة العربية والحديث الشريف والتوحيد)، الشيخ بشير بن هاشم الخطيب (القواعد)، الشيخ عبد الله مريمة (التجويد)، الشيخ عبد الله بن هاشم الخطيب (الرياضيات) الشيخ حسين بدران (القواعد)، الشيخ محمد رشيد بن هاشم الخطيب (الخطابة)[1].

**ترخيص وزارة الداخلية للجمعية**

**دولة سورية**

**وزارة الداخلية**

**رقم ١٣٢٤**

حضرة الفاضل السيد عبد الرحيم الخطيب المحترم استلمت الطلب الذي قدمتموه بشأن تأسيس جمعية خيرية في دمشق باسم جمعية التهذيب والتعليم تعنى بنشر العلم ومكارم الأخلاق دون أن تتدخل في الشؤون السياسية بتاتاً، وإيذاناً بذلك أعطي لحضرتكم هذا الوصل.

في ٨ مارس سنة ١٩٣١.

وزير الداخلية، محمد جميل الإلشي

ثم اشتهرت الجمعية من جديد في ١٧ شباط ١٩٦٠م تحت رقم (٢٩٨)، ونشر انتشارها في العدد ٩ من الجريدة الرسمية ٢٥/ ٢/ ١٩٦٠م.

(١) بعض هؤلاء مترجمون في كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. وكتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

**المرسوم رقم (٩١٦) بترخيص المدرسة**

إن رئيس الجمهورية

بناء على أحكام المرسوم التشريعي رقم (١٧١) المؤرخ بـ ١٧/ ٣/ ١٩٥٢م وبناء على اقتراح وزير المعارف يرسم ما يلي:

المادة الأولى: تعتبر مدرسة التهذيب والتعليم المجدد ترخيصها بقرار وزارة المعارف رقم (١٣٧٩) المؤرخ في ١٩/ ٨/ ١٩٥٣ بصفة ابتدائية ليلية للبنين ذات قسم متوسط شرعي داخلي بالإضافة إلى الترخيص المذكور.

المادة الثانية: يتوجب على هذه المدرسة التقيد بحدود ترخيصها المذكور في المادة الأولى.

المادة الثالثة: ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم تنفيذه.

دمشق في ٩/ ١٠/ ١٣٧٣هـ. ١٠/ ٦/ ١٩٥٤م

وزير المعارف: منير العجلاني

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء: صبري العسلي

وبعد وفاة الشيخ محمد هاشم الخطيب عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م شكلت إدارة جديدة للمدرسة من آل الخطيب كان على رأسها الشيخ محمد رشيد محمد هاشم الخطيب[1]، ومحمد ياسين الخطيب، ومحمد هشام الخطيب، وبقي من المدرسين في المدرسة ولغاية ١٩٨٠م كل من الشيخ حسين بدران والشيخ محمد خليفة والشيخ جودت العسلي وأخيه

(١) الشيخ محمد رشيد بن محمد هاشم الخطيب (١٣٣١-١٤٠١هـ) قرأ على أبيه العلوم الشرعية وكان أستاذاً في الكلية الشرعية وخطيب جامع السنجقدار، ثم تولى خطابة جامع بني أمية الكبير، اشتهر بالصلاح والتقوى والجرأة الأدبية. غرر الشام ١/ ٢٥٦.

الشيخ عبد الرؤوف العسلي والشيخ عمر حسابا والشيخ أديب جاموس والشيخ بشير الخجا والأستاذ صلاح بن كامل الحموي والأستاذ لطفي ماضي والأستاذ مروان بن رشيد العقاد والشيخ بهجة طالب والأستاذ أديب طالب والأستاذ عمر بن حسن الهبل والشيخ محمود الحبال والشيخ بشير الخطيب.

ومن المدرسين في القسم الابتدائي الشيخ محمود الجنودي والأستاذ سليم العطار والأستاذ رشدي عرفة.

ومن المدرسين في المرحلة الثانوية الدكتور محمد علي بن محمد هاشم الخطيب الحسني رحمه الله تعالى، والشيخ أبو الفرج الخطيب، والشيخ بهجة طالب، والأستاذ محمد شروف، وبقيت هذه الثانوية ست سنوات أو ثمان.

ومن العلماء المدرسين في الصف الخاص العالي الشرعي سنة ١٩٦٠م كل من محمد رشيد الخطيب وأخيه الشيخ بشير الخطيب، والشيخ محمود الحبال، والشيخ محمد خليفة، والشيخ عبد الله مريمة، والشيخ بهجة طالب، والأستاذ محمد جميل الديك.

وممّن تخرج في هذا الصف: الشيخ حسين بدران، الشيخ أحمد حمامة، الشيخ محيي الدين الكردي، الشيخ بشير النده، الشيخ يوسف فريح، الشيخ عفيف السبع.

ثم بعد تصدع غرف المدرسة تحولت الدراسة فيها إلى حلقات علوم شرعية على أرض المسجد، وأرض غرف المعهد، ومن أهم الدروس التي كانت تقام درس الشيخ محمد سهيل الخطيب، فكان يُقرئ كتب الحديث النبوي والسيرة النبوية مساء كل خميس، ودرس الثلاثاء للشيخ عبد الرحمن الشاغوري، وكان الشيخ نوري الخطيب يقيم مجلساً مساء كل أربعاء يتناوب على إلقاء الدروس فيه الشيخ بشير الخجا والشيخ حسين بدران والشيخ أديب الجاموس ولا يزال مستمراً إلى اليوم (٢٠١٦م) يقرأ فيه الشيخ محمد صالح الخطيب كتب الحديث.

وافتتحت المدرسة أبوابها بعد أن رممها الشيخ نوري الخطيب عام ١٩٥٥م واستلم إدارتها الشيخ عبد العزيز بن محمد سهيل الخطيب بمساعدة ابن عمه الشيخ محمد صالح

ابن نوري الخطيب، وانضم إلى الإشراف على المعهد الشيخ عبد القادر بن أبي الفرج الخطيب مع ثلة من أهل العلم والفضل.

وترأس الجمعية التي تشرف على المعهد في أثناء افتتاحها بعد الترميم الشيخ عبد الرحمن الشاغوري بعد أن كان يرأسها القارئ الحاج إبراهيم شقير.

هذا وقد تعاقب على إدارة الجمعية علماء من آل الخطيب وغيرهم من الأسر الدمشقية من أهل العلم والفضل والتجار منهم: الشيخ محمد هاشم الخطيب الحسني، الشيخ محمد رشيد بن محمد هاشم الخطيب، الشيخ محمد أبو الفرج الخطيب، الأستاذ ثروت الخطيب، الحاج إبراهيم شقير، الشيخ عبد الرحمن الشاغوري، الحاج برهان الدين الأشقر، الأستاذ عبد الرحمن بن ياسين الخطيب.

وقد نشطت الجمعية، ودعمها المشتركون الذين ذكروا في بيان أعمالها الصادر عام ١٩٣٦هـ أنهم بلغوا ١٧٦٤ مشتركاً، مما دل على أهميتها آنذاك، ودعمتها إضافة إلى ذلك أسر دمشقية معروفة.

# معهد العلوم الشرعية للجمعية الغرَّاء[1]

كان هذا المعهد من ثمرات النهضة العلمية التي أطلقها الشيخ علي الدقر[2]، بدأ بحلقات علمية في جامع السادات[3] وجامع سنان باشا[4]، فلما كثر الطلاب، واحتاجوا إلى مكان يؤويهم ويوفر لهم الخدمات اللازمة، وإلى مدرسة منظمة في برنامج محدد رأى الشيخ أن ينشئ معهداً تشرف عليه جمعية سميت «الجمعية الغرّاء لتعليم أولاد الفقراء»[5].

حصلت الجمعية أولاً على غرف في جامعي السباهية[6] والعدّاس[7] إضافة إلى غرف في الجامعين الأولين، وكان بعضها بحاجة إلى ترميم، ولم تكن كلها تفي بالغرض المطلوب.

اضطرت الجمعية لهذا الحال أن تبحث عن مكان آخر ملائم، فوقع اختيارها في عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م على مدرسة جامع تنكز[8] في شارع النصر، كانت بناء من طابقين واسعين

---

(١) اعتمدت المعلومات عن هذا المعهد كتاب الشيخ علي الدقر.

(٢) انظر ترجمته في كتاب تاريخ علماء دمشق وفيات ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، وكذلك من كتاب الشيخ علي الدقر.

(٣) في مدخل سوق مدحت باشا (السوق الطويل) وهو غير مسجد السادات الأقصاب شرق شارع الملك فيصل.

(٤) عمره والي الشام يوسف بن عبد الله بن سنان باشا (-١٠٠٥هـ) خارج باب الجابية، وهو معروف، وكان موضعه مسجداً يقال له مسجد البصل، فجعله الوالي جامعاً عظيماً سنة ٩٩٥هـ، وأوقف عليه أوقافاً عظيمة (منادمة الأطلال).

(٥) انظر للتعريف بالجمعية الغراء وتطوراتها ونظامها كتاب الشيخ علي الدقر ص٩٥ وما بعد.

(٦) أو المدرسة السيبائية نسبة إلى بانيها سيباي بن بختجا آخر نواب الشام من المماليك، قتل مع السلطان النوري في مرج دابق (-٩٢٢هـ) لما دخل العثمانيون. تقع في منطقة باب الجابية على الشارع العام.. أنجز بناؤها عام ٩٢٠هـ وبذل فيها بانيها ما بوسعه لتأتي على أجمل ما يمكن (خطط دمشق ١٩٣).

(٧) كان جنوب القصر العدلي، وأزيل في التنظيمات التي أحدثت بالشارع الممتد من شارع خالد بن الوليد حتى منطقة الدرويشية.

(٨) ينسب لنائب الشام الأمير سيف الدين تنكز (-٧٤١هـ) أنجز بناؤه عام ٧١٨هـ، وكان من أجمل مساجد دمشق، اتخذه إبراهيم باشا المصري لما غزا بلاد الشام عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م ثكنة عسكرية، وجعله الفرنسيون أيام الانتداب مدرسة حربية وثكنة للجنود، ثم أحرقوه في عدوان ١٩٤٥م فهدمته إدارة الأوقاف سنة ١٣٧١هـ وأقامت مكانه محلات تجارية بني المسجد من جديد فوقها. (خطط دمشق ٣١٦).

حوّلها الفرنسيون إلى ثكنة لجنودهم، فاستطاع الشيخ علي الحصول عليها بتدبير موفق[1].

كما حصلت الجمعية على غرف في التكية السليمانية[2] أواخر ستينات القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر ثلاثينات القرن العشرين الميلادي، حوّلها إلى قاعات دراسية، في حين كان الطلاب يبيتون في غرف جامع العدّاس المشار إليه والمدرسة السميساطية[3] حتى عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م حين جُمعت إقامة الطلاب ودراستهم معاً في ملحقات جامع تنكز.

أقرأ في المعهد كبار طلاب الشيخ علي المتقدمين، ممن كانوا أساتذة الحلقات في المسجد، وقد انقلبت هذه الحلقات إلى صفوف منتظمة، واعتمدت برامج محددة، وامتحانات مقررة، يُعطى الطالب بعدها إجازة عند التخرج.. وغدا للمدرسة سجلات رسمية. وعند ذلك استقطب المعهد طلاباً كثيرين، وبه تخرج علماء كان لهم شأنهم في دمشق وما حولها.

أسندت إدارة المعهد والإشراف عليه للشيخ أحمد بن الشيخ علي الدقر[4] فأداره بكفاية، وازدهر وتطور على مدى سنوات طويلة حتى كان عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م حين ضربه الفرنسيون بالمدافع يوم قصفوا دمشق في حادثة ٢٩ أيار من ذلك العام. فاحترق أثاثه وخزانة كتبه وسجلاته.

---

(١) دبرت الجمعية الغرّاء للحصول على مدرسة تنكز خطة وضعت فيها الفرنسيين بالحرج، إذ ترقبت ذات يوم خروج الجنود من الثكنة، وفراغها تماماً، فأمرت طلابها أن يدخلوها بأمتعتهم ويشغلوا بناءها كله.. فلما رجع الجنود أسقط في أيديهم، وتعذر عليهم إخراج الطلاب بأعدادهم الغفيرة، وتدخل الشيخ بدر الدين الحسني بمكانته التي يحسب لها الفرنسيون حساباً لئلا يتصرفوا تصرفاً أحمق، فخافوه وأقروا الأمر الواقع، ولم تستطع حكومة حقي العظم الذي أزعجه الحدث أن تفعل شيئاً، وعلق مدير الأوقاف الشيخ عبد القادر الخطيب بالقول : يد الإخلاص غلبت يد القوة.

(٢) بناها السلطان سليمان (-٩٧٤هـ) مكان قصر الملك الظاهر بيبرس، وتشتمل على حجرات وخلاوٍ ومطبخ (منادمة الأطلال ٣٧٨) هذا غير المسجد.

(٣) أو الخانقاه السميساطية التي أوقفها علي بن محمد السلمي السميساطي(-٤٥٣هـ) من رؤساء دمشق عرف بالهندسة ومهر بها، تعلم بدمشق، وكان يميل إلى الاعتزال مثل أبيه، كانت من قبله داراً لعمر بن عبد العزيز، فيها ٣٢ حجرة أرضية وعلوية، جددتها مديرية الأوقاف سنة ١٣٣٩هـ (خطط دمشق ٣٩٨).

(٤) أحمد الدقر (١٩٠٧-١٩٧٧م) عالم مرب. انظر ترجمته في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري في وفيات السنة المذكورة.

وبعد الجلاء عام ١٩٤٦م أعادت الجمعية بناء الجامع وملحقاته، فكان على قسمين شمالي وشرقي، وجعل له طابق علوي خُصص لمبيت الطلاب، في حين بقيت غرف التكية السليمانية لمطالعاتهم.

على أن الفرنسيين كانوا يَحْذرون المعهد، ويخشون طلابه الذين ما فتئوا يتظاهرون ضدهم لأقل تصرف من سلطة الانتداب، لا يعجبهم أي عمل يقوم به الفرنسيون، وربما خرج من طلابه أكثر من مئتي عمامة، يسيرون في الطرقات، يلفتون الأنظار بزيهم الموحد زي علماء البلد المعروف، فكانت السلطات تأمر بإغلاقه عند كل مناسبة سياسية، فتعود الجمعية تستأنف التدريس فيه بطريقة أو بأخرى.

وحين تولى عبد الحميد السراج[1] وزارة الداخلية ودائرة الأوقاف زمن الوحدة السورية المصرية (١٩٥٨-١٩٦١م) طلب من الشيخ أحمد الدقر أن يسلّم إليه مقر المعهد، ويلحقه بوزارة الأوقاف، على أن يكون مديراً عاماً للمدارس الشرعية، فرفض الشيخ العرض، وأدرك أن السراج يريد أن يفرغ المعهد من مضمونه ورسالته، ويبقي على شكله، وعندئذ حصلت بينهما مشادّة عنيفة كان من نتيجتها أن أوعز الوزير في ٢٥ أيلول عام ١٩٥٩ إلى الشرطة بالاستيلاء على مدرسة تنكز بالقوة.

ألقت الشرطة أثاث المعهد ومحتويات الإدارة في باحة المعهد، وطلبت من الشيخ وأعضاء الجمعية أن يغادروا المعهد، ثم نقلت إليه الكلية الشرعية[2]، التي أتبعت إلى دائرة الأوقاف بدل تبعيتها إلى جمعية العلماء، وسميت حين ذاك «الثانوية الشرعية»[3].

وفي بدايات تسعينات القرن الرابع عشر الهجري/ سبعينات القرن العشرين الميلادي

---

(١) عبد الحميد السراج (١٩٢٥-٢٠١٣م) سياسي عسكري، رجل الاستخبارات الشهير لزمنه، وزير الداخلية والمتنفذ العام في سورية زمن الوحدة السورية المصرية (١٩٥٨-١٩٦١م)، هرب إلى مصر عندما تولى الانفصاليون، وبقي في القاهرة حتى مات بها (إتمام الأعلام ط٣).

(٢) انظر التعريف بالكلية الشرعية (المعهد العلمي الديني).

(٣) ثم ما لبث أن صدر قرار الأوقاف بنقل هذه الثانوية الشرعية إلى مبنى معهد التوجيه الإسلامي الذي أنشأه الشيخ حسن حبنكة بعد أن صودر منه عام ١٩٦٧م، وتحولت مدرسة تنكز إلى ثانوية شرعية رسمية للبنات، افتتحت عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م وألحقت بالأوقاف. وانظر التعريف بمعهد التوجيه في هذا الكتاب.

ثار هجوم رسمي على المعاهد الشرعية، وتنازع الإشراف عليها وزارات الشؤون الاجتماعية والتربية والأوقاف، فتولى الدفاع في القضاء حول شرعيتها كل من المحاميين الدكتور مصطفى البارودي والدكتور فؤاد دهمان، ثم استطاع الأستاذ مصطفى الطبّاع عضو مجلس المحافظة عضو المكتب التنفيذي فيها استصدار قرار من مجلس محافظة دمشق، طُلب فيه من الوزارات المشار إليها تحديد مسؤوليتها على تلك المعاهد، فتنصلت جميعها من المسؤولية، فرأى أن من اختصاص مجلس المحافظة إصدار قرار رسمي يعدّ المعاهد الشرعية القائمة مرخصة حكماً، فأنهى بذلك الدعاوى المرفوعة، وحسم الأمر.

وإذ ذاك رأى مجلس إدارة الجمعية الغرّاء أن يعيد افتتاح المعهد الذي شمله القرار، وعين الأستاذ علي أبو بكر[1] ـ أحد خريجي المعهد ـ مديراً له.. فعادت الحياة إليه، بدءاً بالصف الأول، تدرجاً حتى الصف الأخير.. واتخذ المدرسة السميساطية شمال الجامع الأموي مقراً له.

وفي منتصف الثمانينات للقرن العشرين استعادت الجمعية إشراف وزارة التربية على امتحان طلاب المعهد في الشهادتين الإعدادية والثانوية الشرعيتين، فصاروا يتقدمون باسم المعهد للامتحانات الرسمية، ويحصلون على شهادة الوزارة، بالإضافة إلى شهادة المعهد.

وفي عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م حصلت الجمعية على الطابق الأرضي (القبو) لجامع الشيخ علي الدقر بحي كفرسوسة، وجهزته، ونقلت إليه فرع الإناث الذي افتتح في العام الدراسي ١٩٩٢/ ١٩٩٣م في المدرسة الإخنائية[2] شمال الجامع الأموي. ثم انتقل فرع الإناث هذا إلى قبو جامع التقوى بضاحية دمر. وانتقل الطلاب إلى جامع الشيخ علي الدقر المذكور عام ١٩٩٩.. ومعه مقر الجمعية أيضاً.

---

(١) علي أبو بكر (١٩٢٢-١٩٩١م) عالم فقيه من أبناء بلدة عين الفيجة بوادي بردى، سلك في التعليم بعد تخرجه بالمعهد فكلية الآداب، كان يضرب به المثل برجاحة العقل والحرص على العلم. (علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ٢٢٢).

(٢) المدرسة الإخنائية: بناها القاضي شمس الدين الإخنائي الشافعي، نسبته إلى بلدة إخنا قرب الاسكندرية. ولد سنة ٧٥٨هـ وتوفي سنة ٨١٦هـ ودفن فيها.. ولم يكتمل بناؤها إلا سنة ٨٢٠هـ وهي على يمين الخارج من باب المسجد الأموي الشمالي. (خطط دمشق ٩٨).

وكان من أهم أساتذة المعهد منذ افتتاحه طلاب الشيخ علي الدقر، منهم الشيخ أحمد الدقر (وهو مديره)، الشيخ عبد الغني الدقر (الأدب والعربية)، الشيخ عبد الكريم الرفاعي (العقيدة والفقه وأصوله)، الشيخ عبد الرحمن الطيبي الزعبي (التفسير والحديث والمصطلح)، الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت (القرآن والتجويد والفقه الحنفي)، الشيخ أحمد المقداد البصروي (الفقه الشافعي)، الشيخ خالد الجباوي (النحو والبلاغة)، الشيخ نايف العباس (الفرائض والعروض والتاريخ والأخلاق)، الشيخ أحمد الدرع (القراءة والإملاء)، الطبيب فتحي النحلاوي (العلوم)، منير الفقير (الرياضيات)، الشيخ محمد علي الأحمد (الإملاء)، الشيخ محمد السيد الدرخباني (القرآن).

وتولى التوجيه العام الشيخ محمد الخطيب (أبو كامل)، والشيخ عبد الله الراشدي التوجيه الليلي للطلاب المقيمين[1].

وكان في المعهد مأمور مستودع ومساعده، وطاه ومعاونه ومستخدمةٌ لترتيب سُرُر الطلاب وفرشهم، وخمسة مستخدمين.

هذا، والكتب التي اعتمدها منهاج المعهد، هي في غالبها ما اعتمده علماء دمشق في حلقات المساجد.

ففي التفسير «تفسير النسفي»، «تفسير ابن كثير»، «تفسير الخازن».

وفي الحديث والمصطلح «الأربعون حديثاً النووية»، «مختصر البخاري» للزبيدي، «شرح البيقونية»، «مقدمة ابن صلاح»، وفي السيرة النبوية والتاريخ «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين»، «تاريخ الدول الإسلامية» وكلاهما للخضري.

وفي العقيدة «شرح جوهرة التوحيد» تأليف اللّقاني، «السنوسية» للسنوسي.

وفي الفرائض «شرح الرحبية» لسبط ابن المارديني، «شرح السراجية».

وفي الفقه الشافعي «المقدمة الحضرمية»، «عمدة السالك وعدّة الناسك»، «الإقناع على الباجوري»، «حاشية الباجوري على ابن قاسم»، «حاشية البجيرمي على الخطيب»،

(١) لمعرفة تراجم الأعلام المذكورين يرجع إلى كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، وكتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

«المنهاج» للنووي، «تحفة المحتاج في شرح المنهاج للإمام النووي» لابن حجر الهيتمي، «الشرقاوي على التحرير».

وفي أصول الفقه «أصول الفقه» لشاكر الحنبلي، و«أماليات من الأساتذة».

وفي علوم العربية «الآجرومية» لابن آجروم، «جامع الدروس العربية» للغلاييني، «قطر الندى» لابن هشام، «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك»، «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» لابن هشام، «شذا العرف في فن الصرف» للحملاوي، «أماليات في الصرف» للشيخ أحمد المقداد البصروي، «التلخيص في البلاغة» للقزويني، «البلاغة الواضحة» لعلي الجارم ومصطفى أمين.

وفي الفلسفة والمنطق وعلم النفس «أملية» للشيخ نايف العباس، «أملية» للدكتور محمد خير عرقسوسي.

وفي الأدب والمحفوظات «ديوان الحماسة» لأبي تمام، مختارات منه، «مختارات من الشعر المعاصر» للشيخ عبد الغني الدقر.

وفي التصوف «مختصر منهاج القاصدين»، «الحكم العطائية» لابن عطاء الله، «إحياء علوم الدين» للغزالي.

واعتمدت كتب وزارة المعارف في العلوم الطبيعية، وفي اللغة الإنكليزية، وكانت الفرنسية مقررة، فألغيت إثر عدوان ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م[1].

كما كلف بالتربية الرياضية الأستاذ أحمد البنقسلي والأستاذ واصل الحلواني منتدبين من وزارة المعارف عام ١٩٤٦ والأخير أسس نادياً للطلاب.

وقرر على الطلاب كذلك بعد الجلاء سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م مادة الفتوة العسكرية باقتراح من الشيخ أحمد الدقر. وشاركوا بمعسكرات الفتوة في قطنا.

وضم المعهد قاعة مطالعة كبيرة، توافرت فيها كتب تهم الطلاب في تخصصاتهم، ويسرت لهم جواً هادئاً للمراجعة فيها.. احترقت في العدوان المذكور ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.

---

(١) لم يكن إلغاؤها في المعهد فحسب وإنما خفضت في المدارس كلها كما أفادني الأستاذ محمد عدنان سالم خريج الغراء ومدير دار الفكر.

فلما عاودت الجمعية افتتاح المعهد اشترى السيد محمد الدبس عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م خزانة كتب الشيخ بكري العطّار[١] من ورثته، وأهداها للجمعية، فأمدت الأساتذة والطلاب بما يتزودون من مراجع.

كان طلاب المعهد من محافظات سوريّة مختلفة، إضافة إلى طلاب من خارجها، وهؤلاء على قسمين، خارجيون من سكان دمشق يدرسون فحسب، ويقيم في المعهد غير الدمشقيين، تقدم لهم الجمعية ما يلزمهم من طعام ومبيت وكساء.

وكان الليليون يخضعون لنظام في مبيتهم، فيقومون بالدراسة والمطالعة من بعد العصر حتى المغرب، فإذا صلوها عكفوا على قراءة القرآن حتى العشاء الآخرة فيصلونها، ثم يتناولون طعامهم لينصرفوا إلى مهاجعهم للنوم.

وللإشراف على الطلاب وضبطهم عينت الجمعية مشرفَيْن ليليين يتفقدان أمورهم[٢] في حين كان موجه نهاري مسؤول عن شؤون الطلاب وتفقدهم ومتابعة حضورهم وحل مشكلاتهم[٣].

وفيما يأتي ثبت بأسماء عدد من الخريجين الأوائل الذين حصلوا على شهادة المعهد، حتى إغلاقه في ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٩م ومنهم من حضر أولاً على الشيخ علي الدقر في الحلقات، ثم رغب بنيل الشهادة، فمنحت له[٤].

وهناك أفراد كثيرون درسوا في حلقات الشيخ أو في المعهد ولم يحصلوا على الشهادة أو لم يطلبوها؛ وتقرر في بادئ الأمر أن يحصل على الشهادة من يستحقها ويطلبها لحاجته لها، ثم قررت لكل المتخرجين.

(١) بكري العطار شيخ مشايخ الشام لزمنه، به تخرج كثير من علماء دمشق، كان عليه تدريس البخاري في التكية وهو وظيفة هامة قررتها الدولة. توفي بالكوليرا عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م. انظر تاريخ علماء دمشق في تراجم سنة وفاته.

(٢) وقد بقي مدة في الإشراف الليلي كل من الشيخ محمد السيد الدرخبائي، والشيخ عبد الله الراشدي المغربي.

(٣) وتولى ذلك مدة طويلة الشيخ محمد علي الأحمد، وكان يقوم مقام المدير تماماً.. وما يحدث من مشكلات يرفعها للإدارة.

(٤) هذا الثبت من سجلات المعهد، ومن رسالة بعث بها المعهد إلى الأوقاف. والأسماء المذكورة فيما يأتي حصل أصحابها على شهادة المعهد. وقد تخرج به كثيرون لم يطلبوا شهادة، ولم تسجل أسماؤهم في السجلات.

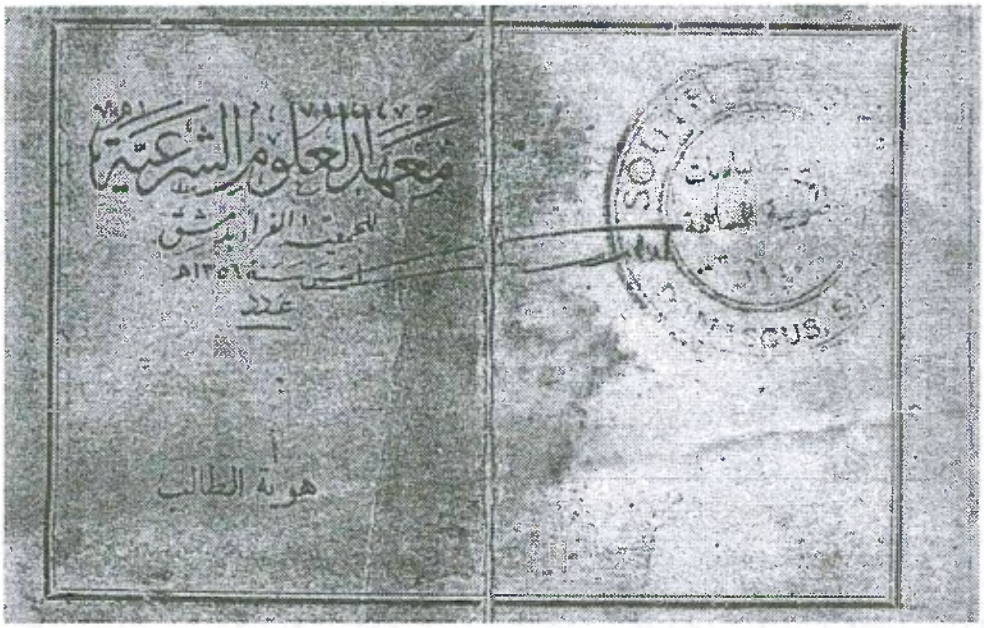
معهد العلوم الشرعية
هوية الطالب

سلم الهداية

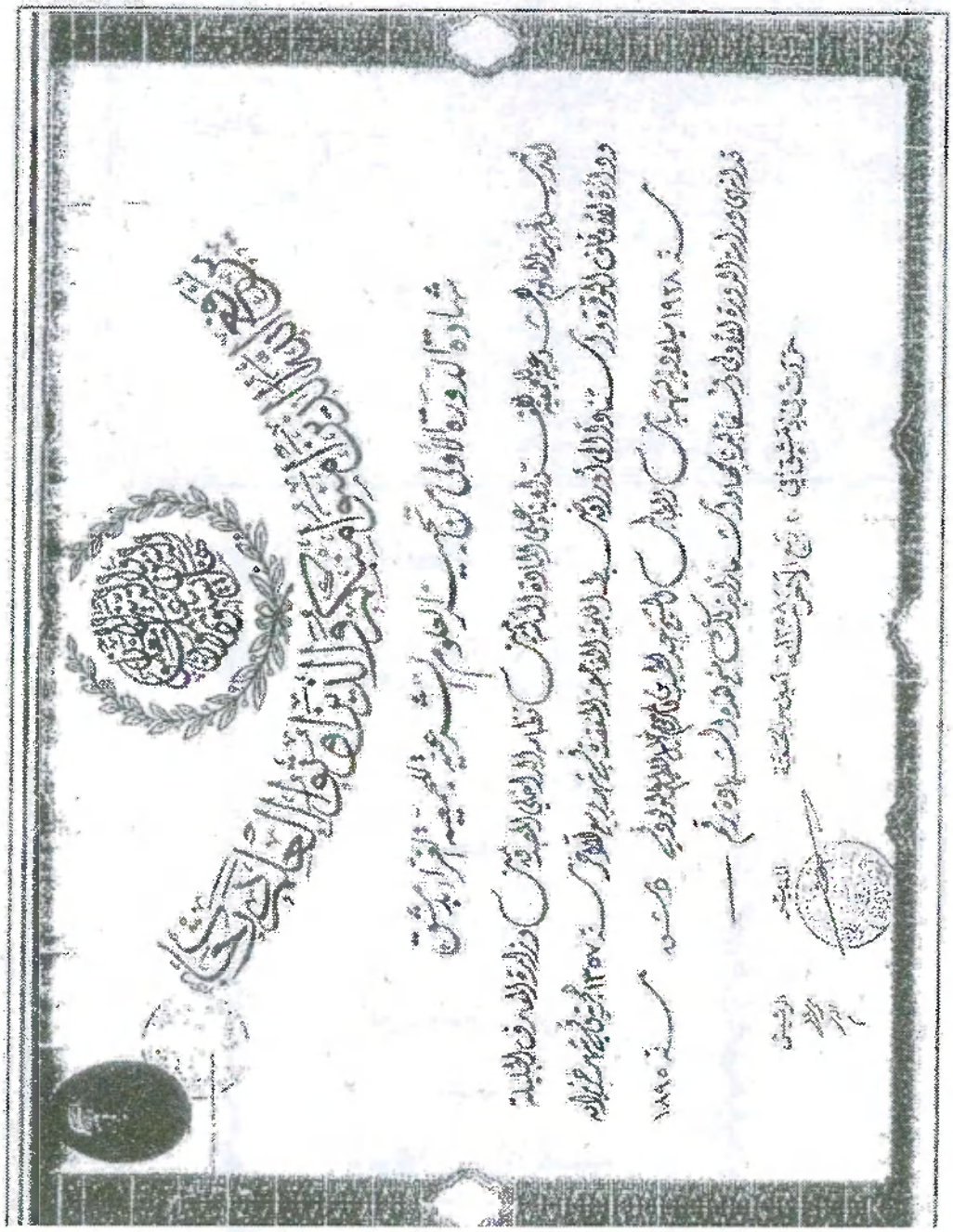

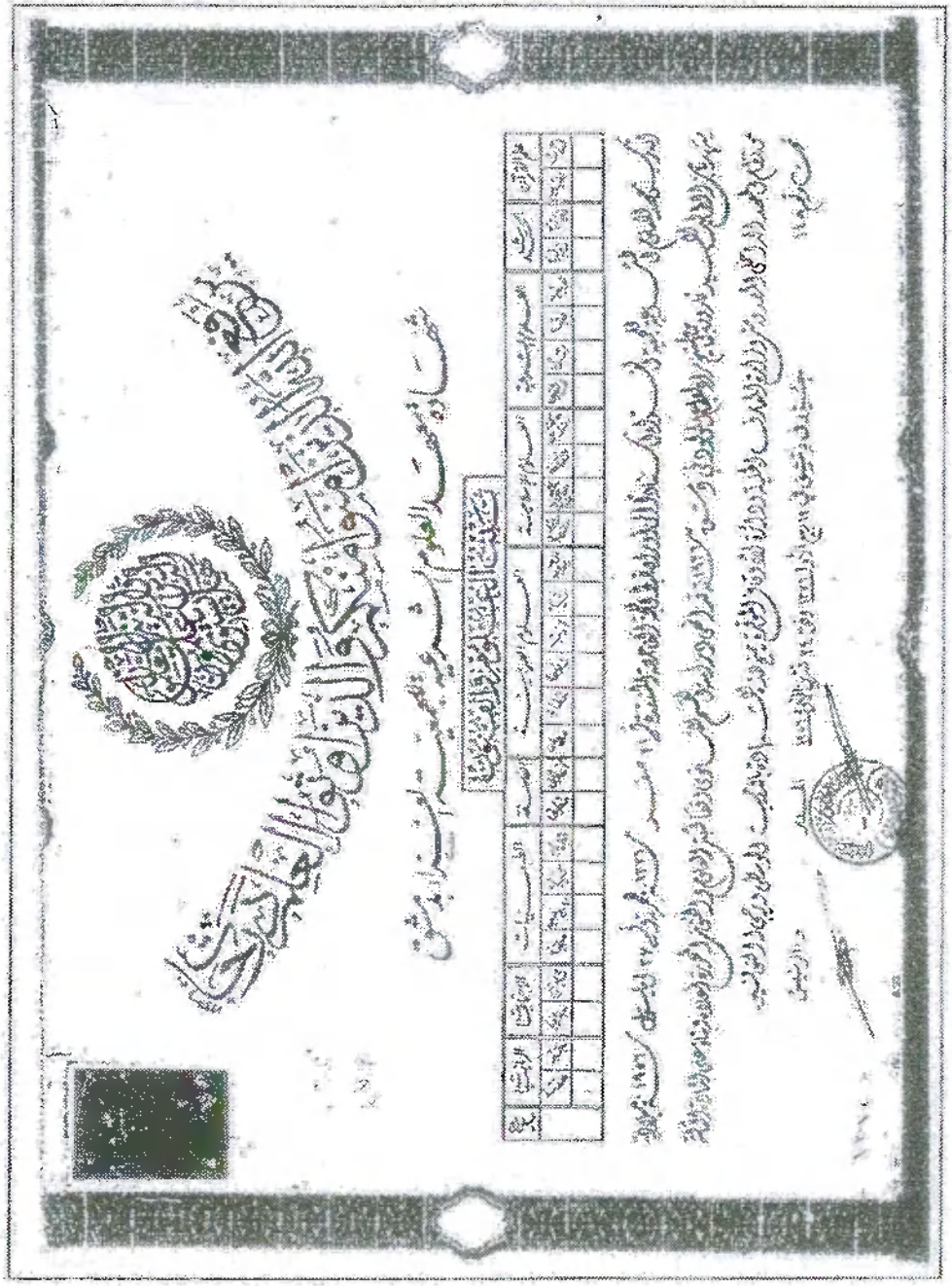

## قائمة بأسماء بعض الخريجين نُقلت من سجلات الجمعية

| الاسم | التخرج | الصفة الحالية | الاسم | التخرج | الصفة الحالية |
|---|---|---|---|---|---|
| محمد حسين الخطيب | ١٩٣٤ | إمام وخطيب في الأردن | عبد الرحمن نعسان | ١٩٤٠ | مدرس المرج وخطيب |
| عبد الله الخطيب | ١٩٣٤ | مفتي قضاء إزرع | محمد إسماعيل الزعبي | ١٩٤٠ | إمام وخطيب الرمثا |
| بركات الخطيب | ١٩٣٤ | إمام وخطيب في إربد | حسن عبد العزيز | ١٩٤٠ | موظف في المحكمة الشرعية بالأردن |
| عبد العزيز جبر أبازيد | ١٩٣٤ | مدرس في محافظة حوران وخطيبها | إبراهيم الخيرات | ١٩٤٠ | مدرس قضاء ازرع وخطيب |
| يوسف محمد عمر | ١٩٣٤ | إمام وخطيب شرقي الأردن | أحمد صفر | ١٩٤٠ | مفتي القنيطرة وخطيب |
| عبد السلام الخطيب | ١٩٣٤ | خطيب المرج السيار | مرشد إبراهيم | ١٩٤٠ | إمام في دمشق |
| محمد المصطفى | ١٩٣٩ | مفتٍ في الأردن – جرش | بركات الضماد | ١٩٤٠ | مفتي محافظة حوران |
| عبد الكريم الرفاعي | ١٩٤٠ | مدرس في دمشق وإمام وخطيب | حسين القاضي | ١٩٤٠ | إمام وخطيب حرستا |
| عبد الرؤوف أبو طوق | ١٩٤٠ | مدرس في دمشق وخطيب | أحمد المنصور | ١٩٤٠ | إمام وخطيب في دمشق |
| عبد الرحمن الدقر | ١٩٤٠ | خطيب في دمشق | حسين سماره | ١٩٤٠ | إمام وخطيب الكسوة |
| يونس الحاج علي | ١٩٤٠ | إمام وخطيب خربة غزالة | محمد جمعة إبراهيم | ١٩٤١ | إمام وخطيب في لبنان |
| علي يحيى النويرات | ١٩٤٠ | إمام وخطيب خربة غزالة | محمد يوسف مهجة | ١٩٤١ | معلم ابتدائي وإمام بدمشق |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| أحمد المحاميد | ١٩٤٠ | إمام وخطيب في دمشق | يحيى الشب | ١٩٤١ | مدرس وخطيب بدمشق |
| حسن القاضي[1] | ١٩٤٠ | قاض في جبل العلويين | رضا ديباجة | ١٩٤١ | إمام في المهجر |
| عادل داده | ١٩٤١ | إمام وخطيب في دمشق | محمد حمزة | ١٩٤١ | مدرس ثانوي |
| محمد فريد دحروج | ١٩٤١ | إمام وخطيب شحيم لبنان | عبد الله حمزة | ١٩٤١ | |
| هاشم السيد | ١٩٤١ | خطيب ومدرس دوما | حسين الطه | ١٩٤١ | إمام وخطيب في المسيفرة |
| سليم الأحمد | ١٩٤١ | مدرس وموظف في أوقاف درعا | محمد مجاريش | ١٩٤١ | إمام وخطيب في محجة |
| محمود طه | ١٩٤١ | إمام وخطيب عسال الورد | محمد سعيد السعيد العزيز | ١٩٤١ | معلم في الزرقا |
| عبد الله الزعبي | ١٩٤١ | إمام وخطيب أم المياذن | قاسم الرفاعي | ١٩٤١ | مدرس وخطيب في بعلبك |
| موسى محمود الموسى | ١٩٤١ | إمام وخطيب في الأردن | حسن الرفاعي | ١٩٤١ | مفتي بعلبك |
| علي بن محمد علي الخطيب | ١٩٤١ | إمام وخطيب في الأردن | عبد الكريم العلة | ١٩٤١ | مدرس في الأردن |
| عبد الفتاح شقير | ١٩٤١ | إمام وخطيب | إبراهيم أحمد عبد الله | ١٩٤٢ | مدرس في البقاع |
| حسن مصطفى الزعل | ١٩٤١ | إمام وخطيب محطة ازرع | حسب عبد الحميد الموسى | ١٩٤٢ | مدرس في الأردن |

(١) تولى الشيخ حسن القاضي القضاء الشرعي في حلب، ثم نقل إلى الغرفة الشرعية في محكمة النقض، وتولى رئاستها سنوات إلى أن أحيل على التقاعد.

| الاسم | التخرج | الصفة الحالية | الاسم | التخرج | الصفة الحالية |
|---|---|---|---|---|---|
| قاسم قرعاوي | ١٩٤١ | مدرس في لبنان | محمد صلاح العقلة | ١٩٤٢ | معلم وإمام بدمشق |
| عبد الحميد أبازيد | ١٩٤١ | إمام درعا | عبد الرحمن المجذوب | ١٩٤٢ | إمام وخطيب بدمشق |
| عبد الفتاح الموالدي | ١٩٤١ | إمام وخطيب | محمد السيد | ١٩٤٢ | إمام بدمشق |
| عبد الحميد حجازي | ١٩٤٣ | خطيب ومدرس في الجامعة | محمد عرار | ١٩٤٣ | تاجر |
| محمد علي الأحمد | ١٩٤٣ | مدرس بدمشق وخطيب | فارس الطير | ١٩٤٣ | إمام وخطيب في زملكا |
| فائز فلاح | ١٩٤٣ | معلم في الأردن | محمد الخطيب | ١٩٤٣ | إمام وخطيب في التل |
| صالح منصور | ١٩٤٣ | معلم وكالة | محمد محمود شاكر | ١٩٤٣ | مدرس في الجامعة |
| محمد شريف معاذ | ١٩٤٣ | | أحمد الدرع | ١٩٤٣ | مدرس ثانوي بدمشق |
| محمد شماع | ١٩٤٣ | قاض بدمشق | محمود ميمان | ١٩٤٣ | إمام وخطيب فاره |
| إبراهيم حمزة | ١٩٤٣ | مدرس في الأزهر | إبراهيم الغالب | ١٩٤٣ | مدرس ابتدائي وخطيب إنخل |
| فوزي نابلسي | ١٩٤٣ | مدرس في الجامعة | مصطفى إبراهيم | ١٩٤٥ | مدرس ثانوي |
| محمد مسلم الخطيب | ١٩٤٣ | إمام وخطيب جوبر | عبد الفتاح الموالدي | ١٩٤١ | إمام وخطيب |
| صالح البقاعي | ١٩٤٣ | إمام وخطيب بدمشق | علي جنيد | ١٩٤٥ | معلم ابتدائي |
| سعد الدين الهواري | ١٩٤٣ | مؤذن بدمشق | حسن عبد القادر | ١٩٤٥ | إمام وخطيب في الأردن |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سعيد الهجياوي | ١٩٤٣ | | عبد الكريم الطويل | ١٩٤٥ | إمام وخطيب حزة |
| محمد الزعبي | ١٩٤٣ | مفتٍ في الأردن | سليم مبارك | ١٩٤٥ | معلم ابتدائي |
| سليمان العوض | ١٩٤٣ | إمام وخطيب بدمشق | صالح سلامة | ١٩٤٥ | معلم في الأردن |
| عبد الرحمن بركات | ١٩٤٣ | إمام وخطيب بدمشق | | | |
| محمد حيدر | ١٩٤٦ | موظف في ديوان المحاسبات | محمد طه | ١٩٤٨ | معلم ابتدائي في المعارف |
| عمر عودة خطيب | ١٩٤٦ | مدرس ثانوي في المعارف | محمد الخطيب | ١٩٤٨ | مدير ناحية أريحا |
| محمود عبد الهادي | ١٩٤٦ | مدرس ثانوي في المعارف | نذير حمدان | ١٩٤٨ | مدرس ثانوي في المعارف |
| أحمد محمود شركس | ١٩٤٦ | مدرس ثانوي في الأردن | عبد الله حبوش | ١٩٤٨ | معلم ابتدائي في المعارف |
| أحمد الخالد | ١٩٤٦ | قاض شرعي في الباب | مفلح حيدر | ١٩٤٨ | معلم ابتدائي في المعارف |
| محمد أديب صالح | ١٩٤٦ | معيد في الجامعة | عمر الصباغ | ١٩٤٨ | معلم ابتدائي في المعارف |
| محمود معلم | ١٩٤٧ | معلم في المعارف | خالد حبشية | ١٩٤٩ | معلم ابتدائي في المعارف |

| الاسم | التخرج | الصفة الحالية | الاسم | التخرج | الصفة الحالية |
|---|---|---|---|---|---|
| تيسر إدلبي | ١٩٤٧ | ضابط في الجيش | بدر الدين حيدر | ١٩٤٩ | ضابط في الجيش |
| سعيد عبار | ١٩٤٧ | مدرس ثانوي في المعارف | صهيب الصعب | ١٩٤٩ | معلم ابتدائي في المعارف |
| عبد الصمد اليوسف | ١٩٤٧ | إمام ومدرس بدمشق | محمد عدنان سالم | ١٩٤٩ | مدير مدرسة خاصة |
| عبد المجيد البردعي | ١٩٤٧ | مدرس ثانوي في لبنان | شريف مهايني | ١٩٤٩ | معلم ابتدائي وفي الجامعة |
| أحمد الحمدات | ١٩٤٧ | مدرس في الكويت | أحمد عبد الهادي | ١٩٥٠ | مدرس ثانوي في جبلة |
| عمر عبار | ١٩٤٧ | مدرس في الحجاز | سالم عبد الله | ١٩٥٠ | ضابط في الجيش الأردني |
| حسن رئيس | ١٩٤٨ | مدرس ثانوي في المعارف | عثمان محمود | ١٩٥٠ | معلم ابتدائي |
| عبد الحميد قادري | ١٩٤٨ | معلم ابتدائي في المعارف | عبد الرؤوف جمعة | ١٩٥٠ | معلم ابتدائي |
| عبد السلام كيلاني | ١٩٥٠ | معلم ابتدائي وخطيب في الضمير | محمد خير طبل | ١٩٥٢ | ضابط في الجيش |
| سعيد حبائي | ١٩٥٠ | أمين صندوق أوقاف حلب | محمود الأحمد | ١٩٥٢ | معلم ابتدائي |
| علي خميس | ١٩٥٠ | معلم ابتدائي | أحمد أبو سعد | ١٩٥٣ | ضابط في الجيش |

| الاسم | التخرج | الشهادة الحالية | الاسم | التخرج | الشهادة الحالية |
|---|---|---|---|---|---|
| أحمد جباري | ١٩٥٠ | معلم ابتدائي وفي الجامعة | بشير رحال | ١٩٥٣ | معلم ابتدائي وفي الجامعة |
| طاهر صباغ | ١٩٥٠ | معلم ابتدائي وفي الجامعة | عبد الله معلم | ١٩٥٣ | مدرس ثانوي |
| عبد الحميد صباغ | ١٩٥٠ | معلم ابتدائي وخطيب دمشق | علي عز الدين | ١٩٥٣ | محام |
| عبد العزيز رفاعي | ١٩٥٠ | مفتي تلكلخ | عبد الغني مصري | ١٩٥٣ | في الجيش |
| عبد القادر محمد | ١٩٥١ | معلم وفي الجامعة | عبد المولى مبروكة | ١٩٥٣ | معلم ابتدائي |
| حسين المصري | ١٩٥١ | معلم ابتدائي | محمود الترك | ١٩٥٣ | كاتب في المحكمة الشرعية |
| محمد علي المصري | ١٩٥١ | موظف في محاسبة الأركان | محمد صالح يونس | ١٩٥٣ | معلم ابتدائي |
| علي اليوسف إبراهيم | ١٩٥١ | مدير ناحية | أحمد مرعي | ١٩٥٤ | موظف في الجمارك |
| أمين مامو | ١٩٥١ | مدرس ثانوي | أحمد إبراهيم | ١٩٥٤ | ضابط في الجيش |
| توفيق طيل | ١٩٥٢ | ضابط في الجيش | أحمد القادري | ١٩٥٤ | معلم |
| خليل إبراهيم | ١٩٥٢ | معلم ابتدائي | أحمد فرفاش | ١٩٥٤ | معلم ابتدائي |
| صلاح جنيد | ١٩٥٢ | في الكلية الحربية | أحمد نايف | ١٩٥٤ | إمام وخطيب |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| عربي قباني | ١٩٥٢ | خطيب وإمام بدمشق | حسن بحو | ١٩٥٤ | معلم وإمام في تركيا |
| كاظم عبد الحليم | ١٩٥٢ | مدرس ثانوي | صالح الشامي | ١٩٥٤ | مدرس ثانوي |
| محمد حريري | ١٩٥٢ | ضابط في الجيش | حسين شاهين | ١٩٥٤ | معلم في البقاع |
| صلاح جنيد | ١٩٥٤ | في الكلية الحربية | عبد الله حسين | ١٩٥٥ | في الجامعة |
| عبد العزيز حمدان | ١٩٥٤ | في الجامعة كلية الشريعة | يوسف جمعة | ١٩٥٥ | موظف في الجيش |
| عبد الرحمن كرام | ١٩٥٤ | في الجامعة كلية الشريعة | محمد الأسعد | ١٩٥٥ | تاجر |
| محمد يحيى أمونة | ١٩٥٤ | في الجامعة كلية الشريعة | عبد الرحمن عرار | ١٩٥٥ | موظف في الأوقاف |
| محمود يوسف | ١٩٥٤ | في الجامعة كلية الشريعة | عمر حسن | ١٩٥٥ | في الجامعة |
| محمد صبري جبري | ١٩٥٤ | في الجيش المحاسبة | أحمد عرابي | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| محمود حسن إسماعيل | ١٩٥٤ | في الجيش طيران | أحمد فرحات | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| أحمد نادر | ١٩٥٥ | في الجيش | صالح عبد الكريم | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| محمد حسن عبد العال | ١٩٥٥ | في الجامعة | عدنان زرزور | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| رمزي دبس | ١٩٥٥ | في الجامعة | علي الشربجي | ١٩٥٦ | مدرس وخطيب دمشق |
| محمد الخطيب | ١٩٥٥ | في الجامعة | علي عريضة | ١٩٥٦ | خطيب وإمام بسيمة |

| الاسم | التخرج | الصفة الحالية | الاسم | التخرج | الصفة الحالية |
|---|---|---|---|---|---|
| ممدوح رجب | ١٩٥٥ | ضابط في الاحتياط | عمر غلاييني | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| مصطفى جنيد | ١٩٥٥ | في الجامعة | عثمان زكي | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| محمد خير عيسى | ١٩٥٥ | في الجيش | فاروق طباع | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| ياسين الأحمد | ١٩٥٥ | في الجامعة | منذر دقر | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| محمد الأخضر | ١٩٥٥ | في الجامعة | محمد عبد الرحيم | ١٩٥٦ | إمام وخطيب في البقاع |
| أحمد الناطور | ١٩٥٥ | ضابط في الجيش | محمد رياض حناوي | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| أحمد السيد | ١٩٥٥ | في الجامعة | محمد رضا قهوجي | ١٩٥٦ | في الجامعة |
| حسن فلاي | ١٩٥٦ | في الجامعة بالعراق | محمد نور طاهر | ١٩٥٧ | إمام وخطيب في محافظة حمص |
| عبد الله محمود الطنطاوي | ١٩٥٦ | ضابط في الجيش | محمد كريم راجح[1] | ١٩٥٧ | مدرس في بصرى وإمام وخطيب بدمشق |
| خليل جباري | ١٩٥٧ | في الجيش | محمد عوض | ١٩٥٧ | إمام وخطيب بدمشق ومدرس في الجامعة |
| درويش سرور | ١٩٥٧ | في الجامعة مدرس | زهير نوفلية | ١٩٥٨ | إمام وخطيب بدمشق ومدرس في الجامعة |
| زكي الحجيري | ١٩٥٧ | معلم في البقاع | شوكت جبالي | ١٩٥٨ | خطيب بدمشق وفي الجامعة |
| عبد الوهاب خطاب | ١٩٥٧ | في الجامعة | عبد الرحمن أبو ذر | ١٩٥٨ | إمام بدمشق وتعاقد مع الكويت |
| علي السمرة | ١٩٥٧ | | بشير السيد | ١٩٥٨ | في الجامعة |

(١) شيخ القراء..

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| عدنان صلاحي | ١٩٥٧ | في الجامعة | حسن العمر | ١٩٥٨ | إمام وخطيب بقضاء حمص |
| فوزي عبد الحق | ١٩٥٧ | في الجامعة | محمد عطا الجيرودي | ١٩٥٩ | |
| محمد أديب موصللي | ١٩٥٧ | في الجامعة وإمام وخطيب بدمشق | عبد الغني طبري | ١٩٥٩ | |
| محمود حمدان | ١٩٥٧ | في الجامعة | محمد علي دوله | ١٩٥٩ | |
| محمد أبو الفرج صلاحي | ١٩٥٧ | في الجامعة | محيي الدين مستو | ١٩٥٩ | |
| مصطفى الخطيب | ١٩٥٧ | في الجامعة | ممدوح حسن | ١٩٥٩ | |
| محمد جميل الكسر | ١٩٥٧ | في الجامعة | زيدان الرقي | ١٩٥٩ | |
| محمود الميره | ١٩٥٧ | في الجامعة | عبد اللطيف عقلة | ١٩٥٩ | |
| ياسين سليم | ١٩٥٧ | نجار | | | |

وأضاف الأستاذ سعدي أبو جيب إلى هذه القائمة:

أحمد عمران محام في طرطوس، رئيس فرع نقابة المعلمين فيها.

سليمان الخش وزير التربية في ستينات القرن الماضي.

محمد علي حسن رئيس ديوان المحكمة الشرعية في طرطوس، شاعر معروف.

# المعهد العلمي الديني
# (الكلية الشرعية)

أسسته جمعية العلماء[1] عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م بقسميه؛ القسم الاستعدادي وهو يماثل الصفوف الابتدائية النظامية في الجامع الأزهر بمصر. والقسم الثانوي النظامي. واشتهر بين المواطنين والطلاب باسم الكلية الشرعية[2].

استنفرت الجمعية من أجل المعهد طاقات البلد العلمية آنذاك، كما استنفرت المحسنين للإسهام بتمويله، لأن التعليم فيه مجاني.. ومن جراء ذلك غدا المعهد قرة عين دمشق، وأدى وظيفته المطلوبة.

تأسس المعهد بهدف تخريج القضاة والمفتين والوعاظ والمدرسين والخطباء والكتّاب.

وضعت الجمعية للمعهد مقررات تعليمية متكاملة تجمع علوم الشريعة والعربية المعمقة، إلى الثقافة العصرية التي آمن القائمون عليه بها.

ولقد اشتمل مجلس الإدارة على أربعة وعشرين عضواً مؤسساً وهم أبو الخير الميداني، وأحمد القصاب وبهجة البيطار، وجميل الشطي، وحسن الشطي، وسعيد الحمزاوي،

---

(١) دعا لإنشاء هذه الجمعية الشيخ كامل القصاب، وسعى لحصولها على رخصة رسمية من وزارة الداخلية في ٥ رمضان ١٣٥٦هـ، الموافق ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٧م، وجعلت أهدافها الدفاع عن الإسلام بالوقوف ضد الإلحاد والإفساد. وجاء في نظامها الأساسي: غاية الجمعية الاهتمام بشؤون المسلمين ومؤسساتهم الدينية ورفع مستوى العلماء والمتعلمين وجمع كلمتهم، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. (انظر للتفصيل كتاب جمعية العلماء بدمشق للحديث عنها وعن الشيخ كامل القصاب وكذلك تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، ج ٢/ ص ٨٣٥ ط٢) وكان أبرز أعمال الجمعية إنشاء المعهد المذكور. واعتمد البحث على الكتابين المذكورين آنفاً، وعلى ذكريات الطنطاوي في عدد من المواضع (انظر فهرسه).

(٢) وقد افتتحت هذه الكلية بحفلة كبرى في المدرسة الكاملية بسوق البزوريين ليلة الثلاثاء ١١ رجب ١٣٥٧هـ/ ٦ أيلول ١٩٣٨م جمعت أركان الدولة وطائفة من كبار العلماء في دمشق وغيرها ورجال الدولة ومن علية القوم والمفكرين (جمعية العلماء بدمشق).

وسليم الطيبي، وصالح الحمصي، وصالح فرفور، وعارف الصواف الدوجي، وعبد القادر الإسكندراني، وعبد القادر شموط، وعلى ظبيان، وعيد الحلبي، وكامل القصاب، ومحمد أحمد دهمان، ومحمد الكامل القصار، ومحمد زين العابدين الأنطاكي، ومحمد سليم الحلواني، ومحمود العطار، ومحمود ياسين، ومكي الكتاني، وهاشم الخطيب، وياسين القطب[1].

وجاء في خطّته أنه من اللازم وجوب تمكن طلابه من الدروس الكونية[2] في التاريخ والجغرافية والرياضيات والطبيعيات والكيمياء والقوانين واللغة الأجنبية إلى جانب العلوم الشرعية والعربية.

ولهذا دعت الجمعية تسعة وثلاثين أستاذاً من كبار علماء التربية والتعليم لتأليف الكتب في جميع العلوم المذكورة، وهي كما جاء في بيان الجمعية

«تؤلف خصيصاً للمعهد وباسمه على الطراز العصري والأسلوب العلمي..[3].. وهم:

الطبيب إبراهيم صبري، الطبيب أحمد راتب، الأستاذ أديب التقي، الطبيب أسعد الحكيم، المحامي بدر الدين الصفدي، الكيماوي توفيق لطوف، الطبيب جميل الخاني، الطبيب جميل الشرابي، الطبيب جودة الكيال، الأستاذ جودة المارديني، الأستاذ حسن يحيى الصبان، الأستاذ خالد الحكيم، المحامي خير الدين القضماني، الأستاذ درويش القصاص، الأستاذ رشيد بقدونس، المحامي سعد جلنبو، الأستاذ سليم الجندي، الطبيب شفيق شحادة، الأستاذ شكري الشربجي، الأستاذ صادق النقشبندي، الطبيب طاهر الرجلة، الأستاذ عارف التوام، الطبيب عبد الحميد العاقل، الطبيب عبد الغني المحملجي، الطبيب عبد القادر راضي، الطبيب عبد القادر زهراء، الأستاذ عبد القادر المبارك، الكيماوي عبد الوهاب القنواتي، المهندس عبد الوهاب المالكي، الطبيب عزة شموط، الرياضي علي منلا عيسى الكردي، الأستاذ عمر فرحات، الرياضي عون القضماني، الدكتور كامل

(١) غالب هؤلاء العلماء مترجمون في كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

(٢) مرّ أن العلوم الكونية مصطلح يعني عند علماء دمشق العلوم غير الشرعية.

(٣) بيان الجمعية، وانظر كتاب جمعية العلماء.

نصري، الأستاذ محمود الحمصي، الطبيب محمود صبري، الأستاذ محيي الدين صادق، الصيدلي منير التقي المحايري، الطبيب نذير الأصيل، الشيخ محمد أحمد دهمان أسند إليه تدريس مادة الثقافة الإسلامية وهي مادة جديدة درّسها بعده القاضي علي الطنطاوي للصفوف العليا.

«وبعد المذاكرة معهم في الموضوع استحسنوا هذه الفكرة وأظهروا استعدادهم لمشاركة الجمعية في الخدمة العامة، والتدريس والتأليف. وقد تم ولله الحمد تأليف ست لجان:

الأولى: لجنة الطبيعيات. والمنتخبون للتأليف في دروسها هم السادة الأطباء: أسعد الحكيم، جميل الخاني، جميل الشرابي، جودة الكيال.

الثانية: لجنة التاريخ. والمنتخبون للتأليف في دروسها هم السادة الأساتذة: أديب التقي، رشيد بقدونس، صادق النقشبندي، عارف التوام، الطبيب عزة شموط، عمر فرحات.

الثالثة: لجنة الكيمياء. والمنتخبون للتأليف في دروسها هم السادة: الكيماوي توفيق لطوف، الكيماوي عبد الوهاب القنواتي، الصيدلي منير التقي المحايري.

الرابعة: لجنة الرياضيات. والمنتخبون للتأليف في دروسها هم السادة الأساتذة: خالد الحكيم، درويش القصاص، عبد الوهاب المالكي، عوني القضماني، محمود الحمصي، محيي الدين صادق، علي منلا عيسى الكردي.

الخامسة: لجنة تقويم البلدان والتربية والتعليم. والمنتخبون للتأليف في دروسها هم السادة الأساتذة: جودة المارديني، شكري الشربجي، كامل نصري.

السادسة: لجنة القوانين. والمنتخبون للتأليف في دروسها هم السادة المحامون: بدر الدين الصفدي، خير الدين القضماني، سعيد جلنبو».

وهذه قائمة المواد المقررة:

**مقررات القسم الإعدادي (ثلاث سنوات):**

- حفظ جزأي عمَّ وتبارك مع تفسيرهما
- التجويد
- التوحيد
- التفسير
- الحديث، مع حفظ خمسين حديثاً كل عام
- فقه المذاهب الأربعة[1]
- الفرائض
- علوم العربية
- الأدب شعراً ونثراً، ومعه الخطابة والإنشاء
- الإملاء
- التاريخ
- الجغرافية
- الحساب والهندسة العملية
- مبادئ العلوم والصحة
- الخط
- الفرنسية
- الرياضة البدنية

**مقررات القسم الثانوي (ثلاث سنوات)**

- حفظ ربع القرآن
- علوم القرآن بإيجاز (ومنها التجويد)

(١) لم يكن يدرَّس عملياً إلا المذهبان الحنفي والشافعي.

- التفسير وأصوله
- الحديث، (وحفظ ٥٠ حديثاً كلّ عام)
- التوحيد
- الفقه على المذاهب الأربعة[١]
- مبادئ أصول الفقه
- تاريخ التشريع الإسلامي
- علوم العربية (النحو والصرف والبلاغة والعروض)
- السيرة النبوية
- الأدب (القديم والإسلامي والأموي والعباسي والحديث والخطابة)
- المنطق
- الرياضيات (الحساب، والهندسة والجبر)
- مبادئ الكيمياء والفيزياء
- سنن الكائنات (علوم الطبيعة وعلم التشريح)
- التاريخ العام أو الإسلامي أو الحديث في سنوات الدراسة
- تقويم البلدان (الجغرافية)
- اللغة الفرنسية
- الرياضة البدنية

ثم ضم إلى المنهاج مقرر «الثقافة الإسلامية» أُدخل مؤخراً عام ١٩٤٤م وكذلك «علم الأخلاق» وكتاب «منهاج القاصدين»[٢].

---

(١) لم يكن يقرر عملياً سوى المذهبين الحنفي والشافعي.

(٢) وهو مختصر كتاب إحياء علوم الدين.

وقد أسست الجمعية صفاً لموظفي الحكومة يدرسون فيه الفرائض وتاريخ التشريع الإسلامي، والأصول، ومجلة الأحكام الشرعية، وتاريخ الثقافة الإسلامية وتاريخ الأدب العربي، والمنطق.

ويقوم بتدريس جميع هذه العلوم أكثر أعضاء الجمعية وطائفة من أساتذة لجان التأليف والتعليم كلٌّ حسب اختصاصه.

وقد فكرت الجمعية بتأسيس عدة مدارس أولية ذات صفين لمكافحة الأمية، يدرس الطالب فيها القرآن الكريم والأعمال الحسابية الأساسية والإملاء والخط ومبادئ العلوم الدينية لتكون نواة الدخول إلى القسم الاستعدادي.

كما أنها كانت تفكر بتأسيس مدارس ابتدائية ذات خمسة صفوف يتأهل الطالب فيها لدخول القسم الثانوي وفي المدارس التجهيزية.

بلغ عدد الطلاب أول الأمر ٧٧ طالباً من دمشق وخارجها.

قام على المعهد أساتذة قديرون منهم:

أحمد السمان، أحمد القصاب، حسن حبنكة، حسن الخطيب، رضا الحلو، عبد الحميد اكريّم، عبد الحميد القنواتي، عبد الرزاق الحمصي، عبد القادر الإسكندراني، علي سعد الدين، علي الطنطاوي، لطفي الفيومي، محمد أحمد دهمان، محمد صالح فرفور، محمود الرنكوسي، محمود العطار، محمود ياسين، نمر الخطيب، هاشم الخطيب، ياسين القطب.

هذا إلى جانب أساتذة من أعضاء الجمعية تبرعوا بالتدريس المجاني، وهم: أحمد مظيان، أديب التقي، جودت الكيال، جودت المارديني، حسين صديق، درويش القصاص، عبد القادر المبارك، سليم الجندي، عارف التوام، عارف الجويجاتي، محمود الحمصي.

أسندت إدارة المعهد أولاً إلى الأستاذ سليم الجندي، ثم إلى الشيخ حسن الشطي، ثم إلى الأستاذ جودت المارديني[1] وهو آخر المديرين.

(١) في ذكريات الطنطاوي ٣/ ٨٨ أن ياسين الحموي من مديري المعهد. وقال: وانتقلت الكلية الشرعية [أي إدارتها] إلى الإدارة العامة للأوقاف، ولم تكن صارت وزارة بعد، فغدا المعهد كلية رسمية فيها خمسة صفوف (ذكريات ٧/ ٩١) وانظر ترجمة كل من سليم الجندي وحسن الشطي في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

وكان الشيخ ياسين القطب نائب المدير والمحاسب بشكل دائم.

وتبرع للمعهد كذلك ١٥ طبيباً من ألمع الأطباء بدمشق لمداواة مرضى الطلاب مجاناً، وهم: إبراهيم صبري، أحمد راتب، أسعد الحكيم، جميل الخاني، جميل الشرابي، جودت الكيال، شفيق شحادة، طاهر الرجلة، عبد الحميد العاقل، عبد الغني المحملجي، عبد القادر راضي، عبد القادر زهراء، عزة شموط، محمود صبري، نذير الأصيل. ثم جاء من بعدهم آخرون مثل يحيى الشماع.

وتبرع كثيرون بالمال لتوفير نفقات الطلاب من سكن وطعام ولباس وأدوات مدرسية.

والحق أن الجمعية ملأت عيون الأهالي وحازت على تقديرهم كما يظهر من إقبال المتبرعين عليها لتقوم بنفقات الطلاب من الطعام والكتب والدفاتر، والسكن الذي كان في دار خاصة غير مقر الكلية الذي اختير له بيت واسع في زقاق النقيب[1].

وكانت الجمعية تقدم لطلابها كل ما يحتاجون إليه من ضرورات الحياة اليومية كالاستحمام المجاني في حمام السلسلة القريب، وتدفع لهم نفقة جيب ثلاث ليرات شهرياً لكل طالب، وهي نفقة كافية في ذلك الوقت.

كما كانت الجمعية تقوم برحلات ترفيهية، تصطحب الطلاب إلى البساتين القريبة أو إلى ينابيع الحمة الكبريتية جنوب سورية[2].

ومن أجل إتمام العمل وإحكامه ألفت الجمعية لجنة مالية باسم المعهد لتنظيم الواردات، والعمل على جلب المال اللازم وتنميته بالطرق المشروعة، فشكلت اللجنة من التجار والوجهاء، وهم السادة:

عبد الرحيم الخطيب: الرئيس الأول

سليم الصواف: الرئيس الثاني — أبو الخير الذهبي: أمين السر

صبحي مراد: المحاسب — حسني الزين: الخازن

---

(١) كان هذا البيت سكناً للأمير عبد القادر الجزائري لما استقر بدمشق، ثم آل إلى السيد مكي الكتاني. (ذكريات ٧/ ٩٠).

(٢) مرّ التعريف بها عند الحديث عن ثانوية الأنصار.

مصطفى العطار: مراقب — إبراهيم الذهبي: عضو

سعيد عبيد: عضو — شفيق كحالة: عضو

عبد الله الخياط: عضو — عثمان بدير: عضو

محمد صادق: عضو — محمود كيوان: عضو

كانت اللجنة تتولى جميع ما يتعلق بأموال الجمعية وتقدم في آخر كل سنة بياناً عاماً منظماً بأسماء المشتركين والمتبرعين، إضافة إلى بيان بأعمال الجمعية مع بيان الواردات والنفقات حسب أصول الجمعية ودستورها.

سار المعهد على الخطة المرسومة واستقطب عدداً من الطلاب النابهين، وقامت عليه إدارة نشطة.. ولم يحدث فيه من مشكلات إلا طرائف بسيطة.

فمن طرائفه واقعة غريبة، وهي أن الطلاب في ساعة الظهيرة كانوا يزدحمون على أنبوب الماء ليشربوه فاتراً غير مبرد. فاتفق يوماً أن قرع الجرس ولم يستكملوا شربهم، وكان سبيل الماء البارد (من عين الفيجة) عند باب المدرسة، وتضايق طالب من العطش، ومن دخول وقت الدرس فجاوز الباب خطوة فشرب ورجع. فأوقع به المدير الشيخ حسن الشطي من شيوخ الحنابلة، يطبّق نص القانون بحرفيته، أوقع به عقوبة الطرد بحجة أنه خرج من المدرسة بلا إذن وعلّق القرار في لوحة الإعلانات فرآه الطلاب جميعاً.

وعجب مجلس العمدة بأعضائه كلهم ورئيسه علي الطنطاوي قاضي دمشق (الأول أو الممتاز) من هذا القرار وتقدموا إلى المدير لتعديل القرار غير المنطقي، لأن الطالب كان حسن الخلق جيد التحصيل يرجى له مستقبل زاهر، ويؤمل أن يخرج منه عالم ينفع الله به الناس. ولكن المدير أصرّ على قراره، فما كان من مجلس العمدة إلا أن أبطل قرار المدير على اضطرار[1].

هذا، وقد اختير الشيخ صبحي الصباغ (قاضي دمشق الأول) رئيساً لعمدة الكلية بعد

(١) ذكريات ٤/ ٢٥٣.. وهذه الواقعة تبين مدى المتابعة في الكلية للطلاب.

الشيخ علي الطنطاوي، ثم القاضي المعروف نهاد القاسم.

خرّجت الكلية عدداً من الطلاب النابهين صاروا علماء البلد فيما بعد، وكان منهم الدعاة والخطباء والمدرسون المشار إليهم، منهم: محمد القاسمي، وعبد الحميد الهاشمي، ومحمد علي طه، وأحمد الأحمد، ووهبة الزحيلي، ومحمد الزحيلي، وسعد الدين الغلاييني، وعبد الحليم الدبس، وأحمد الجندي، وياسين الخالد، وصبيح الحصني، وأديب صالح، وآخرون كثيرون[1].

وفي عام ١٩٥٤م أحدثت في جامعة دمشق كلية الشريعة[2]، فغُيِّر اسم الكلية الشرعية إلى الثانوية الشرعية.. ولم تعد بالمستوى الأول. ثم نقلت آنذاك إلى غرف تكيّة السلطان سليم لبضع سنوات، ثم لما صادرت الحكومة ملحقات جامع تنكز الذي تقيم فيه الجمعية الغرّاء نقلت إليها الثانوية الشرعية[3].

وعندما أحدثت وزارة الأوقاف الثانوية الشرعية للبنات أحلتها في جامع تنكز، ونقلت قسم الطلاب إلى معهد التوجيه الإسلامي بالميدان.

وبعد.

فمن كل ما سبق يمكن أن نصل إلى التصور الآتي عن الكلية الشرعية:

- الكلية من ثمرات وعي العلماء في مرحلة الثلث الأول من القرن العشرين، تقدم تصورهم عن العلم المطلوب. وقد نجحت في الأهداف التي رسمتها الجمعية.
- قدمت الكلية برنامجاً متكاملاً وهو البرنامج الذي اعتمد في مدارس الدولة إلا أنّه توسع بجانب علوم الشريعة.
- تعدّ الكلية نواة كلية الشريعة بجامعة دمشق فيما بعد، ولم ينزع عنها اسمها وتسمى ثانوية إلا مع تأسيس كلية الشريعة في الجامعة.

---

(١) ذكريات ٧/ ٩٠.

(٢) انظر مجريات الحديث عن كلية الشريعة في كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ط٢، ص١٠٥١.

(٣) هذا قبل أن تحدث وزارة الأوقاف.

- يشهد على مكانة هذه الكلية تخريجها لعدد وفير من أهل العلم الذين اشتهروا فيما بعد، وكانت لهم مكانتهم العلمية والاجتماعية والثقافية في البلد.
- سدّت الكلية ثغرة مهمة من حاجة البلد إلى مثلها في ذلك الوقت.
- تعدّ هذه الكلية ومعهد العلوم الشرعية للجمعية الغرّاء نموذجاً مثالياً للمعاهد الشرعية بدمشق.

# معهد التوجيه الإسلامي[1]

أسسه الشيخ حسن حبنكة[2] في جامع منجك[3] وكان بدأ فيه بحلقات، يقرأ عليه الطلاب متون العلوم الشرعية والعربية وشروحها، آخذاً بالمذهب الشافعي وأصوله. ومع الأيام اجتمع حوله طلاب كثيرون.

ولما كثر عنده المنقطعون للعلم الملازمون للحلقات سعى الشيخ لدى أهل الإحسان فبنيت على سطح المسجد غرف لإقامتهم، كان تزداد مع قدوم آخرين. وبذلك احتاجوا إلى رعاية ونفقة فشكّل الشيخ لجنة لجمع تبرعات من أجل الإنفاق عليهم.

وكان التدريس في قاعة واسعة بنيت على السطح. وإذ ذاك وبعد السعايات اكتمل بناء الغرف في أروقة جامع منجك على مدى عشرين عاماً، وكان لكل من رجلي الأعمال سلطان العجمي وعزت الدبس مساهماتهما الفعالة في بناء الرواق الشرقي من الجامع بالحجر والإسمنت المسلح، واتخذت منها صفوف نظامية ومهاجع للطلبة الداخليين الذين زادوا على قدرات استيعاب الغرف الصغرى. وهؤلاء طلاب غرباء ليس لهم أسر في دمشق تؤويهم.

وفي أثناء تكامل بناء المعهد في جامع منجك اتجهت تطلعات الشيخ إلى بناء مدرسة كبيرة تتوافر فيها صفات الأبنية المدرسية بمرافقها.. وقد يسر الله فاشترى أرضاً في شارع المجتهد غربي الميدان، بذل فيها أهل الخير أموالهم.. ولما لم تكن المنطقة منظمة بعد،

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتاب «الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني: قصة عالم مجاهد حكيم شجاع».

(٢) انظر ترجمته في كتاب «الوالد الداعية» وكتاب علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، وفيات ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. وإتمام الإعلام ط٢، ص١١٩.

(٣) جامع منجك في الميدان الوسطاني، رجح أكرم العلبي في كتاب خطط دمشق أنّ بانيه الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم من سيف الدين منجك الكبير في حدود سنة ٨١٠هـ (توفي بدمشق سنة ٨٤٤هـ) وقد جدد بناء المسجد في العصر العثماني (خطط دمشق ٣٥٦).

وتنظيمها يتطلب تجاوز العوائق والمشكلات فقد بذل الشيخ جهوداً مضنية لدى أمانة العاصمة حتى حصل بعد سنوات على الرخصة المطلوبة المتضمنة السماح ببناء المدرسة انتزاعاً من المخطط الذي لم يستكمل مراحل تنظيمه.

واستطاع الشيخ بعد جهود حثيثة تخصيص أرض لصيقة للمدرسة من جهتها الجنوبية لإقامة مسجد كبير مجاور للمدرسة، مكمل للأهداف الدينية المقصودة من بنائها.

وقد تبرع المهندسان الشقيقان محمد ورفيق الفرا بوضع المخططات والمصورات اللازمة للمدرسة. وكان للمحسنين من آل الدبس وللمحسن الحاج محمد ياسين أياد مبرورة في البناء.

بعدئذ انتقل الطلاب من أروقة جامع منجك إلى المدرسة الجديدة، وجعلت الغرف القديمة داراً للقرآن الكريم.

وحين تأهّلت الدفعة الأولى من الطلاب للتدريس جعلهم الشيخ أساتذة لحلقات جديدة، مع بقائهم في حلقاتهم القديمة الخاصة، يقرؤون عليه في العلوم المعمقة. وهكذا حتى استغرقت الحلقات طوال اليوم.

أما الصغار الذين انجذبوا للدراسة الليلية فقد قسموا حلقات بحسب مستوياتهم، وجعلوا بمثابة صفوف، وحددت لهم دروس ومواد عربية وشرعية تؤهلهم ليكونوا طلاب علم كالمتفرغين.. وقد تفرغ بعض هؤلاء فيما بعد، في حين انتفع آخرون بالعلوم الشرعية والعربية إلى جانب دراساتهم العصرية في المدارس، فكانوا متميزين بذلك من أقرانهم.

ولما كثر الطلاب رأى الشيخ حسن أن الحاجة ماسة لإنشاء جمعية تحمل مسؤولية الإشراف على مشروعه العلمي، والعمل على الإنفاق عليه، فاجتمع الرأي على دعوة كبار الوجهاء في الميدان (التحتاني والوسطاني والفوقاني) لتأسيس جمعية عمومية يوجهها مجلس إدارة، فلبى الدعوة نحو مئة رجل كانوا نواة ما سمي بجمعية التوجيه الإسلامي، رشح لها الشيخ مجلس إدارة برئاسته وافق عليه المجتمعون. وكانت البداية عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

ثم حصل الشيخ على رخصة للمعهد الذي حمل اسم الجمعية من وزارة المعارف ضمن الشروط التي طلبت منه.. وأسندت الإدارة إلى الشيخ صادق حبنكة وكان عضده الأيمن الشيخ حسين خطاب.

وبعد اكتمال المعهد أسس الشيخ فرعاً للإناث على غرار فرع الذكور، فاشترت الجمعية لهذا الغرض دار الحاج ديب البرغلي بزقاق البصل، وهي دار واسعة، تولى تأسيسها الشيخ عبد الرحمن حبنكة ابن الشيخ حسن. وأسندت إدارتها للشيخ صادق حبنكة.

كان المنتسبون إلى المعهد قسمين؛ الأول متفرغ للتعلم والتعليم وهؤلاء مقيمون فيه، يوفر لهم الطعام والملبس. والقسم الثاني غير متفرغ، يحضرون دروس الصباح، ودروس ما بعد المغرب وما بعد العشاء.

وقام على المعهد أساتذة قديرون،كانوا أولاً من طلاب الشيخ حسن ممن اعتنى بهم غاية الاعتناء، فنبهوا حتى كانوا المدرسين الأساسيين في المعهد، وكان غالبهم من حي الميدان، عرفوا فيما بعد بمكانتهم.

فمن الطبقة الأولى الشيخ صادق حبنكة (مدير المعهد) والشيخ حسين خطاب، والشيخ نعيم شقير، والشيخ عبد القادر بركة (شيخ بلدة القدم).

ومن الطبقة الثانية الشيخ مصطفى الخن، والشيخ محمد الفرا (وكان يشرف أيضاً على سكن الطلاب)، ومحمد خير العلبي، ومحمود المارديني، ونسيب المجذوب.

ومن الطبقة الثالثة الشيخ عبد الرحمن حبنكة (ابن المؤسس)، والشيخ محمد الحموي الكسواني، والشيخ كريم راجح، والشيخ مصطفى التركماني، ومحمد سهيل البري.

ومن الطبقة الرابعة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (كان من طلاب المعهد الأوائل)، والشيخ محمد الحمدان، والشيخ موسى لكود، والشيخ عبد الله الهرري الحبشي، والشيخ داود الهرري الحبشي.

وممن جاء بعدهم الشيخ علي الشربجي، ومحمد أبو عبدو دلعين، ومحمد بن كامل

الشربجي، وأحمد أومري، والشيخ مصطفى البغا[1].

هذا وبدأ المعهد بداية يسيرة مع قلة الطلاب، ثم جعل عددهم يزداد حتى أربوا على خمس مئة طالب من جنسيات مختلفة، كثيرون منه جاؤوا من تركيا خاصة.

وكان الشيخ المؤسس يولي الغرباء رعاية خاصة، ويعرف حقهم، ويشجعهم، إذ يعدّهم لمقاومة التغريب والعلمانية في بلادهم.

بقي معهد التوجيه الإسلامي يقوم بدوره في تخريج العلماء والدعاة حتى فوجئت البلاد بصدور مراسيم تأميم الشركات الصناعية مما أثار حفيظة أهل العلم، وعلى رأسهم الشيخ حسن حبنكة، فقاموا يخطبون يبينون خطر هذه الخطوة وموقف الإسلام منها، ويشرحون نظامه الاقتصادي العادل وكانت خطب الشيخ آنذاك من جامع منجك خطباً نارية ليس فيها مواربة، استاء منها وقتذاك مسؤولون.

ثم إنّ الشيخ حسن حبنكة قصد الحج عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م فلما عاد إلى دمشق هبّ حي الميدان لاستقباله استقبالاً شعبياً أزعج حكومة الرئيس نور الدين الأتاسي، ورأت فيه خطراً عليها.. فلما كان أوائل عام ١٩٦٧م ظهرت مقالة في مجلة جيش الشعب ذكرت أن «الله والدين والقيم يجب أن توضع في متحف التاريخ»[2] الأمر الذي أثار المواطنين، وهاج الغُيَر منهم من أهل الدين وقامت فتنة بدأت تستفحل مما دعا أهل العلم إلى الاجتماع للبحث في الأوضاع المتأزمة، فرأوا أن يعلنوا كلمة الحق ويناشدوا الدولة الأخذ على أيدي أصحاب الفتنة الذين أثاروا المواطنين..

ولكن العلماء من ثمَّ لم يسمحوا لأحد من المواطنين أن يتورط في أمر لا تحمد عقباه،

---

(١) قال الشيخ علي الطنطاوي: كان للشيخ حسن حبنكة دروس منتظمة تحولت إلى مدرسة وكان له تلاميذ عني بأوائلهم، وعكف معهم على الجدّ الذي ما بعده في العلم جد، فنبغ منهم جماعة منهم ولده الشيخ عبد الرحمن، والشيخ الدكتور مصطفى الخن والشيخ القارئ الجامع حسين خطاب، والدكتور سعيد رمضان البوطي من أنبغ من قرأ عليه. (ذكريات ٧/ ٦٨). وبعض تراجم المذكورين مدونة في تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري وعلماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

(٢) عدد أواخر نيسان ١٩٦٧.

وفوتوا على مدبري المكيدة تحقيق هدف استدراج الناس وعلى رأسهم الدعاة والخطباء إلى معركة مسلحة مع الدولة، تكون القوة الإسلامية فيها هي الخاسرة.

ثم تأزم الوضع السياسي العام حتى بلغ ذروته في أواخر شهر نيسان من عام ١٩٦٧م وإثر خطاب الشيخ حسن يوم الجمعة آنذاك استدعاه مبعوثون من وزير الداخلية لمقابلته، وعرف أنهم يسوقونه إلى السجن فوافق على المقابلة دون تمنّع، لئلا يثور الناس وتثور الفتنة، وأخذ إذ ذاك إلى السجن في قلعة دمشق.

وفي صباح اليوم التالي صدرت مراسيم الإلغاء بحق جمعية التوجيه الإسلامي ومصادرة ما يتعلق بها من معهدي الذكور والإناث، وحجز دار القرآن في جامع منجك، ومصادرة ممتلكات الجمعية، وإضافتها إلى وزارة الأوقاف كما صدر مرسوم حجز أموال الشيخ الخاصة.

ولما اعتقل الشيخ حاولت دمشق أن تضرب فألزمتها الدولة بفتح محلاتها.

ولم تلبث أن حدثت نكسة حزيران عام ١٩٦٧م فتأزم الوضع السياسي والعسكري والاجتماعي، فأفرج عن الشيخ وكثير ممن اعتقلوا معه في قضيته.

# معهد دار الحديث الأشرفية[1]

مدرسة دار الحديث قديمة تتابع عليها العلماء.. وخدموها بالغرض الذي أنشئت من أجله وهو تدريس الحديث الشريف[2].

وفي العصر الحديث كان لدار الحديث شأنها حينما تولى مشيختها محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني، وكانت لوقته مقصد معاصريه، لمكانته العلمية والاجتماعية.. وكانت دروسه فيها على مدار النهار تتابع فيه الحلقات.

فلما توفي عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م آلت مشيخة المدرسة إلى أمينه ووكيله في أعماله الشيخ يحيى زميتا المكتبي.. وكانت له حلقاته. ثم طلب رخصة لاعتماد الدار مدرسة رسمية، فصدر مرسوم تشريعي زمن حسني الزعيم في ٣/ ٥/ ١٩٤٩ بمنحه ما أراد.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على مطوية في التعريف بالمدرسة المسماة اليوم «ثانوية دار الحديث»، وعلى الوثائق المحفوظة فيها، ولقاء القائمين عليها، بما أمدوني من معلومات عن الأوليات. وعلى كتاب دار الحديث الأشرفية لمحمد مطيع الحافظ.

(٢) بنى دار الحديث الأشرفية الجوانية الملك الأشرف موسى عام ٦٣٠هـ في سوق العصرونية، وشرط في وقفيتها أن يتولاها، ويقرئ فيها كبار علماء الحديث في دمشق، وكان أول من تولاها المحدث ابن الصلاح (-٦٤٣هـ)، وتتابع عليها العلماء بشرط واقفها، وأشهرهم أبو شامة المقدسي (-٦٦٥هـ)، والإمام النووي (-٦٧٦)، وجمال الدين المزي (-٧٤٢هـ)، وتقي الدين السبكي (-٧٥٦هـ)، وكان فيها إحدى نعلي النبي ﷺ، والأخرى في المدرسة الدماغية شمالها، أخذهما تيمورلنك لما استولى على دمشق سنة (٨٠٣هـ). وفي أخرة من الزمن اعتدى المختلسون على الدار المجاورة لها، حتى آلت إلى رجل من الأروام، اتخذها مستودعاً للخمور، واستولى على جزء من المسجد، مما أزعج الشيخ يوسف الحسني فسعى لدى الأمير عبد القادر الجزائري، فأخرج الرومي منها، ثم أوقف الدار سنة ١٢٧٢هـ بموجب حجة شرعية على الشيخ يوسف المذكور وعقبه، وأمر بترميم المسجد والدار على نفقته. وافتتحها الأمير أول رجب سنة ١٢٧٤هـ بتدريس صحيح البخاري رواية بحضور الشيخ يوسف حتى ختمه في آخر أيام رمضان وحوله جماعة من العلماء والأعيان.. وأجاز الحاضرين. ثم آلت الدار والمدرسة إلى محدث الشام الشيخ بدر الدين ابن يوسف الحسني (-١٣٥٤هـ). (تحفة الزائر ٦٠٩، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري ٢/ ٦١١، وللتوسع انظر دار الحديث الأشرفية للدكتور محمد مطيع الحافظ).

الجمهورية السورية

محافظة مدينة دمشق الممتازة
دائرة الشؤون الإدارية

الرقم ١٤٢٠
التاريخ ٦٨٢/ ٣٧٢ و ٢٨٥/ ١٩٥٤ .

(العصرونية)

إلى جمعية دار الحديث النبوي الشريف المحترمة

بناء على أحكام المادة العاشرة من المرسوم التشريعي المؤرخ في ١٢/ ٩/ ٩٥٣ رقم ٤٧ (قانون الجمعيات والأحزاب) .
نحيطكم علماً بقبول طلبكم المتضمن السماح بتأليف جمعية دار الحديث النبوي الشريف) لذلك يرجى العمل على نشر ذلك في الجريدة الرسمية عملاً بأحكام المادة الحادية عشرة من القانون ومواقاتنا بنسخة عن الجريدة المتضمنة هذا الإعلان .

محافظ مدينة دمشق الممتازة

أما ثانوية دار الحديث التي استقلت في هذه المدرسة التاريخية، فقد دعا إلى تأسيسها الشيخ محمود بعيون الرنكوسي[1] فاجتمع إليه لفيف من تجار دمشق ووجهائها منهم الحاج سليم أبو داود، والحاج صادق الزين، والحاج احمد أرنبه فأعانوه، ورمموا مسجد المدرسة والساحة السماوية، وبنوا البركة بالرخام وأدخلوا إليها مياه عين الفيجة، وقامت جهودهم عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م على إنشاء «جمعية دار الحديث النبوي الشريف» بهدف تدريس العلوم جميعاً، وخصوصاً الشرعية والعربية. إضافة إلى مساعدة الطلاب الفقراء والأيتام بتأمين إعاشتهم وإكسائهم وإيوائهم ومداواتهم، ومدهم بكل ما يحتاجون إليه.

بدأت المدرسة بعد تأسيس الجمعية بطلاب قلائل، وكانوا من كبار السنّ أخذوا يتعلمون العلوم الشرعية. حتى تأسست فيها صفوف نظامية، اعتمدت منهاج وزارة المعارف تماماً مع العناية بالعلوم الشرعية واللغة العربية[2].

وتكفلت الجمعية منذ قيامها بإطعام الطلاب وإقامتهم وخدمتهم[3]. ولما ضاقت المدرسة في الطابق العلوي عن سكناهم اشترت دارين شعبيتين في منطقة السيدة رقية محلّة (ما بين السورين) ضُمتا بعضهما إلى بعض ورُممتا، لتكونا سكناً للطلاب، وجهزتا بوسائل الراحة والأمان.

ثم إن إدارة المدرسة افتتحت فرعاً للإناث في المنطقة المذكورة، يضم ثلاثة صفوف للمرحلة الإعدادية. ولا تتولى المدرسة إقامتهن.

والمدرسة اليوم تحمل اسم «ثانوية دار الحديث» وهي بالأصل لطلاب المرحلة الإعدادية ثم أحدثت المرحلة الثانوية فيما بعد. والانتساب إليها بموجب امتحان للطلاب الذين تخرجوا

---

(١) محمود بعيون الرنكوسي ولد في رنكوس عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م، ونسبته إليها. رحل إلى دمشق في الثانية عشرة من عمره، فنزل دار الحديث، ولزم محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني على صغر سنه، وقرأ على علماء الشام ممن كانوا يترددون على المدرسة، وحضر دروس الشيخ أبي الخير الميداني في جامع التوبة والمدرسة الآجرية. ولما فرغت مشيخة دار الحديث بوفاة الشيخ يحيى زميتا المكتبي عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م تولاها الشيخ محمود الرنكوسي حتى وفاته عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ١٠٦) وكان يساعده من الناحية الإدارية والمالية والعمرانية السيد مصطفى الصواف، ونشط في ذلك، فزاد عدد الطلاب إذ ذاك، كما زادت الموارد المالية.

(٢) وما زالت الثانوية إلى اليوم محدودة العدد بسبب ضيق البناء.. ومع ذلك فالقائمون عليها يعنون بها من أجل الاستمرار.

(٣) كان الشيخ محمود الرنكوسي يتولى خدمتهم، وربما كان يغسل لهم ثيابهم ويطبخ لهم، حسبة لله، ليتفرغوا لطلب العلم.

في المرحلة الابتدائية تنتقي منهم المدرسة المتفوقين مع مراعاة الفقراء والأيتام[1].

**معروض الجمعية للحصول على الترخيص اللازم:**

في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الاثنين الواقع في ٨ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ الموافق ١٤ كانون الأول عام ١٩٥٣م، اجتمع السادة الواردة أسماؤهم أدناه وقرروا تأسيس جمعية خيرية تعليمية لا علاقة لها بالسياسة مطلقاً، يكون مركز إدارتها وأعمالها بدمشق سوق العصرونية في مدرسة دار الحديث النبوي الشريف، باسم: جمعية دار الحديث.

| المؤسسون السادة: | الجنسية | المهنة | محل الإقامة |
|---|---|---|---|
| حسن الطرابيشي | سوري | تاجر | دمشق ـ مهاجرين ناظم باشا |
| أمين هاشم | سوري | تاجر | دمشق ـ شهداء ـ مزرعة |
| محمود الرنكوسي | سوري | موظف بالكلية الشرعية | دمشق –عقيبة– ذهبية |
| توفيق عربي كاتبي | سوري | تاجر | دمشق ـ جادة العفيف ـ سنبل |
| محمود الشامة | سوري | تاجر | دمشق ـ باب البريد |
| بكري الطرابيشي | سوري | تاجر | دمشق ـ مهاجرين مرابط |
| محمد عرفة | سوري | تاجر | دمشق ـ قنوات وراء الإطفائية |
| محمد ذو الغنى | سوري | تاجر | دمشق ـ عصرونية سوق مردم بك القديم |
| سعيد بركات | سوري | تاجر | دمشق ـ السبكي |
| أحمد تقي الدين | سوري | تاجر | دمشق ـ مهاجرين ـ حواكير |
| سامي العوا | سوري | تاجر | دمشق ـ عمارة ـ حارة الشطي |
| سهيل الخياط | سوري | تاجر | دمشق ـ مهاجرين مرابط |
| مسلم قطرميز | سوري | تاجر | دمشق ـ قنوات وراء الإطفائية |
| مصطفى الصواف | سوري | موظف في مديرية البرق والهاتف | دمشق ـ عقيبة تحت المأذنة |

(١) بلغ عدد الطلاب في المدرسة عام ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م (١٥٨)طالباً.. هذا مع إقبال المواطنين على تسجيل أولادهم في المدارس الشرعية، رغبة في حرصهم على تربيتهم الأخلاقية، وخصوصاً في المرحلة الإعدادية.

ووضعوا نظام الجمعية بإجماع الآراء كما انتخبوا من أنفسهم أعضاء الهيئة الإدارية على الشكل التالي:

السادة:

أمين هاشم: رئيساً

توفيق عربي كاتبي: نائباً للرئيس

مصطفى الصواف: أميناً للسر

بكري طرابيشي: محاسباً

محمد عرفة: خازناً

محمود الشامة: مراقباً

مسلم قطرميز: عضواً

وعلى ذلك صار تقديم هذا البيان مع نظام الجمعية للتفضل بإعطائنا إيصالاً بذلك حسب ما جاء بالقانون.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

وأشرف على صحة الطلاب عدد من الأطباء، منهم الدكتور أبو الخير الخطيب والدكتور إسماعيل عزة والدكتور زكي الذهبي والدكتور رفعت حمامي والدكتور ياسين محيش.

ثم ضمت الجمعية إليها المدرسة العادلية الصغرى القريبة من دار الحديث لتكون سكناً للطلاب وطعامهم.

وقد اتفق أعضاء الجمعية على أن يقوم الشيخ محمود الرنكوسي بالإشراف على تنفيذ غايات الجمعية، ولذلك دعا الطلبة الراغبين بالدراسة إلى التسجيل. وإذ ذاك بدأت الدراسة بنحو خمسة عشر طالباً تكفلت الجمعية بتوفير حاجاتهم من كتب وقرطاسية وملابس وطعام وعلاج طبي وسكن.

جدد ترخيص المدرسة بمرسوم جمهوري رقم ٦٦ تاريخ ٢٠/٨/١٩٥٤م. فكانت

على شكلها النظامي المعتمد من الدولة. وقد نص الترخيص على أن تكون مدرسة شرعية داخلية تعادل شهادتها الشهادة الإعدادية العامة.

هذا وقد كانت المراحل السابقة بتوجيه الشيخ أبي الخير الميداني رئيس رابطة العلماء، والشيخ يحيى زميتا المكتبي مدير دار الحديث والسيد فخر الدين الحسني.

أقرأ بها كبار الشيوخ والأساتذة منهم محمود الرنكوسي وعز الدين عرقسوسي ورفيق السباعي وحسن زكريا وعبد الصمد إسماعيل وفائق شيخ الأرض وصبحي خيزران، وعارف الشوا وعبد الرحمن حبنكة وحمدي العبجي وأنور سلطان ومحمد جهاد البرهاني ومحمد هشام البرهاني ومحمد خير الشماع وناظم السبيعي وياسين الخطيب وبهاء الدين الطرابلسي وصادق زيتونة وعلي رستم وسعود عطية وأكرم الباشا وأكرم مخللاتي ونور الدين جابر وعبد الرحمن بركات وبدر الدين عابدين وحازم أبو غزالة وفائق فتال وصلاح قضماني.

كان أعضاء الجمعية يشرفون على جمع الأموال من أهل الخير بكل جهد ممكن تحت رئاسة الحاج أمين هاشم الكتبي الذي كان يقول: إذا اضطررنا نصوم نحن وأولادنا وننفق على هؤلاء الطلاب، وكان الحاج سليم أبو داود قد خصص معظم أوقاته للسَّعي الحثيث، وترغيب الناس بالمؤازرة بالمال والطعام وكل ما يلزم الطلبة، وساعده بذلك عدد من التجار الكرام كالحاج صادق الزين والحاج أحمد أرنبة وإخوانه وغيرهم.

وكان الشيخ أبو الخير الميداني رحمه الله تعالى قد خصَّص درساً توجيهيّاً للإرشاد والتوجيه للطلبة وغيرهم مرتين في الأسبوع، مؤازرة للمدرسة ودعماً لها وتشجيعاً للأساتذة والطلبة.

وبعد هذه المرحلة أخذت المدرسة تتوسَّع ويكثر عدد طلابها، فقام المشرفون سنة ١٩٦١م ببناء جناح جديد في الجهة الغربية من المدرسة، وأصبح للجمعية والمدرسة موظَّفون ومحاسب وخازن.

وكان الأستاذ مصطفى الصواف خلال تلك الفترة منذ تأسيس المدرسة يرافق الشيخ محمود ويساعده في كل ما يلزم المدرسة والجمعية، وبقي مثابراً على متابعة العمل. وبعد وفاة الشيخ محمود تولى مشيخة دار الحديث وإدارتها والتدريس فيها.

يشرف حالياً على المدرسة الأساتذة:

الشيخ حسين صعبية: المدير الشرعي مع تدريس الفقه الحنفي واللغة العربية.

أحمد عباس: المدير المنتدب من مديرية التربية مع تدريس اللغة العربية.

إبراهيم دعدوش: مدرس التفسير والحديث.

أديب الموصللي: مدرس القرآن والعقيدة.

أسامة مسوتي: مدرس الرياضيات.

بهاء الدين بعيون: مدرس التفسير والحديث.

رئيف الحاج: مدرس اللغة الإنكليزية.

سليمان الأظن: أمين المكتبة.

صفوح الموصللي: مدرس الفيزياء والكيمياء.

محمد مهجة: مدرس اللغة العربية.

محمود المكتبي: مدرس الاجتماعيات.

وائل عرموش: مدرس الرياضيات.

أما أعضاء الجمعية المشرفون على الإعدادية من حيث النفقات والإشراف العام فهم:

يحيى الملقي: رئيس الجمعية.

تيسير الفرا: المحاسب.

مصطفى الصواف: أمير السِّر.

عبد الغني تللو: الخازن.

## النظام الأساسي
## لجمعية دار الحديث النبوي الشريف بدمشق
## (الفصل الأول)

الجمعية وأهدافها

البند الأول ـ اسم الجمعية: تؤلف في دمشق في سوق العصرونية مدرسة دار الحديث جمعية خيرية تعليمية باسم جمعية دار الحديث النبوي الشريف.

البند الثاني ـ غاية الجمعية: غاية الجمعية تعليم العلوم الشرعية الإسلامية واللغة العربية وكافة العلوم ومد يد المساعدة والعون إلى الطلاب الفقراء وذلك بتأمين إعاشتهم وتعهد أحوالهم والتوصل لمداواة مرضاهم وإكسائهم. ويكون من أهم أسسها عدم التدخل بالسياسة مطلقاً.

البند الثالث: تتألف موارد هذه الجمعية مما يلي:

١) اشتراكات الأعضاء على ألا يقل الاشتراك عن ليرة سورية شهرياً.

٢) رسوم الانتساب للأعضاء العاملين على ألا يقل عن خمس ليرات سورية.

٣) كل مورد آخر مشروع قانوناً توافق عليه وزارة الداخلية.

## (الفصل الثاني)
## الأعضاء

البند الرابع ـ أنواع الأعضاء: يكون الأعضاء في هذه الجمعية على ثلاثة أنواع:

أ) أعضاء مؤسسون وهم السادة: حسن الطرابيشي، أمين هاشم، محمود الرنكوسي، توفيق عربي كاتبي، محمود الشامة، بكري الطرابيشي، محمد عرفة، محمد ذو الغنى، سعيد بركات، أحمد تقي الدين، سامي العوا، سهيل الخياط، مصطفى الصواف، مسلم قطرميز.

ب) أعضاء عاملون ـ وهم كل من يقدم طلباً خطياً ويقبل لدى الهيئة الإدارية للجمعية بالشروط المحددة أدناه.

جـ) أعضاء مؤازرون ـ يعتبر عضواً مؤازراً كل من آزر الجمعية في أعمالها ولغاياتها بالمال أو الخدمات.

البند الخامس ـ شروط قبول الأعضاء العاملين: يشترك في قبول العضو العامل:

١) أن يكون سورياً.

٢) أن يكون حسن السيرة والأخلاق معروفاً بذلك.

٣) ألا يقل سنه عن ثمانية عشر.

٤) ألا يمنعه القانون من الانتساب إلى هذه الجمعية.

٥) أن يرفق طلبه بإيصال يشعر تسديده رسم الانتساب.

البند السادس ـ فصل الأعضاء: إذا أتى أحد الأعضاء بعمل مخل بالأنظمة والقوانين أو مخل بالأمانة والشرف تجتمع الهيئة الإدارية باجتماع دوري أو استثنائي حسب الظروف، وتبحث أمر هذا العضو بناء على وثيقة اتهام خطية مقدمة من عضوين عاملين على الأقل. ولهما وحدهما الحق في البت في أمر الفصل أو عدمه بأغلبية ثلثي أعضائها الأصليين.

## ( الفصل الرابع )

# أحكام مختلفة

البند العاشر ـ في حالة انحلال الجمعية ( لا سمح الله ) فإن أموالها المنقولة وغير المنقولة تعتبر موقوفة أمانة على أن يصرف مالها في سبيل غاية الجمعية ، ويتولى هذا العمل من كان رئيساً للجنة الإدارية وقت انحلالها ، ثم من كان نائباً للرئيس ، ثم من كان أميناً للسّر ، ثم الأكبر فالأكبر سناً ممن كان عضواً في الهيئة العامة ، ثم من يختاره قاضي الشرع . فإذا سمحت الظروف لإعادة الجمعية بعد انحلالها فيعود المال المذكور ملكاً للجمعية .

صورة تواقيع مؤسّسي جمعية دار الحديث

# معهد جمعية الفتح الإسلامي[1]

أسسه الشيخ محمد صالح فرفور[2] بعد أن حصل على رخصة الجمعية الخيرية المشرفة عليه عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م وسمي باسمها.

والجدير بالذكر أن الغرض الأول للجمعية المذكورة كان غرضاً تعليمياً إلا أن نظامها الأساسي حمل الأهداف الآتية:

- تعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية ونشر الثقافة والحضارة العربية الإسلامية. وحفظ التراث العربي الإسلامي العلمي والفكري والروحي.
- تأسيس دورة الحضانة والمياتم ودور العجزة والمعاهد الشرعية. والمدارس على اختلاف مراحلها والمعاهد العليا والكليات والجامعات باختلاف تخصصاتها للطلاب السوريين وغيرهم بعد موافقة الجهات المختصة أصولاً.
- تعليم البدو وأهل الريف وتثقيفهم وتأهيلهم.
- تأسيس المستوصفات الخيرية والمشافي والمراكز الطبية في مدينة دمشق وريفها بحيث تشمل منطقة الجمعية وفروعها ومداواة مختلف الشرائح الاجتماعية مجاناً أو بأجر يحدده مجلس إدارة الجمعية وبخاصة الطلاب الذين ترعاهم الجمعية وتقدم لهم مختلف المساعدات المجانية وغيرها من أعمال البر.
- وعظ المساجين.
- بناء المساجد وترميمها.
- إصدار مجلات وصحف غير دورية.

(١) اعتمدت في هذا البحث على معايشتي للمعهد وتدريسي فيه، واتصالي بشيوخه الأوائل، واعتماد الوثائق المحفوظة.

(٢) أحد المراجع العلمية وخصوصاً في الفقه الحنفي والأصول. انظر ترجمته في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري، وفيات سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م وكتاب العلامة المربي الكبير الشيخ محمد صالح الفرفور وإتمام الأعلام.

مركز ادارتها : حلب ـ شارع السند ( بارون ) .
رقم ايصال التأسيس : ٢٦٥٢/١/ش في ١٩/٣/١٩٥٦
في ١٤/٤/١٩٥٦
(٣٧٢)

اعلان

بموجب المادة ( ١١ ) من قانون الجمعيات والاحزاب الصادر بالمرسوم التشريعي رقم (٤٧) وتاريخ ١٢/٩/١٩٥٣ ترخص الجمعية الوارد اسمها واهدافها ادناه :
اسم الجمعية : المنتدى العربي .
اهدافها : جمع شمل الشباب حول فكرة القومية العربية بتنمية الوعي القومي في أذهانهم وبث روح التعاون المثمر فيما بينهم وخلق حب النظام في نفوسهم وتدريبهم على العمل الجماعي المشترك بغية الوصول الى الوحدة العربية المنشودة .
مركز ادارتها : حلب ـ شارع اسكندرون
رقم ايصال التأسيس : ٣٢٣٥/١/ش في ١١/٤/١٩٥٦
١٥/٤/١٩٥٦
(٣٧٣)

اعلان

بموجب المادة ( ١١ ) من المرسوم التشريعي رقم (٤٧) وتاريخ ١٢/٩/١٩٥٣ المتضمن قانون الجمعيات والاحزاب ، ترخص الجمعية الوارد اسمها واهدافها ادناه .
اسم الجمعية : الجمعية الخيرية لمستخدمي مطارف حلب .
اهدافها : مد يد المساعدة الى المنكوبين من افرادها والمحتاجين من ايتامهم وارامله .
مركز ادارتها : مدرسة ميسلون ـ حلب .
رقم ايصال التأسيس : ٣٠٦٩/١/ش في ٤/٤/١٩٥٦
في ١٢/٤/١٩٥٦
(٣٧٤)

اعلان

بناء على احكام المادة ١١ من المرسوم التشريعي رقم ٤٧ تاريخ ١٢/٩/١٩٥٣ المتضمن قانون الجمعيات والاحزاب ترخص الجمعية المبين اسمها وغايتها واهدافها ادناه .
اسم الجمعية : الفتح الاسلامي
اهدافها : نشر العلم والثقافة الاسلامية .
مركز ادارتها واعمالها : جامع فتحي ـ قيمرية ـ دمشق
تاريخ الوصل النهائي : ٢٤/٤/١٩٥٦
(٣٨٠)

اعلان

بناء على احكام المادة ١١ من المرسوم التشريعي رقم ٤٧ تاريخ ١٢/٩/١٩٥٣ المتضمن قانون الجمعيات والاحزاب ، ترخص الجمعية المبين اسمها وغايتها واهدافها ادناه :
اسم الجمعية : القديس اليان للسيدات .
اهدافها : مساعدة الفقراء والمعوزين وعمل الاحسان والخير .
مركز ادارتها واعمالها : دمشق ـ قصاع .
تاريخ الوصل النهائي : ٢٤/٤/١٩٥٦
(٣٨١)

صدر نظام الجمعية في ٥٣ مادة قانونية، حُدد فيه شروط العضوية، وصفة الهيئة العامة، ومجلس الإدارة، ومالية الجمعية وفروعها.. وختم بأعمال الجمعية.

وقد نصت أهداف الجمعية على اجتناب التدخل في الشؤون السياسية، وحصرت أعمالها في المجالات الخيرية المحض.

**الهيئة التأسيسية**

تألفت من كل من:

فضيلة الشيخ محمد صالح فرفور: رئيساً — السيد حسن البحري: نائباً للرئيس

السيد محمود الحمصي: أميناً للسر — السيد رياض الحمصي: أميناً للصندوق

الشيخ رمزي البزم: محاسباً

وعضوية كل من:

الشيخ عبد الرزاق الحلبي — السيد عارف الصباغ

السيد محيي الدين القزاز — السيد علاء الدين البحري

السيد مظهر الصباغ — السيد هشام الدهان

السيد نذير الفهاد — السيد زهير زين العابدين

السيد رمزي القباني — السيد ياسين الصفدي

السيد رمزي العرجا — السيد صلاح الحموي

السيد بشير الحبال

كانت نواة المعهد حلقات يعقدها الشيخ المؤسس منذ أربعينات القرن العشرين في الجامع الأموي ومساجد القيمرية؛ فتحي[1] والباذرائية[2] وكذلك في كلٍّ من مساجد

---

(١) مسجد فتحي أو المدرسة الفتحية بناها فتحي الدفتردار في محلة القيمرية سنة ١١٥٦هـ، وهي مدرسة حسنة تضم أكثر من عشرين حجرة، ومسجداً لطيفاً، ومطبخاً لطعام المجاورين وأوقف عليها أوقافاً اختلست. ثم جددت سنة ١٤٠٨هـ (منادمة الأطلال ١٨٧، خطط دمشق ٢٧٢) ولمعرفة فتحي القلانسي انظر علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة في وفيات ١١٥٩هـ.

(٢) المدرسة الباذرائية بمحلة العمارة الجوانية، بها غرف تحتية وفوقية. كانت لرجل يدعى أسامة الجبلي، ثم آلت إلى =

السيدة رابعة[1] والنطة[2] والقطاط[3]، استقطب فيها شباباً نابهين، أخذوا يقرؤون عليه كتب العلوم الشرعية والعربية والأدب.

فلما حصل على رخصة الجمعية وأراد النهوض بها فرّغ أربعة من طلابه عن أشغالهم وكسبهم، وهم الشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ أديب الكلاس، والشيخ عبد القادر أرناؤوط، والشيخ شعيب الأرناؤوط[4] فانصرفوا إلى الدراسة والتدريس والقيام بشؤون الجمعية بإشرافه.

انحصرت دروس الشيخ المؤسس بعد الحصول على ترخيص بإحداث الجمعية في الجامع الأموي وجامع فتحي المذكور، وبالأسلوب المعروف في الحلقات. وكانت الإدارة في إحدى غرفه.. وعندئذ بدأت الدراسة المنظمة بعشرين طالباً.

ثم اشترت الجمعية داراً دمشقيةً في محلة القيمرية في ممر باب السلام زقاق الشطي، وإذ ذاك انقلبت الدراسة من حلقات مسجدية إلى معهد ذي صفوف كبقية المدارس الحديثة. وكانت ابتداءً خمسة صفوف يمنح الطالب بعد اجتياز امتحاناتها إجازة موثقة.

ثم ارتفع عدد السنوات الدراسية إلى سبع، وعاد ليستقر إلى ست سنوات، لها منهاجها المدروس الذي أثمر وآتى أكله.

ضم المعهد منذ نشأته في الدار المذكورة طلاباً من لبنان والأردن وبلاد المغرب العربي، وتركيا والحبشة وبلاد إفريقية ومناطق الأكراد وبلاد الاتحاد السوفييتي السابق

---

= العلامة نجم الدين الباذرائي (-٦٥٥هـ) فجعلها مدرسة كبيرة مهندسة، وأوقفها لطلاب العلم المقيمين فيها. ثم آلت في القرن الرابع عشر الهجري إلى بني الشطي الحنابلة (منادمة الأطلال ٨٧).

(١) يعود بناؤه للقرن ١٩/ ٢٠ رمم سنة ١٩٥٢م وعرف في الحي بجامع ستي رابعة. وهي كما ذكر زوجة أحمد بن أبي الحواري، توفيت بدمشق، ودفنت في هذا المسجد (من حارتي القيمرية ٦٢).

(٢) أحد المساجد التي اندثرت في المنطقة.

(٣) القطاط أو القطط تسمية أطلقها العامة على المدرسة القيمرية لوجود كثير من هذه الحيوانات التي تتردد عليها في زمن ما. وهذه المدرسة بناها للشافعية سنة ٦٥٠هـ الأمير ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز الكردي القيمري (-٦٥٥هـ) وهو منسوب إلى قيمر قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط، فسمي الحي باسم المدرسة التي تضم مسجداً وأكثر من عشر غرف (منادمة الأطلال ١٤٠، خطط دمشق ١٥٦).

(٤) تراجم طلاب الشيخ في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري.

وماليزيا وأندونيسيا إلى جانب طلاب سوريين من المحافظات المختلفة.. وكان هؤلاء يتعلمون بالمجان، فضلاً عن حصول الغرباء منهم على المأوى في غرف المساجد التي حصل عليها الشيخ المؤسس من الأوقاف..

وفوق هذا كان المعهد يقدم لهؤلاء الأغراب إعانة شهرية تقوم باحتياجاتهم اليومية (مصروف جيب).

وفي سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م أحدثت الجمعية فرعاً من المعهد للإناث، اشترت من أجله كذلك داراً واسعة في محلة القيمرية[١]. وكان منهاجهن الدراسي مثل منهاج الذكور.

فلما بني جامع بلال الحبشي رضي الله عنه[٢] وجامع أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه[٣]، انتقل إلى الأول فرع الذكور، وإلى الثاني فرع الإناث[٤].. وكلاهما نزل في ملحقات كل من المسجدين.

ومع توسع المعهد وإقبال الطلاب والطالبات عليه بنيت في فنائهما قاعات ملحقة.

وتحولت الداران في القيمرية لفرعي الذكور والإناث سكناً للطلاب الأغراب، فضلاً عن حصول الجمعية على ملحقات بعض المساجد للمبيت أيضاً. ووضع للسكن نظام خاص به وعين عليه مشرفون لضبطه وتنظيمه.

أما البنات فلم يكن منهن غريبات عن دمشق، ولكن الجمعية خصصت لهن عدداً من الحافلات لنقلهن جيئة وذهاباً.

تخرجت الدفعة الأولى في المعهد العام الدراسي ١٩٥٩/ ١٩٦٠م وكان عدد طلابها (١٣) طالباً، ما زال عددهم ينمو مع السنوات باطراد حتى ازدادوا على نحو ملحوظ، إذ بلغ عدد المتخرجين بنهاية القرن العشرين نحو (١٠٠) طالب وطالبة كل عام.

---

(١) اشترت الحكومة الدار فيما بعد من الجمعية.

(٢) جامع بلال الحبشي رضي الله عنه جنوب باب كيسان في أول طريق مطار دمشق الدولي، بني عام ١٣٩٧هـ وهو مسجد واسع بدون صحن. (خطط دمشق ٣٦٧)

(٣) جامع أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في منطقة الزاهرة، بني عام ١٤٠٧هـ (خطط دمشق ٣٦٩).

(٤) انتقلت الطالبات أولاً إلى قبو جامع المصطفى في المنطقة الصناعية وبقين فيه مدة قبل أن ينتقلن إلى قبو جامع أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وثيقة

انهاء الدراسة الشرعية والعربية

في جمعية الفتح الإسلامي بدمشق

إن السيد إبراهيم بن راسم إشجان المولود في تركيا عام ١٩٣٩ م

قد أنهى دراسته الشرعية والعربية في جمعية الفتح الإسلامي بدمشق ونجح عام ١٩٥٩ — ١٩٦٠ م

بدرجة جيد

ولذلك حررت له هذه الوثيقة من إدارة الجمعية بناءً على طلبه فنسأل الله له التوفيق والنجاح.

تحرر في ١١ جمادى الثانية ١٣٨٠ هـ

الموافق ٣٠/١١/١٩٦٠ م

رئيس جمعية الفتح الإسلامي بدمشق

الرقم (بدل عن مفقود)

وكان الشيخ المؤسس يأخذ على الخريجين عهداً يقسمون فيه على القيام بالدعوة والعمل بالعلم.

ثم سعى الشيخ المؤسس لدى جامعة الأزهر الشريف من خلال صلاته الخاصة بعلمائه لتسجيل خريجي المعهد فيها لمتابعة دراستهم.. وحصل على اتفاق تم بموجبه معادلة شهادة المعهد بنظيرتها التي يمنحها الأزهر لطلابه. في الكليات الثلاث: الشريعة والقانون، اللغة العربية، أصول الدين.

ولقد سدّ خريجو المعهد ثغرة مهمة في إمداد المساجد السورية عموماً والدمشقية خصوصاً بما تحتاج إليه من أئمة وخطباء أكفياء.

اعتمد المعهد الكتب الآتية المذكورة بجانب مواد الدراسة، متدرجة من الأدنى إلى الأعلى بحسب مستويات الصفوف.

- القرآن الكريم حفظ نصف القرآن الكريم خمسة عشر جزءً.
- وفي الفقه الحنفي «نور الإيضاح» للشرنبلاني وشرحه مراقي الفلاح وحاشية الطحطاوي عليه، و«الاختيار لتعليل المختار» للموصلي، و«الهداية»للمرغيناني، و«مجمع الأنهر» له، و«حاشية ابن عابدين».
- وفي علوم القرآن «الإتقان للسيوطي».
- وفي التوحيد «شرح الباجوري».
- وفي التصوف «الرسالة القشيرية»، و«إحياء علوم الدين للغزالي»، و«اليواقيت والجواهر للشعراني».
- وفي التفسير «تفسير النسفي» و«تفسير الخازن».
- وفي التجويد «هداية الرحمن» للشيخ عبد الوهاب دبس وزيت.
- وفي الحديث «الأربعين النووية» و«رياض الصالحين»، و«صحيح مسلم»، «ومقدمة ابن الصلاح»، و«تدريب الراوي»، و«شرح نخبة الفكر»، و«سبل السلام شرح بلوغ

المرام في أحاديث الأحكام».

- وفي المنطق «الشمسية»، وشرح «السّلّم المنورق» للدمنهوري، و«المنطق الجديد والقديم» للرازي.
- وفي النحو «الدروس النحوية ١-٤» لحفني ناصف ورفاقه، و«شرح ألفية ابن مالك» لابن عقيل، و«شرح قطر الندى»، و«أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك»، و«شرح شذور الذهب»، و«مغني اللبيب» والأربعة لابن هشام.
- وفي البلاغة «البلاغة الواضحة» لعلي الجارم ومصطفى أمين، «وجواهر البلاغة» للهاشمي، و«دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة» وكلاهما للجرجاني.
- وفي الأدب «الكامل» للمبرد، و«البيان والتبيين» للجاحظ، و«الأمالي» لأبي علي القالي، و«الصناعتين» لأبي هلال العسكري.

كان للمعهد اهتمام مركّز بالفقه الحنفي وأصوله، إلى جانب عنايته الخاصة بالأدب واللغة، وأخذ التصوف فيه حيّزاً مميّزاً.

وفي بدايات القرن الخامس عشر الهجري فرض المعهد على طلاب وطالبات السنة الأخيرة تقديم رسالة علمية في أحد الموضوعات التي تختارها الإدارة في العلوم الشرعية والعربية، تعين لكل طالب مشرفاً من المدرسين، ثم تناقش صاحب الرسالة لجنة في آخر السنة ضمن المقابلة التي يتقدم إليها الطلاب المرشحون للتخرج[1].

ولدى المعهد اليوم عدد من الرسائل الجادّة التي أفادت البحث العلمي.. نُشر بعضها في كتب.

أدار المعهد أولاً مؤسسه الشيخ صالح، ثم أسندت الإدارة إلى الشيخ عبد الرزاق الحلبي، فعبد الرحمن فرفور ابن الشيخ مدة يسيرة، ثم آلت بعده إلى الشيخ عبد الفتاح

(١) ويمثل الطلاب الخريجون أمام لجنة من أساتذة المعهد، تسأله أسئلة عامة في العلوم الشرعية والعربية لترى مستوى تحصيله العلمي إن كان يستحق منحه الإجازة أم لا.

البزم منذ العام الدراسي ١٤٠٣/ ١٤٠٤هـ=١٩٨٣/ ١٩٨٤م بتكليف الشيخ المؤسس ثمّ بقرار وزير الأوقاف آنذاك. وهو مديره حتى اليوم (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م)[1].

أما قسم الإناث فكان مؤسسه الشيخ محمد صالح هو الذي يديره ويعاونه في الإدارة ابنتاه الأستاذة فاطمة فرفور- مدةً يسيرةً- والأستاذة لطيفة فرفور التي استمرت في خدمة المعهد معاونة للمدير إضافة إلى التدريس والتوجيه والإرشاد.

ومدير قسم الذكور هو المشرف على إدارة قسم الإناث، بالتعاون مع الأستاذة لطيفة فرفور ثمّ مديرته الأستاذة ثناء المهايني التي كلفت من قبل وزارة الأوقاف واستمرت زمناً غير طويل. ثم تفرد بالإدارة مدير الذكور وصدر تكليف وزاري للأستاذة لطيفة فرفور لتكون نائبة المدير لقسم الإناث.تأكيداً لدورها وعملها المستمرّ منذ التأسيس في حياة الشيخ المؤسس.

تولى التدريس في المعهد ابتداء طلاب المؤسس الأوائل الكبار، ثم تتابع على التدريس فيما بعد الخريجون الذين شهد لهم أساتذتهم ومشايخهم بالكفاية العلمية. وأبرز المدرسين من الطبقة الأولى في المعهد: الشيخ عبد الرزاق الحلبي، الشيخ رمزي البزم، الشيخ إبراهيم اليعقوبي، الشيخ أديب الكلاس، الشيخ أحمد رمضان، الشيخ نور الدين خزنة كاتبي، الشيخ صبحي البغجاتي، الشيخ أحمد القتابي، الشيخ سهيل الزيبي، الشيخ أحمد خورشيد وغيرهم.

ثم جاء من طبقة الشباب بعدهم، منهم: الشيخ موفق نشوقاتي، الشيخ عبد اللطيف فرفور، الشيخ عبد الفتاح البزم، الشيخ حسام الدين فرفور، الشيخ ولي الدين فرفور، عبد الرحمن فرفور، عبد الله فرفور، محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة، الشيخ أحمد الأحمد، الشيخ علاء الدين عطية، الدكتور حسان الطيان، الشيخ شهاب الدين فرفور، الشيخ

(١) توفر الشيخ عبد الفتاح البزم على الإدارة منذ ذلك التاريخ مع بقاء إشراف الشيخ عبد الرزاق الحلبي لمكانته، كما اشترط الشيخ المؤسس عليه عندما كلفه.. وكانت للشيخ عبد الرزاق جهوده المعروفة في المعهد، ومتابعاته المثمرة في نظامه. ثم صدر تكليف وزاري بإدارة الشيخ عبد الفتاح البزم.

صبحي النمر، الشيخ سليمان الزبيبي، الشيخ عبد الله رابح الجزائري، الشيخ حسان الهندي وغيرهم.

وكان من المدرسات الأستاذات لطفية فرفور، وفائزة المسوتي، وربيعة الدغلي، ومريم الطويل، ودلال الدوشة، وعائدة رجب، وعائشة الطيان، ومنى البزم، ونصرت المغربي، وهيفاء أوضه باشي، ومنى الضعضي وغيرهن من خريجات المعهد إضافة إلى نخبة من المدرّسات الفضليات في مختلف الاختصاصات.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا فقد امتد نشاط الجمعية فشمل مع المعهد إقامة حلقات دراسيّة في المساجد والبيوت والأسواق والسجون ومرابع البدو وغير ذلك. وصارت ترسل كذلك أئمة وخطباء ومدرسين للعلوم الشرعية واللغة العربية إلى البلاد الإسلامية المختلفة بل وإلى أنحاء العالم.

تخرج في المعهد أشخاص تولوا مراكز علمية ودينية وتربوية ودعوية وقضائية، وقاموا بشعائر الإسلام في سورية والبلاد العربية والإسلامية والأجنبية، يُذكر منهم زكريا غندور، محمد كنعان، صلاح فخري، أحمد درويش الكردي، عبد الرحمن شرقية، حسين صعبية، خالد كنعان، محمد علي عبد الرحمن حسين الملاح، يوسف بخور. وهؤلاء كلهم من لبنان ولهم وظائف عالية في الفتوى والقضاء.والأوقاف والدعوة والإرشاد والتعليم. ومنهم محمد القضاة مفتي القوات المسلحة بالأردن.

ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر إسماعيل المجذوب، وأبناء الشيخ المؤسس: عبد اللطيف، حسام الدين، ولي الدين، عبد الرحمن، نصر الدين، عبد الله، شهاب الدين فرفور، محيي الدين شعيب، صبحي النمر، عبد الله رابح، عبد الكريم بكار، محمد الحسن بكار، ومحمد خير الطرشان، فائز دحلا، أحمد القباني، خضر شحرور.

في بداية العام الدراسي ١٩٧١م اقترح الشيخ حسام الدين فرفور على والده المؤسس افتتاح قسم للتخصص العلمي للطلاب الذين تخرجوا في المعهد ونالوا الإجازة، وهذه

المرحلة مدتها ثلاث سنوات دراسية لها خطة دراسية ومناهج معمّقة في علوم الشريعة واللغة العربية والفلسفة اعتمدت فيها أمّات الكتب التراثية إضافة إلى أهم الدراسات الجادّة المعاصرة.

أوْكلَ الشيخ المؤسس الإشراف على هذا القسم والمتابعة لابنه الشيخ حسام الدين، كما قام الشيخ بنفسه بالتدريس في هذه المرحلة ومعه كبار الأساتذة إضافة إلى بعض النابهين من الأساتذة الشباب بدءً بأبنائه الشيخ عبد اللطيف والشيخ حسام الدين والشيخ ولي الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد: فأنا العبد الفقير إلى الله تعالى العلي القدير (عبد القادر الأرناؤوط)

أحد الذين درسوا على فضيلة الشيخ صالح الفرفور رحمه الله تعالى.

وقد درست عليه عدة سنوات بصحبة الشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ أديب الكلاسي، والشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ رمزي البزم، والشيخ شفيق العمري، وغيرهم.

وقد درسنا عليه رحمه الله الفقه الحنفي، واللغة العربية، النحو، والبيان والبديع، وأصول الفقه، وغيرها من العلوم الشرعية.

وكان رحمه الله يرعانا كأولاده، وقد تعلمنا منه الخوف من الله تعالى، والآداب الإسلامية، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

هذا وقد درسنا أيضاً عنده الطلاب الذين جاؤوا بعدنا.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجمعنا جميعاً في مستقر رحمته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

ونسأل الله تعالى أن يجزي عنا شيخنا خير الجزاء، إنه تعالى خير مسؤول

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

شعبان ١٤٢٠هـ

عبد القادر الأرناؤوط
خادم السنة النبوية بدمشق
عبد الوهاب

عبد القادر الأرناؤوط
خادم السنة النبوية
ص.ب ٢٨٥٤
هاتف ٢٨٢٢٢١٥

## نص العهد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين.

لما كانت الدعوة إلى الله تعالى مهمة الأنبياء والمرسلين، وإرث العلماء العاملين والدعاة المخلصين الصادقين وأفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى ورسله وأداء ما فرضه الله علينا فإني أعاهد الله تعالى على العمل بما تعلمت والتخلق بأخلاق العلماء وأن أقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى بصدق وإخلاص ما استطعت إلى ذلك من سبيل وأن أقدم المصلحة العامة على المصالح الخاصة وأن أحرص على العمل بمقتضى قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين

# معهد جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية[1]

أسسه الشيخ بدر الدين عابدين[2]، عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م هو وثلة من أهل الخير لرعاية طلاب العلم الأتراك الوافدين إلى دمشق لصلته بهم وإتقانه اللغة التركية. وضمت إلى جانبهم طلاباً من اليونان ويوغوسلافيا السابقة، وألمانيا وماليزيا وأندونيسيا، والكاميرون وساحل العاج ونيجيريا ومالي وزائير وسيراليون وتشاد والسنغال والصومال وغانا وبلاد المغرب العربي.

كان هدف الجمعية تخريج علماء من الطلاب الأغراب بغرض أن يعودوا إلى بلادهم للدعوة؛ ولهذا عمل القائمون على أن يحمل طلاب المعهد شهادات، تخولهم متابعة تحصيلهم العلمي في الأزهر أو الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، أو في كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة[3].

ترأس الجمعية الشيخ بدر الدين عابدين، وانسحب منها ليتفرغ إلى جمعية الفرقان[4] ثم خلفه أحمد البيلوني، ثم الشيخ بشير عيد الباري. ثم تولى مجلس الإدارة عدنان دخاخني، ثم الأستاذ الدكتور موفق دعبول. وحالياً (٢٠١٩) الأستاذ أيمن مولوي أمين سر غرفة صناعة دمشق.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ص٤٦ وما بعد، وعلى مشافهة الشيخ أحمد اللوجي خريج المعهد.

(٢) محمد بدر الدين عابدين (١٨٧٩-١٩٨١م) مرشد مرب داعية، ولد بدمشق. وتخرج بالكلية الصلاحية في القدس، وأخذ عن أجلة علماء الشام كالشيخ بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر والشيخ عطا الكسم والشيخ أبي اليسر عابدين، والشيخ إبراهيم الغلاييني، عمل بالتدريس، فأخذ عليه المستشار الفرنسي بوزارة المعارف حماسته الدينية فأبعده إلى مدارس حوران والقنيطرة. كان له مجلس وعظ فيما بعد بالجامع الأموي، فأقبل عليه الناس، وتولى إرشاد الحجاج الأتراك. عمل في لجان تشييد المساجد المنشأة وتوسيع القديمة، بالإضافة إلى توليه الخطابة في أكثر من مسجد. كان خطيباً مفوهاً. توفي بدمشق (علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ٤٦ وما بعد).

(٣) عن نشرة صدرت بذكرى مرور سنة على وفاة الشيخ بدر الدين عابدين، في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري المذكور.

(٤) انظر الكلام عنها فيما سيأتي.

الجمهورية العربية السورية
وزارة المالية
مديرية المطبعة والجريدة الرسمية
المحاسبة

نموذج / مجاني

الرقم : ٤٦٧
٢٤

الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية

مديرية التعاون

اشارة الى كتابكم المؤرخ في ٦ / ٢ / ١٩٦٧ رقم ٢٥٢٦
المتضمن اعلامكم عن نشر قرارات الجمعيات التعاونية
نعلمكم بانه تم نشر قرار الجمعية
بالعدد رقم ٨ تاريخ ٧ / ٢ / ١٩٦٧ تحت رقم ١٩٦
وترفق طيا ثلاثة نسخ افرادية من النشر ونسخة من الجريدة الرسمية المنشور فيها القرار .

دمشق في ٥ / ٥ / ١٩٦٧

محاسب الادارة
لدى مديرية المطبعة والجريدة الرسمية

صورة الى المحاسبة / قسم النشر
صورة الى الديوان

الجريدة الرسمية ـ العدد رقم ٨ لسنة ١٩٩٧

ملخص شهر تعديل المادة ( ١ ، ٢ ) من النظام الداخلي لجمعية اسعاف طلاب العلوم الاسلامية بحيث تصبح :

مادة ١ ـ تؤسس في دمشق جمعية باسم ( جمعية بدر الدين الحسني ) المحدث الاكبر ، ويتناول نشاطها مدينة دمشق .

تضاف الفقرة /د/ للمادة /٢/

د ـ العمل على اقامة ابنية تضم معهدا شرعيا لتعليم الاناث العلوم الشرعية ومقرا لميتمن باسم معهد جمعية الحسني الشرعي .

مركز الجمعية : مدينة دمشق

منطقة عملها : مدينة دمشق

رقم الشهر : ١٥١ لعام ١٩٥٩

تاريخ التعديل : ٢٠ـ١ـ١٩٩٧

دمشق في ٢٣ـ١ـ١٩٩٧

وزير الشؤون الاجتماعية والعمل

( ١٩٧ )

أدار المعهد الشيخ إبراهيم الهندي، ثم الأستاذ محمد مهجة، (وكان يساعده ولده نذير)، كما أداره عبد الكريم حمزاوي والسيد فخر الدين الحسني وبعده الشيخ عبد الله دك الباب، ثم الشيخ عبد الرزاق شُرَفه، ثم الأستاذ ماجد اللحام ثم الأستاذ محمد مأمون عابدين. ويتولى ثانوية الذكور اليوم (١٤٤١هـ/ ٢١٠٢م) الأستاذ محمد جمال البحرة، وثانوية الذكور بالمزة الأستاذ رياض الجبان.

وفي زمن مدير المعهد الشيخ عبد الله دك الباب انتقل تدريس الطلاب إلى قبو جامع الزهراء في المزة العام الدراسي ١٩٨٨/ ١٩٨٩م، في حين بقي البناء في محلة قصر حجاج لمبيت الطلاب، إلى جانب مبيتهم في بناء جانب جامع الشيخ بدر الدين الحسني داخل مقبرة الباب الصغير، وكذلك في جامع دك الباب وجامع علي بن أبي طالب.

وفي أوائل التسعينات من القرن العشرين رغب السيد عبد الهادي الدبس[1] في دعم معهد الجمعية وتطويره، فأنشأ البناء القائم حالياً جانب جامع الشيخ بدر الدين الحسني في الشاغور. وعندئذ تغير اسم الجمعية من جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية إلى جمعية المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني، وتوسعت أعمالها، فشملت ثانويتين من أكبر الثانويات الشرعية بدمشق، إحداهما للذكور والأخرى للإناث.

علماً أن الطلاب الوافدين كانوا يسمّونها المدرسة الأمينية تسمية من عندهم، تشرفاً بالمدرسة الأمينية القديمة التي بجوار الجامع الأموي أقدم مدارس الشافعية ولا علاقة لمدرسة الإسعاف بها.

**عرف من أساتذة المعهد على السنوات المتعددة :**

| | |
|---|---|
| أبو الخير شكري (لأصول الفقه) | أحمد فايز الحمصي (للتاريخ) |
| اكريّم راجح (للتفسير والفقه المقارن) | أنور الشويكي (للقواعد) |
| بدر الدين القهوجي (للتفسير) | بشير عيد الباري (لتاريخ التشريع والخطابة) |
| توفيق البوطي (للعقيدة) | تيسير العمر (للسيرة) |

(١) انظر ترجمته في إتمام الأعلام.

حسين بدران (للعربية والتراجم) حسين مارديني (للأدب)

طه المارديني (حاضر العالم الإسلامي) عبد الإله القهوجي (للبلاغة)

عبد الحكيم الحاج عثمان (للتفسير) عبد الرحمن الجزائري (للمحفوظات والفقه المالكي والتجويد)

عبد الرحمن الشاغوري (للتصوف والأخلاق) عبد الرزاق الشُّرَفَه (للسيرة والتراجم)

عبد العليم الزنكي عبد الغني الصلاحي (للقرآن الكريم)

عبد القادر الأرناؤوط (للحديث الشريف والمصطلح) عبد الله الحلبي (للغة الإنكليزية)

عبد الماجد الحناوي (للسيرة والتصوف والحديث) عزت الخالدي (للغة الإنكليزية)

عصام خلف (للقرآن الكريم) عمر بدران

محمد أبو الهدى اليعقوبي (للمنطق) محمد الحيش (للسيرة)

محمد الشامي محمد علي شقير (للعربية والفقه الشافعي)

مصطفى عكرمة (للعروض) نذير المكتبي (للبلاغة)

نعيم الحناوي (للرياضيات والمنطق) نعيم عرقسوسي (لعلوم القرآن)

نور الدين الصالحاني (للعقيدة) هشام الحمصي (للعربية والأدب)

هشام الصلاحي (للفرائض والبلاغة) هيثم متيني (للتلاوة)

وهبة الزحيلي (لأصول الفقه) شهاب الدين ذفور (للأحوال)

نعيم الحريري (للسيرة النبوية) عبد الله رابح (للأدب)

زياد الجزائري (للتربية) عبد المجيد الأسود (للأحوال)

فريد الباجي (للمصطلح) حسين دوامنة (للأخلاق)

مهند ضفدع (للفقه) محمد المعز السبيني (للتاريخ)

محمد توكلنا (للخط والإملاء) خالد الكسم (للغة العربية لغير الناطقين بها)

أنس عبود (للغة العربية) محمود عبيد (للقرآن)

بسام الصهيوني (للحديث) معاذ الخطيب (للفكر والدعوة)

# معهد الفرقان[١]

سعى إلى تأسيسه الشيخ محمد بدر الدين عابدين[٢]، فدعا عدداً من أهل العلم والوجاهة إلى إنشاء جمعية تهدف ابتداءً إلى تعليم العلم الشرعي، لطلاب تركيا وبلاد البلقان باسم معهد جمعية الفرقان. فاستجاب له عدد منهم، اجتمعوا في ٣١/ ١٢/ ١٩٦٣م فانتخبوا أول مجلس إدارة يضم كلاً من:

الشيخ محمد بدر الدين عابدين: مؤسس الجمعية

الدكتور محمد أمين المصري[٣]: رئيساً

الدكتور عبد الغني حمُور (اقتصادي، ورجل أعمال، ووزير سابق).

محمد علي سكر

أحمد الزين

عبد الرحمن الباني[٤]

إحسان هاشم (اقتصادي، ورجل أعمال).

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على الوثائق المحفوظة في معهد الفرقان، وعلى كراسة صدرت بذكرى مرور سنة على وفاة الشيخ محمد بدر الدين عابدين، انظر من أجلها كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ص٤٦. وعلى مشافهات المعاصرين للمعهد والمعنيين.

(٢) مرت ترجمته في الحديث عن معهد جمعية إسعاف طلاب العلوم الشرعية الإسلامية.

(٣) محمد أمين المصري (١٩١٤-١٩٧٧م) داعية، أستاذ جامعي ولد بدمشق، وتعلم بمكتب عنبر، وأخذ عن علماء دمشق وتأثر بكتب الإمام الغزالي، اشتغل بالتعليم وحصل على شهادة أصول الدين من الأزهر فالدكتوراه من أكسفورد فعين أستاذاً بكلية الشريعة، ورحل إلى السعودية أستاذاً في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، له مؤلفات عديدة. توفي في سويسرا إثر عملية جراحية، ونقل إلى مكة المكرمة فدفن بها. (إتمام الأعلام ص٣٤٠ ط٢).

(٤) عبد الرحمن الباني (١٩١٧-٢٠١١م): مربٍ، داعية، سلفي المنهج، ولد بدمشق وتوفي بالرياض، تخرج في الأزهر بكلية أصول الدين، فسلك في التدريس والتوجيه التربوي، وكان له أثره في افتتاح ثانويات شرعية للبنات تابعة لوزارة المعارف السورية، رحل إلى الرياض عام ١٩٦٤م فعين بوزارة المعارف وفي إدارة معاهد إعداد المعلمين وشارك في تأسيس المعهد العالي للقضاء، وكان عضو اللجنة الفرعية لسياسة التعليم السعودية، له مؤلفات.

الدكتور محمد شفيق البابا[1]

وكتبوا إلى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل للحصول على رخصة لجمعية تحمل اسم جمعية الفرقان فصدرت الموافقة على طلبهم برقم ٧٨١ تاريخ ٣٠/ ٤/ ١٩٦٤م المنشور في الجريدة الرسمية بالعدد ١٧ لسنة ١٩٦٤م. ونشر معها كذلك نظام الجمعية.. ثم عدّل في العدد ٣٣ تاريخ ٢١/ ٨/ ١٩٧٥م.

جاء في نظامها الأساسي:

## الفصل الأول

١ - تؤسس في دمشق جمعية باسم جمعية الفرقان، ويتناول نشاطها محافظة مدينة دمشق، ومحافظة دمشق[2].

٢ - أغراض الجمعية:

١ - إنشاء مساجد بعد الحصول على موافقة وزارة الأوقاف.

٢ - إنشاء مدارس ثانوية وإعدادية وابتدائية ودور حضانة للبنين والبنات بأقسامها الداخلية والخارجية بعد الحصول على موافقة وزارة التربية والتعليم.

٣ - إصدار الكتب والمجلات بعد الحصول على موافقة الجهات المختصة.

٤ - إلقاء المحاضرات.

**كفالة طلاب العلم**

مادة ٣ - لا يجوز لهذه الجمعية أن تتدخل في الأمور السياسية والعقائد الدينية.

* * *

ثم ضم النظام مواد تتعلق بالعضوية، وبالهيئة العامة، وبمجلس الإدارة، ووظائف أعضائه، وبمالية الجمعية، وهذه تتألف من رسوم انتساب الأعضاء ورسوم الاشتراكات

---

(١) محمد شفيق البابا من أطباء دمشق الأوائل ولد بها (١٩١٥-١٩٨١م)، حصل على إجازة في الطب من جامعتها ثم تخصص في مصر بعلم الغرائز (الفسيولوجيا) وعاد أستاذاً بالجامعة. له مؤلفات. توفي بدمشق.

(٢) محافظة دمشق عدّلت فيما بعد إلى محافظة ريف دمشق.

والتبرعات والهبات والإعانات والوصايا والأوقاف.. وختم النظام المواد فيما يتعلق بحل الجمعية وبأحكام انتقالية[1].

وعلى ذلك جرى أول اجتماع لمجلس الإدارة المشار إليه في ٢٩/ ١/ ١٣٨٤هـ = ١٠/ ٦/ ١٩٦٤م.

اقترح مجلس الإدارة في الاجتماع المشار إليه السعي للحصول على استعمال قبو جامع المرابط[2] مقراً للجمعية، ونواة لمدرسة إعدادية شرعية ريثما تتهيأ الإمكانات لجمع تبرعات تساعد على بناء مدرسة كبيرة تضم ملاعب وباحات وقاعات للدراسة على الطراز الحديث[3].

ابتدأ التدريس بأربعين طالباً، ما زالوا يزدادون حتى بلغوا ٢٠٠ طالب سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ثم زادوا عام ٢٠٠٠ م إلى أكثر من ٥٠٠ طالب و ١٠٠٠ طالبة.

تولى إدارة المعهد منذ افتتاحه الشيخ نور الدين قرة علي[4] حتى عام ١٩٨١م خلفه الشيخ موسى العربي، حتى (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)، ثم الأستاذ هيثم إدلبي حتى اليوم (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

وضع المعهد منهاجاً متكاملاً للعلوم الشرعية والعربية، قام المشرفون عليه بالتشاور مع عدد من علماء دمشق لإقراره.. كان على رأسهم مفتي الجمهورية الدكتور محمد أبو اليسر عابدين، فاستقر رأيهم على تهيئة الأسباب الموصلة إلى مشيخة الأزهر للموافقة عليه، لتعادل شهادة المعهد بما يناسب مستواها، فأعان الأزهر على ذلك.

روعي بالمنهاج الإكثار من المواد الشرعية والعربية؛ والقرآن الكريم تجويداً وحفظاً.

وقد انتقي لهذا المنهاج الكتب اللازمة التي دار عليها اعتماد علماء دمشق المعروفين.

---

(١) النظام المحفوظ في الجمعية.

(٢) جامع المرابط: أنشأه عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م في المهاجرين على طريق السكة قرب القصر الجمهوري القديم علي المرابط بوصية أخيه مراد الذي خصص له خمسة آلاف ليرة ذهبية.

(٣) لم تتحقق أمنية الجمعية، وإنما استطاعت الحصول فيما بعد على أبنية من ملحقات المساجد بموافقة وزارة الأوقاف. ثم خصص محضر لها في مشروع دمر، وشيد من ستة طوابق، وفيه قاعات ومسجد ومبيت للطلاب.

(٤) وهو تونسي قدم دمشق فتتلمذ للشيخ عبد الكريم الرفاعي، وكان عالماً خطيباً نابهاً.

- التفسير: كتاب «التفسير الواضح» و«تفسير النسفي»، و«تفسير آيات الأحكام» والأخير للشيخ علي السايس.
- الحديث: كتاب «هدي النبي ﷺ في الصلوات الخاصة» المقرر في جامعة دمشق (كلية الشريعة) للدكتور نور الدين عتر، وكتاب «سبل السلام شرح بلوغ المرام»، المقرر في كلية أصول الدين في الأزهر الشريف.
- المصطلح: «شرح البيقونية» للشيخ عبد الله سراج الدين، وكتاب «منهج النقد في علوم الحديث» للدكتور نور الدين عتر.
- الفقه: كتاب «مراقي الفلاح» وكتاب «الاختيار» بأجزائه الخمسة، وكتاب «الهداية».
- علوم القرآن: كتاب «مناهل العرفان للزرقاني».
- أصول التفسير: كتاب «أصول التفسير» للشيخ خالد عبد الرحمن العك.
- أصول الفقه: كتاب «أصول التشريع الإسلامي» لعلي حسب الله، «أثر الاختلاف في قواعد الأصول في اختلاف الفقهاء» للدكتور مصطفى الخن.
- التوحيد والعقيدة: «شرح بدء الأمالي» لملا علي القاري، و«شرح العقيدة الطحاوية» للعلامة الغنيمي، وشرح «العقائد النسفية» للعلامة التفتازاني، و«شرح الفقه الأكبر» لملا علي القاري، وكتاب «كبرى اليقينيات الكونية» للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- السيرة النبوية: كتاب «نور اليقين» للشيخ محمد الخضري، و«تهذيب سيرة ابن هشام»، و«فقه السيرة» للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وهو مقرر في كلية الشريعة (في جامعة دمشق).
- التاريخ الإسلامي: كتاب «إتمام الوفاء» للشيخ محمد الخضري، و«تاريخ الخلفاء» للحافظ السيوطي.
- الفرائض: «شرح الرحبية»، و«شرح السراجية».
- النحو: كتاب «الدروس النحوية» الجزء الثاني والجزء الثالث والرابع، وكتاب «أوضح المسالك شرح ألفية ابن مالك»، وكتاب «مغني اللبيب لابن هشام».

- البلاغة: كتاب «البلاغة الواضحة»، وكتاب «التلخيص».
- الصرف: كتاب «المقصود»، و«التصريف الملوكي» لابن جني، و«شذا العرف» للحملاوي.
- تاريخ التشريع: كتاب «مختصر تاريخ التشريع» لعبد الوهاب خلاف وكتاب «تاريخ الفقه الإسلامي» لعلي السايس.
- المدخل الفقهي: كتاب «مدخل الفقه الإسلامي» للدكتور محمد سلام مدكور.
- الأخلاق والتصوف: كتاب «مختصر منهاج القاصدين» للحافظ المقدسي.
- المنطق: كتاب «إيضاح المبهم في شرح السُّلم».
- العروض: كتاب «ميزان الذهب».
- الأدب: كتاب «عيون الأخبار» (مختارات منه).
- تاريخ الأدب: كتاب تاريخ الأدب العربي للزيات.
- نقد الأدب العربي: كتاب «دراسات في نقد الأدب العربي» للخفاجي.
- اللغات: مقررات دار اللغات الأجنبية.

حددت الدراسة في المعهد أولاً بخمسة أعوام، ثم أضيف عام سادس.

وافتتحت فيما بعد دورة إضافية (مسائية) لبعض المواد الضرورية للطلاب المقصرين.

تمنح الجمعية مكافأة تشجيعية لكل طالب يحفظ القرآن الكريم، يقدرها مجلس الإدارة.

ويحصل الطلاب المتخرجون على وثيقة إنهاء الدراسة، يقبل حاملها في كليات الأزهر؛ أصول الدين، الشريعة، اللغة العربية[1].

يقبل الطالب في المعهد بشرط تجاوزه الثالثة عشرة من عمره، ويخضع لمقابلة شفهية

(١) عاد عدد كبير من الخريجين إلى بلادهم فكانوا دعاة مصلحين حققوا نجاحاً في مهامهم، وحصل بعضهم على شهادات من الأزهر والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أمام لجنة فاحصة تقرر قبوله أو رفضه.. وعند قبوله يقدم شهادة صحية بسلامته من الأمراض السارية.

وتقدم الجمعية لبعض الطلاب الغرباء أسباب الإقامة داخل المعهد في غرف خاصة إضافة إلى المأكل والكساء.. وذلك حسب المتوافر من قدرتها، وربما تعتذر لآخرين[1].

والإنفاق على هؤلاء من التبرعات التي يقدمها المحسنون، وهي تبرعات غير ثابتة.

وهذه قائمة بأشهر من علّم في المعهد، مع المواد التدريسية منذ تأسيسه حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري:

الدكتور محمد أبو اليسر عابدين: المرشد والموجه الأول للجمعية ومعهدها.

الشيخ حسين خطاب: القرآن الكريم.

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: التوحيد لكتابه «كبرى اليقينيات الكونية».

الدكتور مصطفى الخن: أصول الفقه لكتابه «أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء».

الشيخ محمد كريم راجح: علوم القرآن وقواعد اللغة العربية والنقد الأدبي والبلاغة والفرائض.

الشيخ هاشم المجذوب: الصرف.

الشيخ وهبة الغاوجي: أصول الفقه والتفسير.

الشيخ أحمد صفر: الفقه الحنفي من كتاب «الهداية».

الشيخ نايف العباس: التاريخ الإسلامي والمنطق والتوحيد والحديث.

الشيخ بشير عيد الباري: التفسير والخطابة والتجويد والإنشاء.

الشيخ محمد علي الأحمد: السيرة النبوية الشريفة.

---

(١) باشرت الجمعية منذ عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٩٧م بإطعام طلابها كلهم وتقديم ما يلزم من دواء، وأنشأت مستوصفاً أشرف عليه د. محمد مظهر ضيان، ود. بسام جوخدار، ود. إياد السبيعي، وافتتحت مطبخاً خصصت له طاهية تطبخ للمقيمين ما يلزمهم.

جمعية الفرقان
تأسست بدمشق عام ١٩٦٤
مهاجرين - ☎ ٣٣٦١٠٥

بيان إيضاحي موجز عن

معهد جمعية الفرقان

للعلوم الشرعية والعربية

# اهداف الجمعية وغاياتها

احياء التراث الاسلامية المطهرة ونشر الدين الحنيف في الآفاق المتعطشة لشريعة الله العظمى وذلك عن طريق تحميلها الى الطلاب الوافدين من تلك البلاد وتثقيفهم بها ليعودوا دعاة مصلحين عاملين على احياء هذه الشريعة الغراء في بلادهم ونشر نورها وتعميم خيرها في جميع انحاء العالم باذن الله تعالى .

الشيخ عبد الغني الصلاحي: القرآن الكريم والتجويد.

الشيخ عبد الصمد إسماعيل: الفقه الحنفي والأحوال الشخصية.

الأستاذ حمدي العبجي: الفرائض.

الأستاذ عبد الحليم قنبس: النحو وتاريخ الأدب العربي والبلاغة.

الأستاذ أحمد سماق: الرياضيات والجغرافيا والإملاء.

الأستاذ محمد يوسف: الاستحفاظ والخط والمحادثة والأدب العربي.

الأستاذ سعيد الحاج: القراءة والكتابة والتعبير والمحفوظات.

الأستاذ وحيد الحاج: الأدب العربي والتاريخ.

الأستاذ خليل الطير: التفسير والحديث.

الشيخ خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وأصول مصطلح الحديث والحديث الشريف.

الشيخ نور الدين قره علي: التربية الإسلامية، الخطابة، أصول الفقه.

الشيخ عبد الصمد إسماعيل: الفقه والأحوال الشخصية.

الشيخ موسى العربي: التفسير والنحو والمصطلح والمنطق.

الشيخ محمد يوسف: مبادئ النحو والحديث.

الشيخ أحمد سماق: الحساب والجغرافيا.

الشيخ محمود رحمون: أصول الفقه والبلاغة.

الشيخ عبد المعطي ضاهر: اللغة الإنكليزية.

الشيخ حمدي العبجي: الفرائض.

الشيخ مروان عجلوني: السيرة والتفسير.

الشيخ رضوان العمري: علوم القرآن.

**أعضاء مجلس الإدارة عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م:**

الشيخ محمد بدر الدين عابدين: مؤسس الجمعية

أحمد عابدين: رئيس مجلس إدارة الجمعية

محمد موسى المارديني: نائب الرئيس — إحسان هاشم: أمين السر

ناظيف الراعي: أمين الصندوق — أحمد الرتا: محاسباً

صلاح الدين الخربطلي: عضواً — مصطفى الزين: عضو مؤسس

تحسين البارودي: عضو مؤسس — الدكتور محمد مظهر ضيان: عضو مؤسس

الدكتور بسام جوخدار: عضو مؤسس — الدكتور إياد سبيعي: عضو مؤسس

هذا وقد نهض المعهد، فاستطاعت الجمعية أن تفتتح أقساماً عديدة في مدينة دمشق وخارجها، كما يأتي:

قسم جامع الفتح ـ المزة (ذكور) — قسم جامع القزاز ـ برزة (إناث).

قسم جامع زيد بن ثابت ـ الفحامة (إناث) — قسم جامع حسيبة ـ دمر (إناث).

قسم جامع الرحمن ـ نجها (ذكور – إناث) — قسم جامع جوبر الكبير (إناث).

قسم جامع علي بن أبي طالب - ببيلا (إناث) — قسم جامع الهدى ـ عين ثرماء (ذكور).

قسم جامع خالد بن الوليد ـ درعا (ذكور) (إناث) — قسم جامع الإحسان ـ ببيلا (ذكور).

# المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد
# (معهد أبي النور)[1]

أسسه للذكور والإناث في حي ركن الدين قرب ساحة شمدين المفتي العام الشيخ أحمد كفتارو.

افتتح المعهد عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م في بناء شُيِّد على جامع أبي النور، وبفاصل خشبي بين الشُّعَب.

دخل الطلبة على ثلاث مجموعات :

١- القسم النظامي من حيث العمر السنة الأولى بعد المرحلة الابتدائية (شعبة أولى).

٢- القسم غير النظامي من حيث العمر السنة الأولى بعد الابتدائية (شعبة ثانية).

٣- الحاصلون على الشهادة الإعدادية العامة بالسنّ النظامي وغيره في الصف الأول الثانوي.

اعتمد المعهد النظام الأزهري من حيث قبول الطالب الحائز على شهادة التعليم الابتدائي، من خلال سنتين فقط؛ الأولى تسمى (التمهيدي)، والثانية تسمى (الإعدادية) ينتقل الطلاب بعدها مباشرة إلى الصف الأول الثانوي لاستكمال المرحلة الثانوية الشرعية.

وفي نهاية العام الدراسي الأول ١٩٧٥/ ١٩٧٦م تقرر نقل الطلاب العشرة الأوائل مباشرة إلى الصف الأول الثانوي (ذكوراً وإناثاً) في حين استمر الباقون في صف الإعدادي.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على مقال الدكتور محمد شريف الصواف (غير منشور) والمعهد قسم من مجمّع الشيخ أحمد كفتارو الذي أقيم من ثمانية طوابق بمساحة ٢٠٠٠ م٢ للطابق الواحد ضمت جامعاً ومدرسة وغرفاً وقاعات للتدريس الجامعي فيما بعد، أنشئ على أنقاض مسجد صغير يسمى جامع أبي النور، بناه الأمير سيف الدين محمد، لأبيه زين الدين قراجا، وهو أحد قواد صلاح الدين الأيوبي سنة ٦١٤هـ (وانظر خطط دمشق ٣٠٥) ومن هذا المسجد الصغير بدأت دعوة الشيخ أحمد كفتارو، منذ أربعينات القرن العشرين (انظر ترجمته في الباب الثالث عند الحديث عن معهد الأنصار، وانظر علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ٤٩٢).

أشرف على العمل وباشره الأستاذ محمد سعيد بغدادي تسجيلاً وتوجيهاً وإدارة.

وتولى التدريس كل من :

الشيخ رجب ديب (للتجويد) الشيخ أسامة الخاني (للاستحفاظ والتفسير)

الشيخ أحمد كناكري (للفقه) الشيخ بشير الرز (للغة العربية)

الشيخ أحمد كفتارو (للحديث) الشيخ محمود كفتارو (للنصوص)

نعيم نصور (للرياضيات) عبد الوهاب المصري (للغة الإنكليزية)

وفي نهاية العام الدراسي ١٩٧٥/ ١٩٧٦م ضاق المكان بالطلاب، فخصص الطابق الأول للطالبات، ونقل الطلاب إلى القاعة الكبرى من الطابق الأول وخصصت في الأصل لنشاطات الطلاب (مسرح)، حلقات على الطريقة القديمة في المساجد.

وبعد أشهر سقف الطابق الثاني، فشغله الطلاب، وأكملوا فيه دراستهم لذلك العام ١٩٧٦/ ١٩٧٧م لمدرسين آخرين، منهم :

الشيخ محمود الرنكوسي (للعقيدة) الشيخ محمد حمزة (للغة العربية)

الشيخ أحمد راجح (لمصطلح الحديث) مروان شيخو (للخطابة)

وفي العام التالي، وبعد إتمام الطابق الثاني شغلته الطالبات، وبقين يشغلنه حتى اليوم. وكان سبب إنشائه خشية دخول الأمطار إلى حرم المسجد، فيما لو كان المسجد سقفاً للطابق الأول مباشرة، فتقرر أن يكون الجامع في الطابق الثالث لحمايته من السيول المنحدرة من الجبل، وأنشئ الطابق الثاني بسقف أخفض من الطابق الأول، ثم تتابع بناء أقسام المسجد.

وفي المرحلة الثانوية كان في المدرسين:

الشيخ أحمد راجح (للعقيدة من كتب الشيخ عبد المجيد الزنداني: فتح الخالق)

الشيخ رجب ديب (للحديث الشريف)

وتعدد مدرسو اللغة العربية

تخرجت الدفعة الأولى من الطلاب عام ١٩٧٨ والتحقت بالدراسة الجامعية في الأزهر حتى كانت معاهدة كامب ديفيد[1] وقطعت العلاقات بين سورية ومصر، فطرد الطلاب السوريون منها. ولذا فقد توسط الشيخ أحمد كفتارو لدى رئيس الجمهورية العربية السورية فصدر مرسوم بقبول خريجي المعهد في كلية الشريعة بجامعة دمشق على أن يحصلوا لاحقاً على شهادة الدراسة الثانوية الأدبية.

ثم عقد الشيخ أحمد كفتارو عام ١٩٨٢ اتفاقية مع جمعية الدعوة الإسلامية، في ليبيا، افتتح بموجبها فرع كلية الدعوة الإسلامية في معهد أبي النور، وسجل فيها طلاب المعهد الشرعي، من دمشق والمحافظات، وأصبحت كلية الدعوة تمنح إجازة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

(١) اتفاق تسوية سياسية بين مصر والصهاينة، أشرفت الولايات المتحدة على وضعه في ١٨/ ٩/ ١٩٧٨ (موسوعة السياسة ٥/ ٥٤) وقد اعترض عليها غالب الدول العربية وقاطع بعضها نظام الرئيس المصري أنور السادات.

# خلاصة ونتائج عن المعاهد الشرعية

يمكن أن نسجل بعد الاطلاع على تاريخ هذه المعاهد النتائج الآتية:

- قام وراء هذه المعاهد رجال بعثوا التعليم الشرعي، كان لكل رجل منهم قَدْرُه ومكانته المحترمة في دمشق كالشيخ كامل القصاب، والشيخ هاشم الخطيب، والشيخ علي الدقر، والشيخ حسن حبنكة، والشيخ صالح الفرفور، والشيخ بدر عابدين، والشيخ أحمد كفتارو، وآخرون من تلاميذهم ومريديهم ممن ساروا على خطاهم واتبعوا سننهم.
- اهتمت هذه المعاهد إلى جانب العلوم الشرعية المعمقة باللغة العربية الصافية التي قدّستها لأنها لغة القرآن.
- اعتمدت منهاجاً للعلوم الشرعية واللغة العربية متكاملاً وشاملاً.. يتزود منه الطالب ليتصدى للخطابة، والإجابة عن الأسئلة التي توجه إليه في الحياة اليومية.
- تولى التدريس في المعاهد على الغالب مدرسون معروفون مشهورون أكفياء مخلصون قاموا بمهمتهم خير قيام، ولم تعرف عن أحدهم مغامز في الدين.
- بقيت هذه المعاهد منذ نشأت حتى اليوم على خط واحد، لم تتطور في مناهجها، ولا في طريقة التدريس فيها.. وإن كانت تتطلع إلى التغيير.
- خرّجت هذه المعاهد في دفعاتها الأولى علماء أقوياء في العلم متمكنين فيه وكان كثير منهم دعاة وفقهاء وخطباء انتشروا في البلاد الإسلامية. إلا أن الأجيال التي جاءت بعد، لم تكن على المستوى المطلوب، وظهر ضعفها على نحو غير مقبول.
- اتبعت مذهباً فقهياً معيناً، فبعضها اهتم بالمذهب الحنفي كمعهد الفتح الإسلامي، ومنها ما ركز على المذهب الشافعي كمعهد العلوم الشرعية للجمعية الغرّاء ومعهد التهذيب والتعليم، في حين كانت الكلية الشرعية أوسع توجهاً، فأخذت بالمذهبين.

- لم تول هذه المعاهد اهتمامها كما ينبغي بمادة الأدب ونقده وقضاياه، وإنما انصبت عنايتها على اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها، وإن كان لمعهد الفتح الإسلامي عناية خاصة به.
- اهتمت بمادة الخطابة للضرورة إليها في خطب الجمعة والمناسبات التي ترشح إليها خريجيها.. فظهر من خريجيها خطباء سدّوا حاجة المساجد.
- لم تعن بالعلوم العصرية، ما عدا الكلية الشرعية، فكان فيها مواد متفردة فيها. ولئن أدخل بعضها موادّ عصرية لقد دخلت على نحو ضعيف غير متعمق.. وهذا طبيعي، إذ هي معاهد متخصصة بالعلوم الشرعية، فلا يمكن أن تتعمق في العلوم كلها.
- لم يهتم غالب هذه المعاهد بالحياة المعاصرة كما يجب، فكان بعض مدرسيها وكثير من طلابها يحيون حياة تراثية بعيدة عن الواقع. ولم يعرف طلابها القراءة في صحف أو مجلات أو كتب خارج تخصصهم. وللقاعدة استثناءات.
- كانت مقرات هذه المعاهد في ملحقات المساجد والمدارس الأثرية القديمة، لم تخرج عنها.
- لم يؤلف شيوخ هذه المدارس الشرعية والمدرسون فيها كتباً إلا فيما ندر، وإنما اعتمد التدريس على المؤلفات التراثية في العلوم كلها. وقد كلف وزير الداخلية عبد الحميد السراج أيام الوحدة السورية المصرية الشيخ علي الطنطاوي فوضع مناهج تناسبها بعد استشارة العلماء، وذهب إلى مصر فقابل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وفريقاً من علمائه، ثم وضع مناهج سارت عليها المدارس الشرعية الرسمية.. وربما تأثرت بها المدارس الشرعية التابعة للجمعيات[1]. ثم خالفت عنها.
- أسماء الجمعيات أسماء إسلامية مثل الفرقان والفتح، وبعضها يشير إلى أهدافه، مثل التوجيه الإسلامي، والتهذيب والتعليم، وإسعاف طلاب العلوم الشرعية، والتهذيب الإسلامي.. وهكذا.

---

(١) ذكريات ٧/ ١٠٥.

- استمر أسلوب التعليم في هذه المعاهد على طريقة حلقات المساجد المعروفة غالباً وهي فهم عبارة الكتاب المدروس وحفظه، وحلّ مسائله العويصة القديمة.
- قامت معاهد الجمعيات على أموال المحسنين الذين كانوا يدفعون إليها زكاة أموالهم وصدقاتهم، ويقدمون إليها فوق ذلك معونات غذائية وثياباً للصيف والشتاء[1].
- حين أحدثت وزارة الأوقاف صارت تبعية هذه المعاهد لها، وأشرفت عليها مديرية التعليم الشرعي.
- تحول بعض هذه المعاهد إلى ثانويات شرعية، تشرف عليها وزارة الأوقاف، وتضع لها برامجها، وتؤلف لها الكتب المقررة.. ويتقدم طلابها للامتحانات مع طلاب الثانوية الشرعية.

(١) حتى إن بعض المحسنين كان يتبرع للطلاب بدراجات هوائية لتنقلاتهم، كما يتبرع بأموال عينية لكل طالب، وبعضهم يتبرع لجميع الطالبات على مستوى واحد لئلا تتأثر الطالبة الفقيرة وتنزعج.

# الباب الخامس

# مدارس الطوائف والإرساليات التبشيرية

تمهيد

أولاً- مدارس الطوائف الأهلية

- مدرسة الآسية المختلطة للروم الأرثوذكس
- المدرسة البطريركية للروم الملكيين الكاثوليك
- مدرسة راهبات المحبة (البيزانسون) للروم الكاثوليك
- مدارس الأرمن
- مدارس اليهود

ثانياً- مدارس الإرساليات التبشيرية:

- المدرسة اللعازارية للكاثوليك
- المدرسة الإنجيلية الوطنية للبروتستانت
- المدرسة الإيطالية للكاثوليك
- مدرسة الفرنسيسكين للكاثوليك
- مدرسة البعثة العلمانية الفرنسية (اللاييك)

خلاصة ونتائج

# تمهيد

قامت مدارس الطوائف في المناطق التي يقيم فيها المسيحيون، الذين لا يرغبون بتعليم أولادهم في مدارس المسلمين الأهلية التي تركّز على العلوم الإسلامية. وربما لا يعجبها المنهاج المعتمد في المدارس الرسمية التي عزف عنها كثير من المسلمين أيضاً، كما رأينا في الحديث عنها[1].

هذا وقد تداعى إلى تأسيس هذه المدارس منذ القرن التاسع عشر الميلادي جمعيات خيرية مدعومة من الكنيسة[2]، وما زالت تنمو منذ أواخر القرن المذكور، ثم نشطت في بدايات القرن العشرين، وازدهرت في أواسطه، كما يعرف الذين شايعوها آنذاك، وعرفوا إقبال الطلاب عليها، حتى من المسلمين، طمعاً في اكتساب اللغة الأجنبية لعنايتها بها[3].

وهذه المدارس الوطنية أساساً عنيت باللغة العربية، مع ملاحظة ما ذكره الأستاذ محمد المبارك، فقال: «وقد مرت المدارس المسيحية من ناحية تعليم العربية بأدوار ثلاثة؛ فقد نبغ في القرن الماضي [أي التاسع عشر] في هذه المدارس رجال برزوا في ميدان اللغة والأدب، ثم أتى عليها بعد ذلك دور آخر غشيتها فيه سحابة من الإهمال للغة العربية، ظلت مدة من الزمن، فضعفت فيها الثقافة العربية من جهة، وكان لها من جهة ثانية مناهج مستقلة خاصة بها، فكانت الصلة بينها وبين المدارس العربية الرسمية ضعيفة. ولكنها الآن ولله الحمد دخلت في طور جديد، فجددت الهمة، وأحلت اللغة العربية المحل الأول،

---

(١) انظر الباب المتعلق بالمدارس الابتدائية الأهلية.

(٢) التعليم في سورية ٣٦.

(٣) قال الشيخ علي الطنطاوي: أقيمت هذه المدارس في الأصل للنصارى، ولكن كان يدخلها بعض المسلمين، بحجة تعلّم اللغة الأجنبية. ومن أعجب العجب أن شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي، ومؤسس دار التوحيد بالرياض تعلم مدة في المدرسة اللعازارية، وفيها تعلم اللسان الفرنسي. وكان دخوله إليها فتنة (ذكريات ١/ ٣٠).

ووحدت برامجها مع المدارس العربية الرسمية، وأشركت عدداً من أساتذة هذه المدارس في التعليم عندها، وحرصت على توثيق الصلات الثقافية العامة، وقامت بذلك بقسطها من الواجب الوطني، لتخرج شباباً أكفياء قادرين على خدمة بلادهم ولغتهم خدمة يسجل فضلها لتلك المدارس التي أنشأتهم»[1].

ولقد كان لمدارس الطوائف والإرساليات حضور فاعل في الثقافة والتأثير في مجتمع دمشق حتى عام ١٩٦٣ حين وضعت الدولة أيديها عليها، وأخضعتها للمراقبة المباشرة، وعينت لها وللمدارس الخاصة الأخرى مديرين مشرفين من طرفها.. فصارت برامجها كبرامج مدارس الدولة، ولم يعد لها ميزة خاصة سوى العناية باللغة الأجنبية.

وهذا إحصاء لمدارس الطوائف بدمشق منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وبدايات الرابع عشر (١٨٧٦م) كما أدرجه الدكتور خالد قوطرش[2]:

## أ- مدارس الذكور (في حي القصاع)

### * مدرسة الروم الأرثوذكس:[3]

تعلّم العربية وآدابها والتركية واليونانية والفرنساوية والجغرافيا والحساب. فيها (٧) معلمين و(٢٩٠) تلميذاً. نفقتها السنوية نحو (٤٠) ألف قرش (٤٠ ألف فرنك فرنسي) يتبرع بها أبناء الطائفة، ومن إيرادات خاصة بها. ولها نشرة سنوية في أعمالها.

### * المدرسة الإنجيلية[4]

---

(١) من مقالته «المدارس الخاصة، ووحدة الثقافة في البلاد العربية». والأستاذ محمد المبارك (١٩١٢-١٩٨١م) لغوي بحاثة مرب سياسي ولد بدمشق وأفاد من والده اللغوي العالم الشيخ عبد القادر كثيراً، وحضر دروس كبار العلماء حصل على شهادتي معهد الحقوق ومدرسة الأدب العليا من جامعة دمشق، ونال من السوربون إجازة معهد الدراسات الإسلامية، ودبلوم علم الاجتماع، اختير وزيراً في أكثر من وزارة ثم اعتزل السياسة منصرفاً للبحث والعلم، أستاذ كلية الشريعة عند إنشائها عام ١٩٥٤ وكان أستاذاً بأكثر من جامعة عربية، وأسهم في التخطيط لها. توفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع. له مؤلفات عديدة (إتمام الأعلام ٢٥٢، ط٢).

(٢) التعليم في سورية ٣٧ نقلاً عن نعمان قساطلي في كتابه الروضة الغناء بدمشق الفيحاء المطبوع عام ١٨٧٦م.

(٣) وهي المدرسة الآسية التي سيأتي الحديث عنها في مدارس الطوائف.

(٤) سيأتي الكلام عنها في مدارس الإرساليات.

*** المدرسة البطريركية الكاثوليكية:**[1]

تدرِّس العربية والتركية والفرنسية، وفيها (١٠) معلمين و(٢٥٠) تلميذاً، ودخلها السنوي من التلاميذ (١٣) ألف قرش، ونفقتها السنوية (٢٥) ألفاً. يدفع البطريرك الفرق من ماله.

*** المدرسة الكاثوليكية السريانية:**

تعلم العربية والفرنسية. فيها (٥٠) تلميذاً، يقوم عليهم معلم واحد.

* مدرسة الأرمن القدماء (الأرثوذكس):

تعلم الأرمنية، فيها (٢٥) تلميذاً، عليهم معلم واحد.

*** مدرسة السريان اليعاقبة (الأرثوذكس):**

تعلم العربية والسريانية، فيها (٢٥) تلميذاً، ومعلم واحد.

*** المدرسة اللعازارية:**[2]

تعلم العلوم الدينية والعربية وآدابها والفرنسية واللاتينية والحساب والتاريخ والجغرافيا، فيها (١٦٠) تلميذاً، عليهم (٨) معلمين.

*** مدرسة الآباء الفرنسيسكانيين:**[3]

تعلم مبادئ العربية فيها (٥٠) تلميذاً، عليهم معلم واحد.

## ب- مدارس الذكور (في حي الميدان)

*** المدرسة الكاثوليكية:**

فيها (٦٠) تلميذاً، ومعلم واحد.

*** المدرسة الأرثوذكسية:**

فيها (٤٥) تلميذاً، ومعلم واحد.

---

(١) سيأتي الكلام عنها في مدارس الطوائف.

(٢) سيأتي الحديث عنها في مدارس الإرساليات.

(٣) كان يدرس بمدرسة الآباء الفرنسيسكانيين معلم يسمى عبد المعطي مسابكي، قتل في فتنة ١٨٦٠م هو وإخوته ورهبان المدرسة الأجانب، وكان معظمهم من إسبانيا (الباحث إلياس بولاد).

* المدرسة الإنكليزية:

فيها (٤٥) تلميذاً أيضاً، ومعلم واحد.

## ج- مدارس الإناث (في حي القصاع)

* مدرسة الروم:

تعلم العربية والفرنسية والحساب والجغرافية، فيها (١٥٠) تلميذة و(٤) معلمات.

* المدرسة الإنكليزية:

تعلم العربية والإنكليزية والحساب والجغرافية، فيها (١٣٠) تلميذة، و(٥)معلمات.. بعضهن من اليهود.

* المدرسة اليسوعية :

تعلم العربية والفرنسية، فيها (١٤٠) تلميذة، و(٤) معلمات.

* المدرسة اللعازارية:

أوسع مدارس الطوائف للإناث، فيها (٥٠٠) تلميذة، و(١٤) معلمة.

* المدرسة الإسلامية الإنكليزية:

أنشئت عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، فيها (٣٥) تلميذة، ومعلمة واحدة[1].

## د- مدارس الإناث (في حي الميدان)

* مدرسة الكاثوليك:

فيها (٦٠) تلميذة ومعلمتان.

* المدرسة الإنكليزية:

فيها (٥٥) تلميذة ومعلمتان.

قدمت هذه المدارس خدماتها التعليمية في وقتها، حتى توقفت الضعيفة منها، ولم تثبت إلا المدارس المتمكنة القوية.

(١) لم يذكر القساطلي ولا الدكتور قوطرش شيئاً عن مواد الدراسة فيها، ويبدو من اسمها أنها تعلم العربية، ومبادئ الإسلام إلى جانب الإنكليزية.

أما مدارس الإرساليات فقد تأسست مع بدايات الحملات التبشيرية للشرق، إبان حملة إبراهيم باشا المصري على سورية، وخصوصاً البعثات الفرنسية التي حاولت منذ القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي الحصول على تراخيص في عاصمة الخلافة العثمانية، وفي بلاد الشام[1].

وأقدم مدرسة لتلك البعثات إلى دمشق هي المدرسة اللعازارية التي افتتحت عام ١٨٢٩م في حي النصارى بباب توما.. محلة أسفل التلة في بناء واسع ذي طابقين تابعة لديرهم (le couvent des lazaristes)، ثم أخذت المدارس المماثلة تنتشر بعدها[2].

ثم أنشئت مدرسة الفرنسيسكين للبنات بحي الشعلان ومعها دير الآباء الفرنسيسكان. قامت بعدها مدرسة الآباء الفرير شمال شارع أبي رمانة.. وأقيم معهد البعثة العلمانية الفرنسية (اللاييك)[3] في بناء ضخم على شارع بغداد..

وكل هذه المدارس ازدهرت في مرحلة الانتداب الفرنسي، وهي فرنسية كلها، وذلك لأن سورية ولبنان منطقة نفوذ فرنسا، بحسب اتفاقية سايكس ـ بيكو المنعقدة إثر انتصار الحلفاء (الإنكليز والفرنسيين) في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) على الدولة العثمانية، ودول المحور (ألمانيا وإيطاليا) ومن والاها.

ويرى الباحثون أن هذه المدارس الأجنبية أنشئت لنشر نفوذ الدول التي أسستها عن طريق نشر ثقافتها تمهيداً لاستعمار هذه الأقطار، بعد سلخها عن الدولة العثمانية[4]،

---

(١) التعليم في سورية ٤١. وحينما دخل إبراهيم باشا دمشق عام (١٨٣٠-١٨٤٠) فتح الباب على مصراعيه أمام النفوذ الغربي فسمح للإرساليات المسيحية بافتتاح مدارس وممارسة أنشطة تبشيرية وإقامة مراكز تجارية، فاستغلت الدول الغربية الفرصة لتعزيز نفوذها، وافتتحت قنصلياتها، وادعت من أجل أن تتدخل في الشرق أنها تريد حماية الطوائف، واختصت كل دولة بطائفة بعينها، فكان من نتيجة ذلك أن تعرضت دمشق لأحداث دموية محزنة بعد خروج إبراهيم باشا في أعوام (١٨٤٢، ١٨٤٥، ١٨٥٨، ١٨٥٩)، وقد كانت بمنزلة مقدمات لأحداث فتنة ١٨٦٠ المروعة، التي سقط فيها آلاف القتلى على ما يذكر، في أعقاب الهجوم الذي قام به رعاع المدينة، وكان هدفهم القنصليات الأجنبية ومقر البعثات التبشيرية في حي النصارى (من كتاب دمشق الشام، ص١٨٣ دمشق، هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٨م).

(٢) التعليم في سورية، السابق.

(٣) اللاييك: كلمة فرنسية تعني غير ديني، أي مدنيّ.

(٤) عن كتاب جمال الدين القاسمي ٥٢.

وهذا يصدُق خصوصاً على المدرسة اللعازارية التي وطّأت لتلك الثقافة، في حين جاءت المدارس المماثلة بعد الانتداب عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م[١].

كانت تلك المدارس تعلم التركية والعربية والفرنسية والإنكليزية والرياضيات والجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية والرسم والأشغال اليدوية والموسيقا والرياضيات.. وكان المعلمون فيها من المواطنين وقسم منهم أغرابٌ[٢].

ويبدو أن الحكومات في سورية كانت تحذر تلك المدارس، وتعدها ذات رسالة سياسية، إذ إن الدولة بعد حرب السويس عام ١٩٥٦م (العدوان الثلاثي على مصر) وضعت مدارس البعثات الأجنبية تحت الرقابة، فعينت لكل منها مشرفاً من طرف وزارة المعارف[٣]، وكانت المهمة الأساسية له مراقبة البرامج، والنظر فيما يمكن أن يقع من مخالفات تمسّ الوطن.

لكن هذه المدارس أحدثت، ولا شك حركة ثقافية نشطة في دمشق خاصة والمدن السورية الكبرى، أثرت في عقلية الطبقة الميسورة التي كانت ترسل أبناءها إليها[٤].

وقد بقيت مع الأيام على نشاطها وطريقتها، وأقبل عليها الطلاب، وكان لها حافلات تنقل الطلاب من الأحياء البعيدة، تيسيراً لانتسابهم إليها، إلى أن صدرت المراسيم الجمهورية بعد عام ١٩٦٣م بتأميمها، فانضوت تحت المنهج الوطني للمدارس الرسمية، ولم يبق لها إلا الاسم.. وإن كانت تعمل على التميز في الأداء التربوي والتعليمي.. وانتهى ذلك الزخم القديم في الأسلوب وخاصة فيما يتعلق بقوة اللغة الأجنبية.

---

(١) السابق.

(٢) التعليم في سورية ٤١.

(٣) السابق.

(٤) السابق ٤٢.

# أولاً- مدارس الطوائف الأهلية

## مدرسة الآسية المختلطة[1] للروم الأرثوذكس[2]

تتبع هذه المدرسة بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، وهي مؤسسة تربوية وطنية أنشأتها البطريركية والرعية الأرثوذكسية الدمشقية والرئاسة الروحية ممثلة بالبطريرك على مساحة الكرسي الأنطاكي.

تعدّ الآسية[3] أقدم مدارس دمشق المماثلة لها، إذ إنها ظهرت على الساحة عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م على يد البطريرك أفتيموس كرمة. ثم عمل على تطويرها خليفته البطريرك مكاريوس الزعيم بدءاً بعام ١٦٤٧م، وتابع التطوير المتميّز المعلم داود القسطنطيني عام ١٠٧٨هـ/ ١٧٦٧م لتكون كمدارس القسطنطينية الأرثوذكسية آنذاك.

بعدئذ وللظروف التي صاحبت الحكم التركي تراجعت عطاءات المدرسة من بدايات القرن التاسع عشر لتكون مجرّد كتّاب بسيط.. حتى أعاد بعثها عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م البطريرك متوديوس عندما تولى رئاسة البطريركية وبمساعدة القنصل الروسي بدمشق قسطنطين فاسيلي.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث بالدرجة الأولى على مقالة كتبها الدكتور جوزيف زيتون، أمين الوثائق البطريركية، ومنه المصطلحات الواردة فيها، وتواريخ البدايات، ثم ما وقعت فيها على وثائق، وعلى كتاب «الروضة الغناء بدمشق الفيحاء» لنعمان قساطلي، ومقالة البحاثة الخوري أيوب سميّا، منشورة في مجلة النعمة.

(٢) الأرثوذكسية طائفة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، طائفة مسيحية انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كيرولاڤوس بطريرك القسطنطينية ١٠٥٤م، انتشرت في روسيا والبلقان واليونان والشرق الأدنى (المسيحية لأحمد شلبي، منجد الأعلام).

(٣) ذكر الدكتور جوزيف زيتون أن الآسية بتسهيل الياء المفتوحة تعني العمود، تجمع على أواسٍ، يقال مُلك ثابت الأواسي، أي راسخ الأركان. أما الآسيّة بالتشديد فشجرة الآس ذات الرائحة الزكية، وقصد المعنيّون بالمؤسسة أنها تجمع بين المعنيين؛ البنيان العلمي الثابت والرائحة الزكية.

وكان في الكتاتيب الخفية غرفة كتّاب غير صحية، يمر بها مجرور المياه المالحة، أنشأه في الربع الأول من القرن التاسع عشر على خوف من جواسيس الأتراك شاب يدعى يوسف مهنا الحداد، كان قد تلقى بدايات علمية في الآسية نفسها.. وعمل بعدئذ على تثقيف نفسه ذاتياً.

ثم أجمعت عليه الرعية الأرثوذكسية ليكون في خدمة الكهنوت، فلما رُسم كاهناً أقفل كتّابه ونقل تلامذته عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٣٦ إلى المدرسة الآسية التي أعاد نشاطها البطريرك متوديوس المذكور آنفاً.

وكان في المدرسة قاعة كبيرة قسمها الخوري يوسف مهنا الحداد قسمين، جعل بينهما ساتراً قماشياً لتصير صفين، كان هو يعلم في أحدهما العربية وآدابها والرياضيات والعلوم الروحية ومبادئ اليونانية والخط، في حين أخذ رفيقه اليوناني يني بابادوبولس الهارب من ظلم الأتراك يعلم اليونانية وآدابها واللغة التركية. وكان يتعلم العربية في الوقت نفسه من الخوري يوسف.

تطورت المدرسة إبان حملة إبراهيم باشا المصري ١٨٣١-١٨٤٠م حين صدرت موافقته على ترميم الكنائس القديمة وبناء الجديد[1]، فحصل تغيير جذري في أوضاع المسيحيين، وإذ ذاك نقلت المدرسة من الصرح البطريركي إلى بيت وقفي كبير في منطقة المريمية المجاورة لشارع الأمين بالحارة التي كانت تسمى طالع القلقاس، وفي عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م عمل الخوري يوسف المذكور على تطوير المدرسة، فكان أول إجراءاته القيام على توسيعها، وعيّن لها وكلاء أمناء على نهجه للارتقاء بها. وألغى ما كان يعرف بالسبتية[2]، وحدّد بدلها رواتب للمعلمين تدفعها الإدارة.

نشطت المدرسة بعد تلك الإجراءات، وارتقى التعليم فيها، حتى إنّ الخوري يوسف افتتح في عهد البطريرك إيروثيوس وبمباركته فرعاً عالياً للتعليم اللاهوتي الأكاديمي،

---

(١) انظر مقدمة هذا الباب في الحاشية التي تشير إلى إبراهيم باشا.

(٢) السبتية أجرة يدفعها ولي التلميذ للمعلم كل يوم سبت، وهو آخر أيام الأسبوع عند المسيحيين، ويقابلها عند المسلمين الخميسية المعروفة.

بقصد إنشاء كلية لاهوتية تضاهي الكليات الأرثوذكسية المماثلة في خالكي (القسطنطينية) وأثينا، وبطرسبرغ وموسكو. التحق بهذا الفرع ١٢ طالباً، تخرجوا به وتفوقوا.

وافتتح الخوري يوسف كذلك فرعاً عالياً للموسيقا الكنسيّة البيزنطية يماثل المعاهد الموسيقية العالمية وقتذاك، وهو مكمّل للأكاديمية اللاهوتية.

وبذلك يكون قد أنشأ في المدرسة كليتين جامعيتين، وبدأ يعدّ لتأسيس جامعة على شاكلة الجامعات الأوربية مزودة بمطبعة حجرية لإصدار كتب علمية وأدبية ولاهوتية، كان بعض الطلاب يعرّبونها. إلا أن الأوضاع المالية للبطريركية وللرعية حالت دون إتمام المشروع مما أدى إلى إرجائه.

وكان الخوري يوسف وضع موادَّ لستِّ كليات جامعية، كانت تدرّس في الصفوف العالية للمدرسة، منها الفلسفة والمنطق والتشريح والطب، وآداب اللغات؛ العربية واليونانية والتركية والعثمانية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية.. فكان الطالب الحائز على شهادة المدرسة كأنه تخرج في عدد من الكليات الجامعية.

وما زالت المدرسة في ارتقاء حتى بلغ عدد المنتسبين الذكور والإناث، قبل فتنة عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م وفي جميع المراحل من الحضانة إلى صف الشهادة الثانوية (٣٦٠) طالباً.. وهو عدد غير قليل بالقياس إلى عدد السكان في دمشق.

وحين قامت فتنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م دمرت المدرسة تماماً، ولم ينج من إداريها ومعلميها غير ميخائيل كليلة أحد وكلائها، وقد فرّ بطلابها إلى بيت الأمير عبد القادر الجزائري بمحلة العمارة الجوانية، وقام رجاله على حراستهم، حتى نقلهم إلى قلعة دمشق.. وبذلك توقفت المدرسة نحو عقد من الزمن، وانتهى مشروع الجامعة فيها.

وفي سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م تقريباً بدأت المدرسة، وبهمة وكيليها إلياس قدسي وميخائيل كليلة تفتح صفوفها تدريجياً من الأدنى حتى مستوى الشهادة الثانوية، وأدارها إذ ذاك السيد جبران لويس وقلة من الغُير، ساروا بها وئيداً، حتى تولى الكرسي الأنطاكي البطريرك ملاتيوس الدوماني الدمشقي عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م فاستطاع مع شحّ الموارد

أن يقفز بالمدرسة مجدداً، وتابع خطواته البطريرك غريغوريوس حداد منذ ١٩٠٦م وبوتيرة متصاعدة.. فعادت المدرسة إلى المكانة التعليمية الأولى بين نظيراتها الدمشقية الخاصة والعامة.

وقد ذكر نعمان قساطلي في كتابه الروضة الغناء[1] أن المدرسة ضمت في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ٧ معلمين و٢٧٠ تلميذاً، وأن نفقتها السنوية بلغت ٤٠٠٠٠ قرش.

وفي النشرة التي أصدرتها المدرسة في أيلول ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م نرى أن نفقاتها السنوية وصلت إلى ٤٩٦١٤ قرشاً، وأن فيها آنذاك ١٧ معلماً و٥ معلمات، وتضم ٣٣٣ تلميذاً و١٣١ تلميذة.

وخطت المدرسة خطوات أكبر بقيام الدولة العربية (١٩١٨-١٩٢٠م) وقد خصها الملك فيصل بن الحسين[2] آنذاك بعنايته فزارها، غير مرة، وقدم لها معونة مالية.

استمرت المدرسة بعدئذ في تطورها باهتمام كل من البطاركة اللاحقين؛ الكسندروس طحان، ثيوذوسيوس أبو رجيلي، إلياس معوض، إغناطيوس هزيم.. وفي عهد هذا الأخير أحدثت المدرسة فرعاً لها في بلدة جرمانا.

ويتولى الإشراف على مدارس الآسية حالياً (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م) البطريرك يوحنا اليازجي.

كانت لجنة الآسية منذ عام ١٨٧٧م تصدر في ختام كل عام دراسي (بيان أعمال) عن واقع المدرسة من حيث الوضع التربوي والإداري والمالي.

وكان الأديب المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف وضع لها عام ١٩١١م قانوناً ونظاماً تعليمياً، كان الأسبق من نوعه في مدارس دمشق، صدّقه البطريرك غريغوريوس، وعُمل به تحت رعاية المجلس الملي البطريركي (شبيه برلمان) ولجنة المدارس العلمية والوقفية

---

(١) طبع في بيروت سنة ١٨٧٩م.

(٢) فيصل بن الحسين (١٨٨٣-١٩٣٣) أشهر الساسة العرب في العصر الحديث، ولد في الطائف وحين اندلعت الثورة العربية بقيادة أبيه في الحجاز تولى القيادة العامة للجيش العربي، ودخل دمشق عام ١٩١٨ بعد خروج الأتراك منهزمين في الحرب العالمية الأولى، فحكم سورية حتى عام ١٩٢٠، ومنها خرج بدخول الفرنسيين إليها، ثم تولى ملكاً على العراق حتى وفاته (الأعلام ٥/ ١٦٥).

والمالية المنبثقة عنه.

هذا ويذكر أن المدرسة اهتمت منذ قيامها بإقامة خزانة كتب، دمّرت في فتنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، وأعيد تأسيسها عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تأسست في المدرسة فرقة كشافة بموسيقاها، تعدُّ الأولى من نوعها بدمشق، كان لها نشاطاتها، وخاصة في المناسبات الوطنية والدينية.

وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧ صدر نظام داخلي جديد، عدّل به النظام القديم، ليتوافق مع روح العصر وأوضاع المدرسة.

وللآسية عيد سنوي في ٣٠ كانون الثاني، تحتفل به منذ تأسيسها، يسمى عيد الأقمار الثلاثة القديسين باسيلوس الكبير، وغريغوريوس اللاهوتي، ويوحنا الذهبي.

وفي عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م احتفلت المدرسة باليوبيل الذهبي الأول، ثم في عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م احتفلت بمرور ١٥٠ سنة على إعادة تنظيمها برئاسة البطريرك إغناطيوس، حضره عدد من الوزراء والخريجون القدامى، وصدر بذلك كتاب «الآسية مسيرة قرن ونصف ١٨٤٠-١٩٩٠».

أدار المدرسة التابعة للبطريركية الأرثوذكسية، وأشرف عليها كما رأينا كل من:

- البطريرك أفتيموس كرمه ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م
- البطريرك مكاريوس الزعيم ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م
- البطريرك داود القسطنطيني ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م
- البطريرك متوديوس ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م
- الخوري يوسف مهنا الحداد (القديس يوسف الدمشقي) ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م حتى وفاته بأحداث فتنة ١٨٦٠م (توقفت المدرسة من ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م حتى عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م).
- وكلاء البطريرك إيروثيوس ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م وهم (إلياس قدسي وميخائيل كليلة وجبران لويس).

ثم تتابع البطاركة بإشرافهم المباشر على المدرسة على النحو الآتي:

- البطريرك ملاتيوس الدوماني الدمشقي ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م
- البطريرك غريغوريوس حداد ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م
- البطريرك الكسندروس طحان
- البطريرك ثيودوس أبو رجيلي
- البطريرك إلياس معوض
- البطريرك إغناطيوس هزيم
- البطريرك يوحنا يازجي ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

وممن أدار المدرسة في القرن العشرين:

- عيسى المعلوف، وكان من مدرسيها كذلك (وهو من طلابها من قبل)[١].
- فارس الخوري[٢] وكان من مدرسيها
- المطران إثناسيوس كليلة
- د. م. ميشيل كزما
- د. جميل صليبا[٣]

---

(١) عيسى المعلوف (١٨٦٩-١٩٥٦): مؤرخ باحث من أعضاء المجمع العلمي العربي من أسرة حورانية الأصل ولد في قرية كفر عقاب بلبنان، تعلم بالمدرسة الآسية، عمل بالصحافة، وجمع مكتبة نفيسة. توفي في زحلة، له مؤلفات. (الأعلام ٥/ ١٠١).

(٢) فارس الخوري (١٨٧٣-١٩٦٢): من رجال السياسة والأدب، ولد في قرية الكفير التابعة لقضاء حاصبيا بلبنان وتعلم في الكلية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية فيما بعد) انتخب نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثان، أستاذ في معهد الحقوق بدمشق، عضو المجمع العلمي العربي، تولى أكثر من وزارة،ترأس مجلس النواب فرئاسة الوزراء. توفي بدمشق (الأعلام ٥/ ١٢٨).

(٣) جميل صليبا (١٩٠٢-١٩٧٦): من رواد المتخصصين بالفلسفة في سورية المعاصرة، ولد في قرية القرعون بلبنان، وانتقل إلى دمشق، ولما حصل على الثانوية من مكتب عنبر أوفدته الحكومة إلى السوربون، فنال الدكتوراه في الفلسفة، وشهادة في التربية وعلم النفس. وتقلب في مناصب الدولة، عضو المجمع العلمي العربي. له مؤلفات في تخصصه، توفي ببيروت، ودفن بدمشق (إتمام الأعلام ص٩٩، ط٢).

- جورج لاذقاني
- ندرة اليازجي
- غريغوريوس جبارة (مطران حماة) -١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م
- غطّاس بطرس قندلفت
- غفرائيل شاتيلا (مطران بيروت) -١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م
- متري المرّ (موسيقي)
- البطريرك ملاتيوس الدوماني الدمشقي (أحد كبار البطارقة للكرسي الأنطاكي) -١٩٠٦م
- موسى الدوماني (والد البطريرك ملاتيوس)
- يوسف مخلّع (أول مرتلي الكرسي الأنطاكي)

هذا وقد طال المدرسة قرار الدولة عام ١٩٦٣م في وضعها تحت إشراف وزارة التربية كغيرها من المدارس، وغدت على منهاج الوزارة المذكورة.

وتذكر نشرة أصدرتها المدرسة عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م أنَّ من معلميها: جراسيموس مسرة، مكاريوس الحرستاني، الكسندروس الطحان (صار بطريركاً عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، أثناسيوس عطا الله، بطرس سعد، الشيخ ظاهر خير الله، إسكندر شامية، سلمى اليازجي.

ومن المدرسين الذين علّموا بها في أخرة: جرجي حداد[1] (معلم العربية)، وكان من طلابها، توفيق شامية، خليل الله ويردي (موسيقي)، ميشيل فرح، شحادة الخوري، المطران إبيغانيوس، البطريرك إلياس معوض، ميلاد الشايب.

ومن الطلاب الذين تخرجوا بالفرع العالي: اسكندر الطوى، بولس أبو عضل (مطران لبنان) -١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩، جرجي مرقص، خليل الله ويردي، ديمتري شحادة، سليم المدرّي، كمال القزح.

---

(١) الأعلام ٢/ ١١٧ وذكر وفاته ١٩١٦م.

# المدرسة البطريركية
# للروم الملكيين الكاثوليك[1]

أسسها البطريرك غريغوريوس الأول[2] وسماها «الفضيلة والعلم»، وضع أُسس إنشائها بحي المصيطبة في بيروت. بعد انتهاء فتنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م.

أقيمت المدرسة في حارة الزيتون بمحلة باب شرقي، على أنقاض مدرسة قديمة تسمى مدرسة يوحنا الدمشقي ومستشفى (بيمارستان) كانا موجودين عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م،احترقا في أحداث عام ١٨٦٠م وبقي مكانهما معطلاً حتى عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م حين بوشر ببناء المدرسة البطريركية إلى أن أنجز بناؤها عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، مؤلفاً من طبقة واحدة بجناحين يحيطان بباحة في نحو ٣٥٠م٢.

افتتحت المدرسة للذكور فقط في أول آذار من العام المذكور، فهي بذلك من أقدم المدارس الكبرى للطوائف الأهلية.

أنفق مؤسس المدرسة على إنشائها ما يزيد على ألف ليرة ذهبية، دفعها من حسابه، بما يعادل ٥٠٠ ألف فرنك فرنسي[3].. ثم كان دخلها السنوي في بدايتها ١٣ ألف قرش من

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على مقال كتبه الأستاذ إلياس بولاد بعنوان «مدرسة الفضيلة والعلم المدرسة البطريركية نموذج الوحدة الوطنية» وقد تعلّم صاحب المقال في المدرسة المذكورة حتى نهاية المرحلة الإعدادية، رجع فيه مع معلوماته الشخصية إلى كتاب «الفضيلة والعلم، المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك بدمشق: للذكرى والتاريخ» حريصا ـ لبنان، مطبعة القديس بولس، ١٩٤٢م، وإلى «لمحة تاريخية في المدرسة البطريركية بدمشق» للخوري إغناطيوس قروشان.

(٢) غريغوريس الأول (١٨٢٣-١٨٩٧م)، واسمه يوسف ستور، ولد في مدينة رشيد بمصر، ولما نشأ انتظم في سلك الرهبانية، وتعلم اللاهوت في روما، ومنها نال دكتوراه الفلسفة. عرف الإيطالية واللاتينية واليونانية. رسم أسقفاً على كرسي عكا، ثم بطريركاً على كرسي أنطاكية والإسكندرية وأورشليم وسائر المشرق. منحه السلطان العثماني عبد العزيز الوسام المجيدي من الصنف الأول. أسس إلى جانب بطريركية دمشق مدرستين بطريركيتين في القاهرة والإسكندرية. توفي بدمشق (الترجمة عن الباحث أ. إلياس بولاد).

(٣) التعليم في سورية ٣٧، وكانت الليرة الذهبية الواحدة كما يذكر السلف تكفي مصروف أسرة من ستة أشخاص =

رسوم الطلاب السنوية، وربما من تبرعات المحسنين، ونفقتها ٢٦ ألفاً.. يدفع البطريرك الفرق من ماله[١].

قامت المدرسة في بداياتها على المرحلة الابتدائية، فانتسب إليها (٢٥٠) تلميذاً، تولى تعليمهم (١٠) معلمين. يتلقون ما تعلمه المدارس الأخرى من نظائرها الرسمية، من العلوم العامة والفلسفة والعلوم التطبيقية مع العناية باللغة الفرنسية والتركية. ثم توسعت إلى المراحل العليا الإعدادية والثانوية، وأضافت اللغة الإنكليزية، هذا فضلاً عن عناية المدرسة بالنشاطات العامة وخاصة الفرقة الكشفية إلى جانب اهتمامها بالرياضة والرحلات.

وتطورت المدرسة وازدهرت حتى بلغ أوج ازدهارها في ثمانينات القرن الرابع عشر الهجري/ ستينات القرن العشرين الميلادي، وكان لها حافلة أو أكثر لنقل طلابها من الأماكن البعيدة في المدينة.

انتسب إليها بالإضافة إلى المسيحيين طلاب من المسلمين واليهود.. وكان للمسلمين دروس في التربية الدينية، ينفصلون عن المسيحيين في دروسهم الدينية كذلك.

ثم شملت المدرسة قرارات التأميم عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، وسميت عند ذلك مدرسة العناية الخاصة، فتأخر حالها، تحولت بعدها إلى مدرسة ابتدائية، حتى أغلقت في منتصف السبعينات.

وهذه قائمة بأسماء الهيئة الإدارية في المدرسة للعام الدراسي ١٩٤١/ ١٩٤٢م:

الأب أثاناسيوس فرح البولسي: رئيس المدرسة

الأب نقولا نعمان البولسي: مدير الدروس (المدير العلمي)

الأب مكسيموس شلهوب البولسي: مدير النظام (المدير الإداري)

الأب يوسف نصر الله

---

=على الأقل مدّة شهر بحياة كريمة.

(١) السابق.

وجاء في قائمة المدرسين لذلك العام:

د. أدولف بليط: (الأدب الفرنسي) محمد المبارك: (الأدب العربي)

معروف النحاس: (الرياضيات) وجيه السمان: (العلوم الطبيعية)

نظيم الموصلي: (التاريخ والجغرافية) أمين دهبر: (الترجمة)

موسى الحلبي: (حسن الخط) ياسين طربوش: (اللغة العربية)

محب الله النابلسي: (الرياضيات) جوزيف وهبة: (اللغة الإنكليزية)

جوزيف دياب: (الرياضيات) أرسين بارسفيان: (الرياضيات)

رشدي حامد: (اللغة العربية) إحسان خنشت: (اللغة الفرنسية)

يوسف خوري: (الموسيقا)

وقد تحدث المؤرّخون عن المدرسة البطريركية في مراحل متعددة، ففي عام ١٩١١م كان منهاجها على النحو الآتي:

(اللغة الفرنسية) ٩ حصص (اللغة العربية) ٨ حصص

(التعليم الديني المسيحي) ٨ حصص (اللغة الإنكليزية) ٥ حصص

(الحساب) ٥ حصص (الجبر )حصة واحدة

العلوم (الفيزياء والكيمياء وتاريخ العلوم الطبيعية) حصة واحدة.

كما ذكروا أن التعليم المسيحي والحساب والجبر والهندسة والخط العربيّ تدرّس بالعربية، وباقي المواد تعطى بالفرنسية ـ اللغة الرسمية المعتمدة بالمدرسة ـ وهي التاريخ والجغرافية. أما اللغة التركية والترتيل الكنسي فمادتان اختياريتان.

هذا وتعطى شهادة الثانوية بالمواد التي تدرّس بالفرنسية والمواد العلمية بحضور مندوب القنصلية الفرنسية، وحاملها يتمتع بنظيرتها الفرنسية[1].

---

(١) تاريخ البطريركيات الملكية ص٧١٠ وما بعد، تأليف الأب سيريل شارون، بالفرنسية، مطبوع عام ١٩١١م كما أفاد الأستاذ إلياس بولاد.

ومما يذكر أن المدرسة البطريركية (الفضيلة والعلم) بدمشق وُسِّعت ورممت بسعاية الأب ديمتري سكريّة ما بين عامي ١٣٢٣-١٣٢٨هـ/ ١٩٠٥-١٩١٠م. وذُكر أن فيها بهذا التاريخ نحو ٣٠٠ طالب[1].

ومن مدرسيها في ستينات القرن العشرين بشير العرجا، مازن المبارك، صلاح الزعبلاوي، شهاب الزعبلاوي، وفيق العظمة.

ورصدت المراجع التي صدرت عام ١٩٤٢م أسماء عدد كبير من طلابها، كان منهم فيما بعد موظفون كبار وقضاة وأطباء وصيادلة وتجار ورجال أعمال وصحفيون.

وهذه قائمة بما ذكر منهم.. وبعض هؤلاء قضى في المدرسة سنوات قليلة، ولم يتخرج بها:

إبراهيم زنانيري، إبراهيم ضباعي، إبراهيم كحلا، إبراهيم مردم بك، إبراهيم منصور فرح، أحمد رجلة، أحمد كرد علي، أحمد اللحام، أدمون برصا، أديب الروماني، اسكندر داود، إسماعيل المالكي، ألبير شماس، ألبير صحناوي، ألبير قيم، الفرد شار، الكسندر عرقتنجي، إلياس بيطار، إلياس جناوي، إلياس حاصباني، إلياس حتحوت، إلياس دمّر، إلياس زغيب، إلياس سطانم، إلياس ضباعي، إلياس طرزي، إلياس فاعور، إلياس قاضي، إلياس نقاش، إلياس وردة، إميل شكور، أنستاس شاهين، أنطون كحلا، أنطون أشقر، أنطون بحري، أنطون بهيت، أنطون جرجي شلهوب، أنطون سليم فارس، أنطون شار، أنطون صاصي، أنطون فرح، أنطون قشيشو، أنطون لكح، أنطون مسابكي، أنطون هنا، أنطون وردة، باسيل فرنسيس غرة، بدري العابد، بشير مهايني، توفيق جناوي، توفيق سمّاك، توفيق شماس، توفيق فرح، توفيق القباني، توفيق هبرة ـ مصر، جبران سكرية، جبران سياج، جبران كاتب، جرجي جناوي، جمال كحال، جميل بندر، جميل نظام، جورج جبارة، جورج زلحف، جورج سارة، جورج شلهوب، جورج صحناوي، جورج عريضة، جورج عنحوري، جورج فارس، جورج كنج، جورج ميخائيل شلهوب، جوزف

(١) السابق.

باخوس، جوزيف وردة، حبيب زيات، حسن الأطرش، حسن عضل، حسني مرادي، حنا عنحوري، حمدي عضل، حميد أنطاكي، حنا مالك، حنين سياج، حنين شلهوب، حنين صحناوي، حنين عرقتنجي، حيدر العظم، خليل ساره، خليل شاوي، خليل شبؤون، خليل عبسي، خليل عنحوري، خليل النبكي، خليل نحاس، خليل الهبل، رامز حلبوني، رسمي القدسي، رشيد غازي، رفيق جلّاد، رفيق حلبوني، رئيف مهايني، زاهد الغزي، زكي الركابي، سليم بطّار، سليم العطار، سليم عنحوري، سليم قريصاتي، سهيل العظم، سهيل مشاقة الكيماوي، شاهر السمان، شفيق حمصي، شفيق العطري، شكري الشربجي، شوكت حلبوني، شكيب أبو زيد، صائب العظم، صبحي القمضاني، صلاح حلبوني، عادل بيهم، عادل حلبوني، عادل قوتلي، عارف طوطح، عبد الرؤوف شبؤون، عبد الله برصا، عبد الله رعد، عبد الله عبسي، عبد الله فلاح، عز الدين خورشيد، عصمت شربجي، عفيف بيهم، عيد قوتلي، عيسى لطفي، غالب حلبوني، غطاس قوزما، فايز الخوري، فريد برصا، فريد شحلاوي، فؤاد جناوي، فؤاد قيّم، فهمي السمان، فوزي العظم، فيكتور عبسي، قسطاكي شحلاوي، قيصر منصور، كامل موصللي، لويس صباغ، مانويل حبيس، محمد حسن قوتلي، محمد علي أجليقين، مسلّم سيوفي، مصطفى الشهابي، مظهر القوتلي، ممدوح مردم بك، منذر المؤيد، منير أبو زيد، موسى أنطون غرّة، موسى ضباعي، موسى غناجه، ميخائيل شلهوب، ميشيل أشقر، ميشيل بنا، ميشيل حتحوت، ميشيل حمصي، ميشيل دمّر، مشيل زنانيري، ميشيل زيّات، ميشيل سارة، ميشيل ضباعي، ميشيل فتال، ميشيل مقحط، ميشيل نحاس، ميشيل نقاش، نجيب قريصاتي، نجيب هواويني، نسيب السمان، نسيب المنيّر، نصري أنطون غرّة، نقولا فرنسيس غرّة، وجيه عنحوري، وديع در، وديع زنبقة، وديع سمّاك، وصف النبكي، يوحنا عنحوري، يوسف الحمصي، يوسف دبوس، يوسف سياج، يوسف صحناوي، يوسف قندلفت، يوسف قيومجي، يوسف كحيل ـ مصر، يوسف مزنّر[1].

(١) كثير من هؤلاء الخريجين كان لهم شأنهم في المجتمع وعرف الدمشقيون سيرتهم.

# النظامات الداخلية

## للقومسيون البطريركي الملي

## وسائر اللجان الخيرية

## لطائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين

## في دمشق

طبع في مطبعة الاصلاح في دمشق

سنة ١٩١١

# قانون المدرسة الليلية

## المعروفة بجمعية القديس نقلاوس شفيع الاحداث

لتعليم اولاد فقرآء عموم الطوائف الكاثوليكية

في دمشق

بدء تأسيسها سنة ١٨٩٢ مسيحية

## في موضوع الجمعية وغايتها

﴿ المادة الاولى ﴾ يراد اساساً من هذه الجمعية انشاء مدرسة لتهذيب الفتيان الفقراء من الطوائف الكاثوليكية بدمشق وتعليمهم المبادئ الدينية والادبية واللغة العربية والحساب . ولما كان هؤلاء الفتيان لا يستغني آباؤهم وذووهم عن اعمالهم النهارية تحصيلاً للقوت فقد جعلت ليلية .

﴿ المادة الثانية ﴾ وضعت هذه الجمعية ذاتها تحت حماية ( القديس نقلاوس شفيع الاحداث ) واتخذته محامياً لها وعاضداً لاعمالها وعليه فعيده الواقع في ٦ كانون الاول هو عيدها الرسمي وعيد المدرسة معاً وفي الاسبوع الواقع فيه العيد تصير خوص المدرسة وجميع احتفالاتها وتوزّع الجوائز على المستحقين وهو يكون ختام كل سنة من سنيها .

﴿ المادة الثالثة ﴾ عندما يتسع نطاق هذه الجمعية يجوز ان يدخل اليها تعليم اللغتين التركية والافرنسية على وجه مطرد .

﴿ المادة الرابعة ﴾ ان التعليم في هذه المدرسة مجاني ويقبل فيه من ابناء جميع الطوائف الكاثوليكية من سكان دمشق .

﴿ المادة الخامسة ﴾ يجب ان يكون اساتذة هذه المدرسة وناظرها من المعروفين بالاستقامة وحسن التدين والقديرين على

التدريس بحسب درجات الصفوف التي يوكل اليهم تعليمها .

﴿المادة السادسة﴾ رواتب هؤلاء الاساتذة تقرر سنوياً باكثرية الآراء او اجماعها في لجنة الجمعية .

﴿المادة السابعة﴾ لهذه المدرسة عطلة سنوية تبتدئ يوم الاحد الذي يلي عيد القديس نقلاوس الواقع في ٦ كانون اول وتنتهي بعد شهر واحد .

﴿المادة الثامنة﴾ يوزع في كل عام اثناء الامتحان العام جوائز على المتفوقين من الطلبة كلاً بحسب استحقاقه . وهذه الجوائز يجب ان تكون من الالبسة التي يمكن للتلامذة ان ينتفعوا بها .

﴿المادة التاسعة﴾ يجب على اعضاء الجمعية الاعتناء بمن انهى دروسهُ الابتدائية من الطلبة بايجاد عملٍ يزاولهُ او مهنةٍ يحترفها وان يكونوا للاولاد بمنزلة الآباء للبنين اي يجب ان يهتموا بمصلحة اولاد المدرسة في مدة النهار ايضاً بان يراقبوهم في اماكن اشغالهم وان يستقصوا عن نجاحهم وكيفية سيرهم ونوع معيشتهم ومعاشرتهم وان يسألوا عن استحقاقهم من الاجور ويلاحظوا ما يوافق مستقبلهم من الصنائع على ما يناسب استعدادهم وبكلمةٍ اصرح نقول انهُ يجب ان يكونوا لهم اعيناً تراقبهم وسنداً يقويهم الى ان يشبوا ويكونوا كفواً لادارة ذواتهم .

﴿المادة العاشرة﴾ ان الطالب الذي يتحقق سوء سيرته ويصر بعد الانذار والنصح على اعوجاجه وزيغه سواء كان من حيث آدابه الخاصة او من حيث عدم الطاعة والانقياد الى رؤسائه يطرد من المدرسة بقرار من الجمعية ·

﴿المادة الحادية عشر﴾ متى اتسع طريق الدخل سواء كان باحسان بعض الافراد او بسبب آخر يجدر بالجمعية اعانة الفقير ان تنشئ فرعاً آخر للصناعات او ان تتخذ لها مكتبة او مستشفى على قدر ما تمكنها مواردها المالية ·

﴿المادة الثانية عشر﴾ ان هذه الجمعية تعتبر في كل احوالها فرعاً من جملة الفروع الخيرية المرتبطة لجانها بقومسيون طائفة الروم الكاثوليك بدمشق · وهي ولئن كانت تقبل في حجرها طلبة من جميع الطوائف الكاثوليكية الا ان ادارتها واوقافها واعمالها من كل الوجوه مرتبطة بطائفة الروم الكاثوليك المؤسسة وحدها لهذا المشروع ولذلك تحسب اوقافها ومقتنياتها عائدة الى الطائفة المذكورة وحدها دون غيرها ·

﴿المادة الثالثة عشر﴾ ان نصب الاساتذة وتبديلهم وترقيهم انما هو من وظائف هذه الجمعية المسؤولة وحدها عن الاعمال الداخلية التي تتعلق بشؤون المدرسة وادارتها ·

﴿المادة الرابعة عشر﴾ ما يلزم للطلبة من كتب وادوات ودفاتر وورق تقدمهُ الجمعية للطلبة مجاناً ·

﴿المادة الخامسة عشر﴾ على الجمعية ان تنشر كل سنة مدرسية خلاصة ماجرياتها المالية وعدد الطلبة من كل طائفة وهكذا يكون الحال فيما اذا أنشيء من قبل الجمعية الفرع الصناعي المنصوص عليهِ في المادة ( ١١ ) من هذا القانون ·

## في تأليف الجمعية وواجباتها

﴿المادة السادسة عشر﴾ تؤلف هذه الجمعية من اثني عشر عضواً ينتخبون بمعرفة القومسيون البطريركي من افراد طائفة الروم الكاثوليك المشهود لهم بالغيرة والاستقامة والاقتدار والحذق بحيث لا تكون سن الواحد منهم دون الحادية والعشرين ·

﴿المادة السابعة عشر﴾ ينتخب هؤلاء الاعضاء رئيساً اكليريكياً يصادق على انتخابهِ غبطة السيد البطريرك · ثم ينتخبون من انفسهم نائباً ومديراً للمدرسة وكاتباً وصرافاً ويلتئم الكل مرةً في كل اسبوعين للنظر في الامور الموكولة اليهم ·

﴿المادة الثامنة عشر﴾ ان نائب الرئيس هو المساعد الوحيد لهُ في ادارة اعمال الجمعية وهو الذي يتولى الرئاسة عنهُ حال غيابهِ

في جميع اشغال الجمعية وهو مع امين الصندوق وكاتم الاسرار مكلفون بامضاء كل المراسلات والوصولات وكل عمل قانوني يلزم امضاؤه رسمياً من الجمعية .

﴿المادة التاسعة عشر﴾ ان القرارات التي تصدر من هذه الجمعية تعتبر صحيحة متى حازت اكثرية آراء المجتمعين بشرط الا يكونوا اقل من ستة اعضاء .

﴿المادة العشرين﴾ لا بد من اتخاذ دفتر لتسجيل اعمال هذه الجمعية وتدوين قراراتها والتوقيع عليها بالامضاء الذاتي في نهاية كل جلسة . اما الوصولات التي تعطى للمحسنين والمخابرات التي تجري مع من يلزم المتعلقة في شؤون الجمعية فيكفي ان تكون ممضاة من الرئيس او نائبه مع امين الصندوق ومختومة بختم الجمعية العام .

﴿المادة الحادية والعشرون﴾ ان ختم الجمعية يحفظ بيد الرئيس ولا يستعمل الا في المواد المبنية على قرار من الجمعية .

﴿المادة الثانية والعشرون﴾ يتجدد انتخاب نصف هؤلاء الاعضاء مرة في كل سنتين ويبقى النصف الآخر ليتجدد انتخابه في عام قابل بحيث لا تستبدل عامة الاعضاء بعام واحد .

﴿المادة الثالثة والعشرون﴾ ان الاعضاء ينتخبون من انفسهم معتمدين للسيطرة على حسن انتظام المدرسة . وهذان المعتمدان يجري

تبديلهما كل شهر مرّة حيثما يتداول هذه الوظيفة على التعاقب كل اعضاء الجمعية .

﴿المادة الرابعة والعشرون﴾ على الكاتب ان يفي واجبات الكتابة سواء كان من حيث ضبط الحساب المالي واجراء المخابرات مع المحسنين وجمع قيم الاشتراك من اربابها وفقاً لما سيرد من هذا القانون او من حيث تسجيل قراراتها وتنظيم اعمالها وفقاً للمادة (٢٠) من هذا القانون .

﴿المادة الخامسة والعشرون﴾ على امين الصندوق ان يضبط قيود واردات الجمعية وصادراتها وان زاد لديه مال يسعى لتوظيفه بقرار من الجمعية بصورة امينة .

﴿المادة السادسة والعشرون﴾ ما زاد سنوياً من الريع عن نفقات الجمعية يعطى منهُ عشرة في المائة الى صندوق الملة الاحتياطي المنصوص عليه في المادة (٤٧) من قانون القومسيون البطريركي .

﴿المادة السابعة والعشرون﴾ ان العقارات العائدة الى هذه الجمعية والتي ستلتحق بها فيما يأتي سواء كانت وقفاً او مشتراة بمال الجمعية تدار وتؤجر وترمم وتحفظ صكوكها وفقاً لما ورد في نظام الكنيسة وقانون اللجنة الخيرية لطائفة الروم الكاثوليك مما هو من هذا القبيل .

﴿المادة الثامنة والعشرون﴾ ان الجمعية تحفظ لمؤسسيها والاعضاء الشرفيين فيها من دافعي الخمس ليرات بحسب التعليمات الموضوعة قبلاً لهذه الجمعية الذكر الخالد بان تشهر اسماءهم فرداً فرداً في كل برنامج سنوي يطبع لها منذ الان فصاعداً مضافاً اليه ايضاً اسماء من يتبرعون لها بمائة وخمسين فرنك فاكثر للحصول على عضويتها ثم عليها ان تبين في كل برنامج ما لديها من العقارات الموقوفة مع اسماء اصحابها وشروط وقفيتها مؤدية ما عليها من حسنات القداسات الملتزمة بها حسب ارادة الواقفين باوقاتها .

﴿المادة التاسعة والعشرون﴾ للجمعية مشتركون دائمون غير مشتركيها المؤسسين الشرفيين وهؤلاء تجبى منهم اشتراكات سنوية بالقيمة التي يختارونها . وهذه الاشتراكات يعطى بها وصولات مطبوعة ومختومة بختم الجمعية بعد ان يوقع عليها من النائب والكاتب وامين الصندوق ذات اصول مخصوصة تدرج فيها خلاصة الوصولات وتعرض لاطلاع الجمعية وفحصها وتطبيقها على الدفاتر مرة كل ستة اشهر على الاقل .

﴿المادة الثلاثون﴾ لما كانت موارد الجمعية الان منحصرة باحسانات المشتركين وما يردها من اجور العقار الموقوف لها وكان ذلك لا يفي بما عليها من النفقات جاز لها في كل عام قبل الامتحان

السنوي وبعد الاستئذان من القومسيون البطريركي ان تباشر جمع احسان عام من ابناء الطوائف الكاثوليكية يراد به اسعافها على مشترى جوائز للطلبة وفقاً للمادة ( ٨ ) من هذا القانون .

﴿ المادة الحادية والثلاثون ﴾ ان حساب هذه الجمعية المالي يقدم كسائر اللجان الخيرية للقومسيون البطريركي عاماً فعاماً حيثما يعرض للتدقيق والتصديق عليه قبل اذاعة خلاصته بالنشر .

﴿ المادة الثانية والثلاثون ﴾ لا يشترى عقارٌ جديد لحساب اللجنة ولا يباشر عمل تحتاج نفقته زيادة عن الفي غرش دون الاستئذان من القومسيون البطريركي والحصول على تصديقه .

﴿ المادة الثالثة والثلاثون ﴾ على اللجنة ان تخبر القومسيون عن الوقت الذي اختارته لاجتماعها حيثما يضاف اليها في كل اجتماع عضوٌ من القومسيون لحضور مداولاتها وفقاً للمادة (٢٧) من نظام القومسيون الانف الذكر .

﴿ المادة الرابعة والثلاثون ﴾ ينال سنوياً كل الاعضاء من عاملين ومؤسسين ومكتتبين أجر اثني عشر قداساً تقدم على نيتهم بنفقة صندوق اللجنة .

﴿ المادة الخامسة والثلاثون ﴾ ان هذا النظام يلغي كل نظام قبله يتعلق بهذه اللجنة ويدوم محوراً للعمل الى ان تدعو الحاجة الى ابداله او

تعديله بقرار من القومسيون البطريركي .

انتهى

طالعنا بامعان وتدقيق قانون قومسيوننا البطريركي الانطاكي مع قوانين اللجان الأُخر التابعة لهُ فاستحسناها كل الاستحسان وصادقنا عليها ثم آذنا بطبعها ونشرها ليعمل بموجبها بكل تدقيق

كيرلس الثامن
بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم
وسائر المشرق

صححهُ ووقف عَلَى طبعهِ

« سليم بك عنحوري »

## اسماء اعضاء القومسيون البطريركي

« مرتبة بحسب حروف المعجم »

| | | |
|---|---|---|
| الخواجه ابرهيم صباغ | الخواجه جبران مساميري | الخواجه جرجي غناجه |
| الخواجه خليل ساره | خليل افندي عبسي | الخواجه خليل نحاس |
| سليم بك عنحوري | الخواجه سليم مقحط | الخواجه عبدالله صباغ |
| قسطاكي افندي شحلاوي | الخواجه لياس سياج | يوسف افندي طويل |

### لجنة القوانين (١)

| | | |
|---|---|---|
| سليم بك عنحوري | الخواجه جرجي غناجه | الخواجه سليم مقحط |
| | قسطاكي افندي شحلاوي | |

### اللجنة المالية

| | | |
|---|---|---|
| الخواجه ابرهيم صباغ | الخواجه خليل ساره | الخواجه جبران مساميري |

## فهرست

صحيفة


٤ قانون القومسيون البطريركي

٢٣ قانون وكلاء الكنيسة

٣٣ قانون لجنة الفقراء

٤٧ قانون لجنة القديس بولس ( لدفن الموتى )

٥٤ قانون لجنة القديس نقلاوس ( للمدرسة الليلية )


---

( ١ ) كان خليل افندي عبسي من اعضاء هذه اللجنة ثم استقال منها على اثر وضع النظام الثاني

### المدرسة البطريركية الليلية

وإلى جانب هذه المدرسة الكبرى أنشأ البطريرك غريغوريوس يوسف سيور عام ١٨٩٢م مدرسة من نوع آخر، أحدث لها «جمعية القديس نقلاوس شفيع الأحداث» غرضها تعليم الأولاد الفقراء لعموم الطوائف الكاثوليكية. ووضع لها قانوناً ينظمها، في ٣٥ مادة. أورد نصه لدلالته الوثائقية والتاريخية.

# خلاصة ونتائج عن المدرسة البطريركية

- كانت المدرسة البطريركية إحدى المدارس الأهلية المهمة التي قامت بقسم من حاجات البلد الثقافية.
- لئن تبعت المدرسة في توجهاتها وإدارتها وتأسيسها للآباء البولسيين لقد ضمت في صفوف مدرسيها أساتذة مسلمين لتدل على انفتاحها على الجميع دون تمييز في الدين.
- حازت المدرسة ثقة المواطنين فدخلها كثير من الطلاب المسلمين الذين حصلوا على شهادتها، وتابعوا فيما بعد دراستهم الجامعية.
- تخرج بالمدرسة شخصيات لمعت أسماؤها في المجتمع، وكانت تسدّ فيما بعد قسماً من احتياجات البلد في التخصصات المختلفة.
- لم يكن للمدرسة تأثير ديني في طلابها، بالرغم من أن الرهبان هم الذين كانوا يتولون إدارتها والقيام عليها (هذا ما أفاده أ. إلياس بولاد أحد طلّابها).

# مدرسة راهبات المحبة (البيزانسون) للروم الكاثوليك[1]

أنشئت في منطقة باب توما، محلة سفل التلة، حارة بولاد.. وكانت داراً واسعة من طابقين وملحق في أعلاهما، يعمل فيها أصحاب المهن اليدوية من فقراء الطائفة الكاثوليكية، فاشتراها البطريرك ديمتروس قاضي[2] سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م من صاحبها وزير الداخلية توفيق بن أنطون شامية، وافتتحها في العام التالي قبيل وفاته مدرسة ابتدائية للإناث أولاً، ثم صارت مختلطة.

واتفق من أجلها في القاهرة مع راهبات من مدينة بيزانسون Besancon[3] على تأسيس فرع في مدرسته ينتمي لرهبانيتهن، تحت إشراف بطريرك الطائفة الكاثوليكية.. فقدمن إلى دمشق، وقمن على إدارة المدرسة التي انتسب إليها آنذاك ألفٌ من الذكور والبنات.

كان منهاج مدرسة راهبات المحبة كمنهاج المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك، تهتم كشأن المدارس المماثلة بالعلوم عامة، إضافة إلى عنايتها باللغات الأجنبية، وخاصة الفرنسية.

بقيت راهبات البيزانسون مسؤولات عن المدرسة حتى عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ثم تولتها راهبات سوريات.

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على مقالة كتبها الأستاذ إلياس بولاد، وتوثيقاته من نشرات معنيّة، وعلى رحلة ميدانية إلى الدار ومطالعة اللوحة المثبتة فوق بابها.

(٢) ديمتروس يوسف بن نقولا قاضي، ولد بدمشق عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م وتعلم في مدرسة الآباء اللعازاريين، أرسله البطريرك غريغوريوس سيّور (انظر المدرسة البطريركية) إلى عين تراز في لبنان حيث تعلم بها في مدرسة اللاهوت ثم إلى باريس لدراسة الفلسفة واللاهوت. رسم كاهنا فأسقفاً على أبرشية مرجعيون، وعين مديراً للمدرسة البطريركية بدمشق عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م فرئيساً لها حتى سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، فبطريركاً لنظيرتها في بيروت. فكاهناً على حلب عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، فبطريركاً عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م حتى وفاته عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م متأثراً بأحداث الثورة السورية.

(٣) بيزانسون مدينة في شرق فرنسا.

وفي عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م آلت إلى مثل ما آلت إليه المدارس الخاصة بإشراف وزارة التربية، وأطلق عليها حينئذ اسم مدرسة الرعاية الخاصة، واعتمد فيها منهاج الوزارة مع استمرار عنايتها باللغة الفرنسية خاصة، والتركيز على انتقاء مدرسين ومدرسات أكفياء.

وقد افتتح فرعان من هذه المدرسة، ألحقا باللعازارية، أحدهما فرع مختلط للدراسة المتوسطة، سمي إعدادية الفجر، والثاني للمرحلتين المتوسطة والثانوية، خصص للإناث، سمي مدرسة المحبة.

# مدارس الأرمن[1]

* **مدرسة باب المصلى**

تأسست عام ١٩٢١ لم تستمر أكثر من ثماني سنوات.

* **مدرسة المزة (سيسوان)**

تأسست عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م بمبادرة هارديتون هاردتونيان، ثم تولت الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية رعايتها. كانت أربعة صفوف ابتدائية، ما لبثت أن توقفت عام ١٩٤١، وانتقل طلابها إلى مدرسة ساهاكيان في جادة شرف.

* **مدرسة الزبلطاني (بابكينيان)**

أنشأها عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م المختار ختشير كونجيان في مخيم الزبلطاني للأرمن، تألفت من قسم للحضانة وصفين للمرحلة الابتدائية، وبعد مدة رعتها الجمعية الخيرية العمومية.. ولم تستمر أكثر من عشر سنوات.

* **مدرسة التاركمانتشاتس لمطرانيّة الأرمن الأرثوذكس (ثانوية الرسالة الخاصة)**

تعد أكبر المدارس الأرمنية بدمشق وأقدمها. تأسست عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م على غير المرجح وبمساعي كيفورك ميساكيان مدير مصلحة الجمارك لولاية الشام.

شهدت المدرسة نقلة نوعية في عهد مديرها ديران آغنيان إذ افتتحت فيها مرحلة الدراسة الإعدادية عام ١٣٨٢-١٣٨٣هـ/ ١٩٦٢-١٩٦٣م، ثم افتتحت المرحلة الثانوية عام ٢٠١٠م.

في عام ١٩٩٠ شيدت المدرسة بناء حديثاً في موقعها في حرم دير القديس سركيس للأرمن، تبرع بها المحسن الأرمني كيفام أوهانيان وهو من خريجي المدرسة.

---

(١) اعتمد هذا البحث على كتاب أرمن دمشق.

وفي عام ١٩٩٨ احتفلت المدرسة بالذكرى المئوية لافتتاحها.

بلغ عدد تلاميذها نهاية القرن التاسع عشر أكثر من ٣٠٠ تلميذ. وتخرج فيها صفوة أرمن دمشق العلمية والثقافية فيما بعد.

*** مدرسة مياتسيال (مدرسة النظام الخاصة)**

تأسست عام ١٣٤٨-١٣٤٩هـ/ ١٩٢٩-١٩٣٠م في حي البحصة بمبادرة الدكتور ليفون بوتوكيان والنائب موسيس ديركالوستيان. بدأت بقسم الحضانة، ثم افتتح القسم الابتدائي عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، وحين تولى إدارتها الكاتب آرمين أنوش مارشليان عام ١٣٥٣-١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤-١٩٣٥م انتقلت المدرسة إلى شارع العابد جادة شرف، وحدّثت بناءها عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م مؤسسة كالوست كولبنكيان الخيرية. وقد أسس خريجو المدرسة رابطة خاصة بهم.

في عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م بني مجمع مدرسي عصري للمدرسة، في بلدة جرمانا، كما تم توسيع المدرسة لتضم مرحلة إعدادية ثم ثانوية.

من أشهر مديري المدرسة غير المدير المذكور ديكران كالبجيان، وترديت بيديكيان، والأستاذة آربي بيديكيان.

*** مدرسة ساهاكيان (مدرسة الطليعة الخاصة)**

تأسست عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بمبادرة المحسن الأرمني هاريتيون نجاريان، وهو من أرمن أضنة، فاستأجر داراً عربية في منطقة البحصة وعلى نفقته الخاصة وبرعايته.

بدأت المدرسة بقسم الحضانة حتى عام ١٩٣٣م، حين أحدث فيها قسم للتعليم الابتدائي.

قامت على المدرسة أول لجنة إدارية في العام المذكور، كان من أهم من فيها مديرها أرميناك مليكيان، وهاروبتون ناجاريان وأواديس يعقوبيان. في عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م انتقلت المدرسة إلى منطقة البرلمان (مجلس الشعب) حيث بقيت ثلاث سنوات. ثم في

عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م انتقلت المدرسة إلى ساحة المواصلات، جادة النهر، وفي عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م انتقلت إلى حارة الرصافي مقابل البرلمان.

وفي عام ١٩٥٤ اشترت المدرسة بناء قرب ساحة عرنوس، يتألف من ثلاثة طوابق بتبرع مؤسسة السيد كولابي كولبنكيان والسيد أواديس يعقوبيان، ووضعت تحت الإشراف المباشر للجمعية الخيرية العمومية الأرمنية. في عام ١٤١٨-١٤١٩هـ/ ١٩٩٧-١٩٩٨م رممت المدرسة بتبرعات مؤسسة كولبنكيان التعليمية. وفي عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م اشتري كامل عقار المبنى والباحة المجاورة بتبرع السيد كارنيك يعقوبيان.

أشهر مديري المدرسة الكاتب هوفانيس يريتسيان وقره بيت سركسيان والسيدة سربوهي سيركسيان.

*** مدرسة باروس (ثانوية النور الخاصة)**

تأسست عام ١٩٦١ في منطقة باب توما ضمن مجمع مطرانية الأرمن الكاثوليك.

سميت ابتداءً مدرسة أليشان، وبقيت تعمل حتى عام ١٩٦٧ حين توقفت. وأعيد افتتاحها عام ١٩٧٢ باسم مدرسة المنار الابتدائية.

توسعت عام ١٩٧٨/ ١٩٧٩ في بناء أهداه حنين القدسي، فضمت المرحلتين الإعدادية والثانوية في المجمع نفسه، وعرف باسم ثانوية النور الخاصة.

*** مدرسة زاغا كنتس (مدرسة الزهور)**

أسسها عام ١٩٥١ راهبات الأرمن الكاثوليك، في بناء إلى جانب دير راهبات الحبل بلادنس، وكانت تضم إلى جانب المرحلة الابتدائية قسماً للحضانة، وعرفت باسم مدرسة الراهبات الأرمن، وبقيت على عملها حتى عام ١٩٦٧. ثم أعيد افتتاح قسم الحضانة فقط باسم مدرسة الزهور.

هذا والدير والمدرسة إهداء من الآنسة ماري وحبيب والياس قدسي.

*** مدرسة طائفة الإنجيليين الأرمن (مدرسة الحياة الخاصة)**

تأسست عام ١٩٢٣ في غرفة واحدة بدار عربية (شعبية)، قرب حارة الجورة بمنطقة باب توما، ثم انتقلت إلى حارة العبارة، قرب كنيسة الزيتون بدار عربية من ست غرف. أدارها القس نرسيس ساربان، ثم القس هاروتيون باليوزيان.

وفي عام ١٩٥٠ اشترت الطائفة مدرسة عرفت باسم الحياة الخاصة بالقرب من بطريركية الروم الأرثوذكس، وأدارتها السيدة أنوش سيروبيان أكثر من ٣٥ عاماً.

# مدارس اليهود

*** المدرسة الإنكليزية:**

أسسها يهود بريطانيون، اقتصرت على أبناء طائفتهم، وهي تعلم العبرانية والعربية والتركية، كان فيها في القرن التاسع عشر الميلادي ٢٥ تلميذاً، عليهم ٣ معلمين[١].

*** مدرسة الإليانس:**

أنشأها بدمشق الاتحاد الإسرائيلي العالمي في نهاية القرن التاسع عشر[٢]. وأسفل حارة اليهود جنوب حي الأمين، يقوم بناؤها من طابقين طوله ١٥٠ خطوة وعرضه ٥٠ خطوة، واجهته حجر، نقش عليه في أعلاه رقم ١٩٣٢ ولا شيء غير ذلك[٣]، ولعل هذه المدرسة قامت في مكان ما في حارة اليهود حتى نجز هذا البناء، فانتقلت إليه.

وقد شغلته بعد عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ مدرسة فلسطين، تقوم بإشراف الأمم المتحدة.

وأفاد الأستاذ إلياس بولاد عن مقالة حبيب السيوفي، نشرته مجلة الرسالة المخلّصية عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م عدد (٤٢) بعنوان «القديس يوحنا الدمشقي جهبذ الكنيسة» أنّ القديس المذكور ـ وكان رئيس ديوان المال في الدولة الأموية[٤] ـ عرف له بيت في بستان القط، وهو المكان الذي أقيمت عليه مدرسة الأليانس التي تعني «الميثاق الإسرائيلي». وهذا ما أشار إليه كذلك الباحث حبيب الزيات بعد أن عثر على وثائق تدل على مرجعية

---

(١) قال نعمان قساطلي: ولليهود بدمشق [أي أواخر القرن التاسع عشر] ١٢ مدرسة بسيطة [أي تعلّم المبادئ]، فيها ٣٥٠ تلميذاً، يتعلمون ديانتهم بالعبرانية. قال: والعلم عندهم في درجة دنيّة مع أنهم أغنياء، وفي وسعهم إنشاء مدارس عالية.

(٢) عن كتاب «اليهود في البلدان الإسلامية» لصموئيل أنتيجر، ط الكويت، عالم المعرفة ٩٧.

(٣) أفاد الأستاذ إلياس بولاد أن الأرض التي أقيم البناء عليها اشتريت من صاحبها المسلم، وكانت تسمى بستان القط، وأنّ بناء كان عليها يعتقد أنه ليوحنا الدمشقي.

(٤) قال الدكتور مازن المبارك: كان المذكور يدير الحساب للخليفة عبد الملك بن مروان، ثم ولى غيره مكانه.

ذلك المكان إلى أسرة سرجون، وهي أسرة القديس المذكور، وكان أفرادها يقيمون هناك.

وذكر الأستاذ بولاد أن الباحث الزيات نصح للبطريرك ديمتروس القاضي حين أراد إنشاء مدرسة راهبات البيزنسون (مدرسة الرعاية) أن يقيم معبداً ومعهداً باسمه في بستان القط، فلم يستجب له، واشترى قصر أنطون شامي في منطقة سفل التلة لذاك الغرض[1]. وقد اشترى البستان متري اليهودي العراقي، وشيد عليه بناء الإليانس ووقفه على أبناء طائفته ليكون مدرسة مختلطة، وكان بعض أساتذتها من الأجانب.

ويمكن جمع المعلومتين بإنشاء مدارس الإليانس أن الاتحاد الإسرائيلي هو الذي أقام البناء عن طريق اليهودي العراقي المشار إليه.

(١) راجع بحث مدرسة البيزنسون السابق.

# ثانياً ـ مدارس الإرساليات التبشيرية

## المدرسة اللعازارية[1]

أرسل الآباء اللعازاريون (Les péres lazaristes) إلى دمشق عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م أول مبعوثين اثنين لهم؛ الأب فيرو Virot، والأب أغوندولفيAgondolfi، فتملكا داراً كبيرة بحارة أسفل التلة جنوب باب توما. أنشأا فيها ديراً ومدرسة، وبقيا يعملان فيها حتى موتهما عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، وانقطعت الاتصالات بفرنسا على ما يبدو، مما أدى إلى إغلاق الدار.

فلما كان عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م عاود الآباء اللعازاريون في فرنسا، فأرسلوا الأب بوسّون Bosson، فرمم المدرسة المتهدمة، وأعاد تأهيلها، فاستأنفت عملها بعد ثلاث سنوات.

في ذلك الوقت لم يكن للمدرسة ذكر واسع، ولم تتوافر المعلومات عنها آنذاك، حتى تحدث عنها عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م نعمان قساطلي في كتابه «دمشق الفيحاء». فيستفاد منه أنها كانت في العام المشار إليه مدرسة ابتدائية، تضم ١٦٠ تلميذاً عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م.

وبسبب إقبال الأهالي على المدرسة استحدثت صفوفاً أعلى تدرجت حتى نهاية المرحلة الثانوية.. وكان ثلثهم من المسلمين.. وكان منهاجهم يضم إلى جانب العربية اللغات الفرنسية واللاتينية واليونانية.

وهذه قائمة بأعداد طلابها في السنوات المثبتة، تشير إلى قمة ازدهار المدرسة منتصف القرن العشرين:

---

(١) اعتمدت في هذا البحث على كتاب «التعليم في سورية» ص٤٧ وما بعد.

| العام الدراسي | أعداد الطلاب |
|---|---|
| ١٨٨٥/ ١٨٨٦ | ١٠٩ طلاب |
| ١٨٨٩/ ١٨٩٠ | ١٤٩ طالباً |
| ١٩١٣/ ١٩١٤ | ٢٢٣ طالباً |
| ١٩٣٨/ ١٩٣٩ | ٢٣٧ طالباً |
| ١٩٥٠/ ١٩٥١ | ٢٣١ طالباً |

وجعل خريجو المدرسة يجتازون بتفوق امتحانات القبول في كلية الطب اليسوعية ببيروت، بل كان المتفوقون في الكلية على مدى سنواتها الأربع من خريجي اللعازارية.

ومنذ عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م عدَّل الأب غارو Garaud مدير المدرسة برامجها، فصارت على النظام الفرنسي، فلما أدخل الفرنسيون إلى سورية نظامهم للشهادة الثانوية المسمى Baccalaureat (البكالوريا) عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م نجح منهم في ذلك العام ٢٥ طالباً من بين ٢٨ تقدموا إلى امتحاناتها، كما نجح فيها الطلاب السبعة الذين امتحنوا بها العام التالي[١].

بقيت اللعازارية على وتيرتها حتى جاوز عدد طلابها ٤٠٠ طالب بعد منتصف القرن العشرين الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري... فلما تأثرت سورية لحرب السويس عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م بسبب العدوان الثلاثي على مصر الذي قامت به بريطانيا وفرنسا وإسرائيل أرادت تقديم دعم سياسي لشقيقتها، فوضعت المؤسسات الأجنبية تحت مراقبة الحكومة، وعندئذ خضعت المدرسة لبرنامج وزارة المعارف التي عينت عليها مديراً مشرفاً من قبلها، ونظرت في أساتذتها[٢].

(١) أدخل الفرنسيون المنتدبون إلى سورية عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م نظام البكالوريا الفرنسي، وكانت قسمين؛ (البكالوريا الأولى) لطلاب الصف الحادي عشر، وامتحاناتها بمواد الآداب والفلسفة، و(البكالوريا الثانية) لطلاب الصف الثاني عشر، وامتحاناتها بمواد العلوم.

(٢) التعليم في سورية ٤١.

ومنذ عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م إثر نكبة حزيران أطلق عليها اسم مدرسة المنصور الخاصة، وأحدث فرع مختلط للمرحلة المتوسطة سمي إعدادية الفجر، وتعارف عليها العامة باسم (اللورد) تدرّس مقررات وزارة التربية، مع اعتنائها باللغتين الفرنسية والإنكليزية. وفرع آخر للمرحلتين الإعدادية والثانوية خصص للإناث، وسمي مدرسة المحبة[١].

تخرج باللعازارية أربعة من الرؤساء الذين حكموا سورية؛ حقي العظم، الشيخ تاج الدين الحسني، شكري القوتلي، فوزي سلو. ومن خريجيها الشاعر شفيق جبري، والشاعر خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي، والكاتب أديب إسحاق، وكان منهم رجل الأعمال المشهور أكرم العجة[٢].. غير الطلاب الذين كانوا أطباء ومحامين ووزراء ونواباً، واحتلوا مكانة مهمة في المجتمع من طلابها.

(١) انظر الحديث عن مدرسة راهبات المحبة (البيزانسون).

(٢) ساهم أكرم العجة فيما بعد بمبلغ ٢٠٠ ألف فرنك فرنسي لتجديد بناء المدرسة.

# المدرسة الإنجيلية الوطنية للبروتستانت[1]

وتسمى كذلك مدرسة القديس بولس الإنكليزية.

تأسست عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م بعد فتنة النصارى، ولم تفتتح إلا عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م وربما ذلك لأسباب الأوضاع العامة.

جاء في مقال الباحث الخوري أيوب سميّا: وهي بناء واسع عمّر سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م بعيد انتهاء الشغبة (الفتنة) بهمة المسز طومسن، ثم أتقن، وزيد به سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م[2].

وكان على بابها لوحة كتب فيها:

English Syrian Schools

Founded by Mes Brawn Thommpson 1860. ST

Pauls School. Opened 1868.

وفي ذيل اللوحة:

JEHOVAH (يهوى) CHIRCH[3]

وقال الخوري سميا المذكور: وبحائط المدرسة إلى جهة الشارع طالع ماء (سبيل)، ملغى ماؤه اليوم، وفي صدره كتابة محفورة: أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه (اصحاح

---

(١) البروتستانتية طائفة مسيحية انفصلت عن الكاثوليكية بتأثير لوثر وكليفن، انتشرت في ألمانيا والبلاد الاسكندنافية واسكتلندة وسويسرا وأمريكا الشمالية وهولندا، ولها فروع (منجد الأعلام) يعتقد أتباعها أنهم يتمسكون بالإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون فيه لفهم سواهم، وجميعهم متساوون أمام هذا الكتاب، وبهذا يعارضون الكنائس الأخرى التي تعد فهم الإنجيل وقفاً على رجال الكنيسة التي لا تعد الإنجيل المصدر الوحيد للمسيحية، بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتناولها الباباوات الواحد عن الآخر (المسيحية لأحمد شلبي).

(٢) مجلة النعمة للروم الأرثوذكس، صدرت عن بطريركية الروم الأرثوذكس.

(٣) نقل الكتابة على اللوحة قبل إزالتها الأستاذ إلياس بولاد.

اش ٥٦:١) أقيم تذكاراً وداديا إلى المرحومة مسز طومسن من أختها المسز سوزان سميث سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م[1].

وقد ذكر نعمان القساطلي أن هذه المدرسة للذكور، وهي تعلم العربية وآدابها والتركية والإنكليزية والحساب والجبر والهندسة واللوغاريتمات والفلسفة الطبيعية. وقال: إن فيها ٦ معلمين و١٢٠ تلميذاً، ينفق عليها مجمع كنيسة إيرلندا القسوسية[2].

هذا وقد خضعت هذه المدرسة ومدارس البعثات للتأميم، وأتبعت لوزارة التربية بعد عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ثم تحولت إلى مدرسة تتبع الفلسطينيين، وسميت مدرسة تل الفخار.. وبقيت كذلك إلى مدة طويلة.. حتى تهدمت في الفترة الأخيرة، ولم يعد بناؤها صالحاً للاستعمال.

قال الأستاذ إلياس بولاد: لعل هذه المدرسة امتداد للمدرسة الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأميركية فيما بعد) وتلك افتتحت عام ١٣٨٦هـ/ ١٨٦٦م.

---

(١) مجلة النعمة المذكورة.

(٢) الروضة الغناء. ط سنة ١٨٩٧

# المدرسة الإيطالية[1]

قامت ضمن تجمع مؤسسات خدمية شمال منطقة عرنوس، ضمّت مستشفى ومدرسة وكنيسة وديراً للرهبان السالزيانيين، وآخر للراهبات السالزيانيات[2]، بإشراف البعثة الإيطالية.

بدأ المجمع بعيادة أنشأتها وزارة الخارجية الإيطالية عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م بإدارة الطبيب كيلّيسكي، ثم حصلت العيادة في العام التالي على ترخيص الجمعية الوطنية الإيطالية للإرساليات الكاثوليكية، على نيّة إنشاء المجمّع المذكور.

في أول عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م بدأ العمل لإنشاء كل من المدرسة ومركز التعليم المسيحي والمستشفى، إلى جانب عمل العيادة المذكورة.. ولكن اضطرابات الحرب العالمية الأولى اضطر الراهبات إلى تجميد العمل والرحيل.

في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م وصلت دمشق من القدس ٦ راهبات؛ ماريا بوزيو الرئيسة، سيرينا نيغري، فيرجينا داكومو، جيوزيبينا فرولا، ماريا غالفانونا، آنجيلاراتّوو).

ثم في ٣٠ تشرين الأول ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وضع حجر الأساس للمجمّع وقام على البناء مهندسان أرسلتهما الحكومة الإيطالية في مهمة خاصة، حيث استغرق العمل سنتين، ليتم تدشين المستشفى في ١٣٤٥هـ/ ٦ آذار ١٩٢٦م.

أما المدرسة فقامت ابتداء في المقر القديم للقنصلية الإيطالية منذ ٥ تشرين الأول عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م وكانت للبنات دون الذكور.. كانت أولاً للمرحلة الابتدائية ثم أضيفت إليها المرحلة الثانوية على التراخي، حيث انتسب إليها نحو ٣٠ تلميذة ثم تضاعف هذا

(١) اعتمدت في هذا البحث على محفوظات دير الراهبات السالزيانيات، ومقابلة الراهبة الأخت كارول طحان المسؤولة في الدير والمدرسة.

(٢) قالت الراهبة المذكورة: «نسبة إلى القديس فرنسيس السالسي» في روما الذي سمي هذان الديران باسمه، لأن رهبانه يأخذون من روحانيته. وتجمُّع هذه المؤسسات بإدارة رئيس الديرين.

العدد في كانون الأول، بالإضافة إلى نحو ٥٠ طفلاً في الروضة. إلى جانب دورات في الخياطة واللغة الإيطالية.

اضطربت المدرسة مع بدء الثورة السورية (١٩٢٥-١٩٢٧م) بسبب القصف المستمر في البلدة ودوي المدافع، الأمر الذي أخاف التلميذات.. ولكن التعليم فيها لم ينقطع، إلا أن الفائدة كانت نسبية. في حين انتظمت الدراسة مع بداية العام الدراسي ١٩٢٦/ ١٩٢٧م. لتهدأ الأوضاع عند انتهاء الثورة. وفي هذا العام انتقلت المدرسة إلى مقرها الجديد شمال منطقة عرنوس. قام على التعليم بشكل أساسي الراهبات السالزيانيات، وانضم إليهن معلمات مدنيات.. ولم يكن معهن معلمون.

كان المنهاج يتضمن المواد الدراسية المعروفة كلها.. مع التركيز على اللغة الإيطالية.

وفي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م أضيفت حصص دراسية جديدة في اللغتين العربية والفرنسية مما أدى لزيادة عدد الطالبات زيادة ملحوظة.

وفي نيسان من عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م أرسلت وزارة الخارجية في روما السيدة آنجيلينا سارّا باتشينزا في أول زيارة تفتيشية للمدرسة عادت بانطباع جيد، نال رضاها تعليم الراهبات واستفادة الطالبات، والانضباط الواضح في المدرسة. وفي العام نفسه تأسست رابطة خريجات المدرسة الإيطالية.

وفي العام التالي أبلغت وزارة الخارجية الإيطالية الراهبات أنها خصصت منحة للطالبات بقضاء شهر العطلة في إيطاليا، وأرسلت من أجل ذلك ٦ طالبات، زاد عددهن في السنوات اللاحقة.

كانت الامتحانات النهائية تجري بحضور القنصل الإيطالي، وكان يشرف كذلك على الواجبات والمذاكرات.. واختتم العام بحفل ترفيهي تخلله معرض لأعمال الطالبات، وانتهى بتوزيع الشهادات والمنح.

ولم يكن ختام سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م مريحاً، فقد أنهي العام الدراسي قبل موعده بشهر لأن إيطاليا دخلت الحرب العالمية الثانية في ١٠ حزيران١٩٤٠م وصار جميع

الإيطاليين في سورية أسرى حرب.

وبعد إعلان الهدنة في ٢٤ حزيران من ذلك العام استقرت الأوضاع قليلاً، وافتتحت المدرسة من جديد في ١٦ أيلول، إلا أن الامتحانات النهائية توقفت؛ لأن إنكلترة أعلنت الحرب من جديد على إيطاليا، وجاءت الأوامر بإغلاق المدرسة على الفور، ورحل كثير من الإيطاليين خوفاً من الاعتقال وغدت الراهبات أسيرات حرب كذلك.

وفي ٣١ تشرين الأول من ذلك العام أبلغت الشرطة الراهبات بضرورة المغادرة في مدة أقصاها ثلاثة أيام.. وتولى العسكر ترحيلهن إلى بيروت ثم إلى القدس.

عادت الراهبات إلى دمشق بعد نهاية الحرب عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م إلا أن المستشفى والمدرسة لم ترجعا إليهن حتى عام ١٩٤٩م.

وبموافقة الجمعية الوطنية الإيطالية افتتحت المدرسة في بنائها الجديد عام ١٩٤٩م ولكن ضمن مقر مدرسة الآباء الفرنسيسكان، وعادت التلميذات للدراسة وأخذ عددهن بالازدياد، حتى وصل إلى (٤٤٣) طالبة، وفي ٢٩ أيار من العام المذكور أقيم حفل لافتتاح رابطة الخريجات، وانتخبت رئيستها وأعضاء المجلس. واختتم هذا العام في تموز بمعرض أعمال الطالبات، تنوعت معروضاته ما بين الرسم والخياطة والتطريز، حضره السفير الإيطالي.

وفي عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢ انفصلت المدرسة عن المستشفى تماماً، وكان للمؤسسة التعليمية أن تعمل بحرية أكبر.

وبقيت الحال كذلك حتى صدر مرسوم تأميم مدارس البعثات، وتحولت المدرسة إلى سلطة وزارة التربية عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م وسميت مدرسة العرفان الرسمية.

# مدرسة الفرنسيسكين[1]

أنشئت في دمشق منسوبة هي ونظيراتها إلى الراهبة الكاثوليكية[2] الفرنسية ماري دو لا باسيون Marie de la passion التي أسست نظام راهبات الفرنسيسكين سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م[3].

شيدت المدرسة التي حملت اسم جان دارك[4] Jeanne d`arc في حي الشعلان الذي نظم على المخطط الفرنسي لدمشق خلال الانتداب الفرنسي (١٣٣٩-١٣٦٦هـ/ ١٩٢٠-١٩٤٦م)، فأقيم بناؤها منذ عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م على مراحل، أولها الواجهة الرئيسية في الجهة الجنوبية من البناء حيث دير الراهبات، وفيه سكنهن والكنيسة وميتم الأطفال.

ثم توسع البناء شرقاً وغرباً، ليشرف من جميع جهاته على طرقات تحيط به، لا يتصل بغيره من أبنية المنطقة، وليتكون من ثلاثة طوابق أعلاها قسم داخلي للطالبات. هذا

(١) اعتمدت في هذا البحث على موقع المدرسة الإلكتروني ومعلومات من الزميلة هيلدا صيداوي؛ طالبة سابقة فيها وتخرجت بها.. ثم كانت إحدى المعلمات فيها.

(٢) تدعي الكاثوليكية أنها أم الكنائس ومعلمتها، وأنها وحدها تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، وإن كان لها أتباع في بلاد أخرى وسميت البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدّعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، والباباوات في روما خلفاؤه. وتتبع الكنيسة الكاثوليكية النظام البابوي، ويرأسه البابا والكرادلة، وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية، هي إرادات إلهية؛ لأن البابا تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله. ومن هنا كان إرادته لا تقبل الجدل ولا المناقشة (من كتاب المسيحية لأحمد شلبي ٢٥٠).

(٣) نظام الفرنسيسكان في الأصل رهبانية أسسها القديس فرنسيس الأسيزي سنة ١٢١٠م، وجعل الفقر أساساً لها. وجماعته يدّعون أنهم حراس الأراضي المقدسة في الشرق، ولذا نشطت إرسالياتهم التبشيرية والتعليمية في الشرق، منذ وصولهم القدس عام ١٢٢٩م، ثم دمياط والقاهرة وبيروت وحلب وطرابلس لبنان والناصرة وصيدا (المنجد في الأعلام، الفرنسيسكان).

(٤) جان دارك ١٤١٢-١٤٣١ فتاة فرنسية ساعدت الملك شارل السابع. فردّت الإنكليز عن حصار مدينة أورليان عام ١٤٢٩، فقبضوا عليها، وأحرقوها في روان. أطلق عليها الفرنسيون لقب قديسة (منجد الأعلام).

فضلاً عن الباحات الواسعة والملاعب، كل ذلك على الطراز الفرنسي لذاك العصر.. وبهذا استوعب البناء ما عدا الغرف الخدمية والإدارية وسوى ذلك ٤٧ صفاً دراسياً لجميع المراحل التعليمية التي اقتصرت على الإناث، بالإضافة إلى قسم الحضانة للذكور والإناث.

وقد فكرت المدرسة في ستينات القرن العشرين بقبول الذكور في الصف الأول الابتدائي، فلم يتحقق ذلك؛ إذ عاجلها قرار تأميم مدارس الإرساليات.

منذ الأيام الأولى قرر على الطالبات المنهاجان السوري والفرنسي، يدرسن باللغتين العربية والفرنسية ويحصلن على الشهادتين الإعدادية والثانوية من وزارتي التربية السورية والفرنسية على السواء.

تولت راهبات الدير إدارة المدرسة، منهن المديرة (ريسة الدير) ومساعدتها ومن معهن من المسؤولات.

كما كانت الهيئة التعليمية أساساً من الراهبات[1]، وانضم إليهن فريق من غيرهن مدرسين ومدرسات[2]، مما أدى إلى الأسلوب الجادّ في التعليم لجميع العلوم مع التركيز على اللغة الفرنسية[3]، فأقبلت على المدرسة الأسر الدمشقية من الطبقة الاجتماعية الأولى.. حتى بلغ عدد الطالبات نحواً من ألفين، أغلبهن من المسلمين.. وكان معظم الطالبات من المرحلة الابتدائية.

اتبعت المدرسة أسلوباً صارماً في نظامها التعليمي والسلوكي والانضباط، وعرف عن الراهبات شدتهن، إذ لم يكنّ يتهاونّ مع طالبة واحدة تخرج عن تعليمات الإدارة، مع مراعاة نظام خاص في الانصراف من المدرسة.

---

(١) بلغ عدد الراهبات في الدير عندما افتتح أربعين راهبة.

(٢) كانت من بين المدرسين الأوائل الأديبة ماري عجمي (-١٩٦٦م) وهي أرثوذكسية.. علمت الأدب العربي (الأعلام ٥/ ٢٥٤).

(٣) أخبرتني الزميلة هيلدا صيداوي أن المدرسة كانت في أوقات ازدهارها تعتذر من الطالبات الضعيفات في اللغة الفرنسية، وتطالبهن بالانتقال إلى مدرسة أخرى.

وكان للطالبات زيّ موحّد داخل المدرسة، وزي موحّد آخر خارجها، مع مراعاة تغييره بين الشتاء والربيع والخريف.

بقيت المدرسة على خطتها حتى نكسة حزيران عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م حين استولت وزارة التربية عليها، في حملة تأميم مدارس الإرساليات.. وحينئذ تغير اسمها إلى دار السلام، وألحقت إدارتها بمديرية التربية، على حين بقي الدير والكنيسة بتصرف الراهبات.

# مدرسة البعثة العلمانية الفرنسية[1] «اللاييك»[2]

أنشئ هذا المعهد بدمشق عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م. وكلّف بتأسيسه وإدارته المسيو كازوناف Cazenave وهو أستاذ جامعي متمرس، بقي في الإشراف عليه حتى عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م أي عشر سنوات حقق فيها رسالة البعثة، وغادر المعهد بعدما أرسى القواعد المتفق عليها. تعاقب بعده على المعهد خمسة مديرين فرنسيين، ساروا على نهجه حتى تأميم المدارس الأجنبية.

بدأ المعهد أعماله في دار مستأجرة بجادة شرف، المتفرعة عن شارع العابد. ولما لم تكن هذه الدار مريحة ولا مناسبة، فإن المعهد لم يجتذب سوى عدد محدود من الطلاب، لم يتجاوز عددهم ٧٩ طالباً حتى العام الدراسي ١٣٤٥-١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦-١٩٢٧م، ثم كانوا بين عامي ١٣٤٦ و١٣٤٧هـ/ ١٩٢٧ و١٩٢٨م نحو ٣٠٠ طالب.

ثم إن البعثة اشترت أرضاً واسعة على شارع بغداد[3] وضع عليها حجر الأساس عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، واكتمل عليها بناء المعهد في العام التالي، ليفتتح رسمياً عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

اجتذب المعهد شباب المدن السورية حين أحدث قسماً للإقامة الداخلية.. تكفلت البعثة إلى جانبهم قبول ٣٠ منحة دراسية مجانية مستمرة.

---

(١) اعتمد البحث على ما ورد عنه في كتاب التعليم في سورية ١٢٦ وما بعد.

(٢) لاييك Laique تعني غير ديني.

(٣) فتح شارع بغداد عام ١٩٢٥م حين اندلعت الثورة السورية لتسهيل وصول القوات الفرنسية إلى مشارف الغوطة الشرقية حيث المجاهدون (ذكريات علي الطنطاوي ٢/ ٦٦) أما الأرض التي حصلت عليها البعثة، فقد تبين أنها من أملاك الأوقاف التي لا يجوز بيعها أو التصرف بها، مما أدى إلى حصول خلاف بين البعثة والمسؤولين، سوي فيما بعد (التعليم في سورية ١٢٦).

أنشئ المعهد الجديد المبني بالحجارة البيض من ثلاثة طوابق، بواجهة على الشارع، ضمّ جناحين، كل منهما بطابقين، بمساحة إجمالية للمعهد بلغت ٢٦٨٠م٢، إضافة إلى باحات وحديقة وممرات بمساحة ٧٠٠٠م٢ تقريباً.

وفي المعهد أربعة مهاجع كبيرة لنوم الطلاب الداخليين، إضافة إلى مطبخ واسع، وقاعة للطعام في القبو[1].

تطور المعهد من سنة إلى أخرى، وتغيّر عدد الصفوف فيه بحسب الأوضاع التي تستجد، وللظروف الطارئة؛ فكان فيه بعد أن استقرت أحواله:

حلقة ثانوية وفرنسية كاملة من الصف السادس حتى صفي البكالوريا الأولى والثانية.

حلقة ثانوية سورية ينسجم برنامجها مع برنامج الصفوف الفرنسية، وتسمح لطلابها بالاستعداد للامتحانات السورية والامتحانات الفرنسية معاً.

افتتح المعهد روضة أطفال من أربعة صفوف؛ للصغار من ٣ إلى ٤ سنوات، وصفاً لهم من ٤ إلى ٥ سنوات، وصفين للتحضيري من ٥ إلى ٦ سنوات.

وجميع المراحل التعليمية تهيئ طلابها لجميع الامتحانات السورية والفرنسية (الشهادات الابتدائية والمتوسطة والثانوية).

وأحدث في المعهد مخبران للدروس العلمية أحدهما للفيزياء والكيمياء، والآخر للعلوم الطبيعية، وقاعة للجغرافية، فيها جهاز عرض مثبت، ومكتبة للمدرسين، تشتمل على زهاء ٢٥٠٠ كتاب، غير مكتبات الصفوف للطلاب، واستراحة خاصة للبنات، وقاعة احتفالات للمحاضرات والعروض المسرحية والحفلات الموسيقية والمعارض.

وقد احتوت الرقعة الفضائية باحة لرياضة التنس، وملعباً لكرة السلة وفسحة لكرة الطائرة، وساحة لدروس التربية الرياضية، كانت تشتمل على الرقص الإيقاعي للفتيات.. إضافة إلى قاعة جمباز مزودة بالعتاد الرياضي.. وقد هيأ المعهد طلابه للمشاركة باللقاءات الرياضية.

---

(١) ألغيت إقامة الغرباء عام ١٩٤١م لأن عائلاتهم سكنت دمشق.

وفضلاً عن ذلك كله فقد أتاحت قاعة الاحتفالات الواسعة استقطاب نشاطات ثقافية وفنية لدمشق وضيوفها، تقام فيها تظاهرات مختلفة[1].. حتى غدا المعهد مركزاً ثقافياً مقصوداً. وكان طلاب المعهد إلى جانب ذلك يعرضون مهرجاناتهم المسرحية كل عام.

ضمّ المعهد المراحل التعليمية الثلاث[2]، وكان المنتسبون إليه خليطاً بين الجنسين، إلا أن إدارته تفصل في الدراسة الطلاب عن الطالبات قدر المستطاع كلما سمح عددهم بذلك. فضلاً عن أن الجنسين لا يسمح لهما بالاختلاط إلا خلال الفسحات والانتقال في الحافلات. أما الإقامة الداخلية أو الدراسة فهي منظمة يتم فيها فصل الجنسين.

ثم أحدث في المعهد قسم للدارسة العسكرية.. كما أنشئ قسم آخر للدراسة باللغة العربية لمن كان يرغب بدخول امتحانات الشهادة الثانوية (البكالوريا) السورية، لأن منهاج المعهد الأساسي باللغة الفرنسيّة.

وقد اطرد انتساب الطلاب إلى المعهد على ما ذكرنا، حتى بلغ القمة في أوائل الحرب العالمية الثانية[3]، حين صار المعهد يتبع إدارياً للمندوب السامي الفرنسي.

ثم تأثر المعهد بالأحداث السياسية والعسكرية، فلما دخل الجنرال كاترو Catroux[4] عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م نزل في المعهد وجعله مركز قيادته مؤقتاً، ثم صادر الجنود الإنكليز قسماً من بنائه، واستعملوه مستودعاً انتقالياً حتى عام ١٩٤٥م، وفي ذلك العام اضطرت المؤسسة كبقية المدارس الفرنسية إلى أن تغلق أبوابها لاضطراب الساحة السياسية والعسكرية في دمشق خصوصاً وسورية عموماً.

---

(١) أقيمت فيه حفلات لمنيرة المهدية وأم كلثوم لما قدمتا دمشق.

(٢) وبحسب النظام الفرنسي آنذاك فإن الصف الأول الابتدائي يسمى الصف الثاني عشر، والصف الثاني يسمى الحادي عشر، وهكذا كلما ارتفع الصف انخفض الرقم، حتى يصل الطالب إلى الصف الثاني حيث الشهادة الثانوية الأولى (البكالوريا الأولى) قسم الفلسفة والآداب، ثم الصف الأول حيث الشهادة الثانوية الثانية (البكالوريا الثانية) قسم الرياضيات والعلوم. (التعليم في سورية ١٢٧).

(٣) استمرت بين عامي ١٩٣٩ و١٩٤٥م.

(٤) الجنرال كاترو القائد الأعلى لقوات فرنسا الحرة، عينه ديغول مندوباً سامياً لسورية عام ١٩٤١م، فدخل دمشق بعد هزيمة الجنرال فيشي.. واعترف باستقلال سورية. بقي في منصبه فيها حتى عام ١٩٤٣.

ولم يستأنف المعهد الدراسة إلا في العام التالي ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، فأقبل عليه نحو ٢٠٠ طالب، شكل المسلمون أربعة أخماسهم، ولكن الزيادة كانت في روضة الأطفال والصف الأول الابتدائي.

هذا وكانت العلاقة بين البعثة العلمانية الفرنسية والسلطات المحلية طيبة جداً، وكان الأساتذة الفرنسيون يحاضرون في قسم اللغة الفرنسية بجامعة دمشق. كما تبع أساتذة اللغة العربية ملاك التعليم الرسمي للبلد.

وفي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م وضعت الدولة يديها على المعاهد الأجنبية بسبب العدوان الثلاثي على مصر، فصار المعهد يتبع بشكل كامل وزارة التربية، وتخضع مناهجه لمقرراتها شأن بقية المدارس الثانوية.. وأطلق عليه اسم معهد الحرية.

# خلاصة ونتائج
# حول مدارس الطوائف والبعثات

لم تقم مشكلة طائفية حول هذه المدارس التي لم يقف الدمشقيون المسلمون منها موقفاً سلبياً. وقد قام بعض مدارسها في حي الميدان الذي يسكنه مسلمون سنّيون متمسكون بدينهم.

قسم من المسلمين كانوا يرسلون أولادهم إلى هذه المدارس يطمعون إلى تعلم لغة أجنبية، وكان هؤلاء من الطبقة الميسورة، وهي الشريحة الاجتماعية التي أخذت نفسها بالحياة العصرية والانفتاح على الغرب[1].

معظم مدارس الإرساليات الأجنبية يستند إلى تبعية فرنسية، لأن سورية ولبنان كانتا من حظ الانتداب الفرنسي، كما جاء في اتفاقية سايكس ـ بيكو.

كانت مدارس الطوائف تتبع إلى الجمعيات الخيرية المسيحية، وتمويلها من طرف المحسنين، لذا فمن الطبيعي أن يكون جزءٌ من منهاجها حول التربية المسيحية، بإشراف الكنيسة.

تنوعت مدارس الطوائف بحسب طوائفها الدينية، ولم تنخرط كلها في بوتقة واحدة، وإنما تمايزت باتجاهها الديني الذي تريد كل طائفة أن تحافظ عليه.

لم تكن مدارس الطوائف والإرساليات مختلطة، وإنما خصصت مدارس للذكور وأخرى للإناث، ما عدا معهد اللاييك، والمدرسة الآسيّة.

تشرف على مدارس الطوائف والإرساليات أديرة الرهبان، وكثير من الرهبان والراهبات كانوا يعلمون فيها، ما عدا معهد اللاييك.

---

(١) كان الطلاب المسلمون يشكلون في مدرسة اللاييك أربعة أخماس طلابها (ذكريات علي الطنطاوي ٢/ ١٤١).

نزلت مدارس البعثات كاللعازارية والفرنسيسكين واللاييك والإيطالية في إنشاءات ضخمة ذات وجود صارخ من بين الأبنية.

وبعد..

فنختم هذه الخلاصة بمطالعة العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ومؤسسه[1] الذي يرى في مدارس الإرساليات ما يأتي:

أما قولنا في مدارس سورية التبشيرية الاستعمارية، فما زلنا فيه على رأينا الأول، وإن آلم بعض العمي في حب قوميتهم، لأنا نعتقد أنها تخرِّج أناساً لا لخدمة بلادهم، بل لخدمة غيرنا، وإنا لنعذر أصحابها على خططهم، فهم يصرفون أموال دولهم لتحقيق مقاصدهم، ولو كنا أقوياء لرددناهم على أعقابهم عن أرضنا، ولحلنا بينهم وبين تأسيس هذه المدارس المضرة بوطننا وقوميتنا.

وقال:

أما الاستعمار الفرنسي فإنا ما حبذناه قط، ويوافقنا على رأينا عشرات من المؤلفين الفرنسيين ممن لا يتهمون بحزبية ولا يرمون بتعصبات سياسية وجنسية. ونسأل أولئك الذين لا يرضيهم قولنا هذا بأعز ما لديهم: هل يرون الجزائر بعد امتلاك فرنسا لها ١١٥ سنة [تاريخ كتابة المقال] قد تمتعت برخاء يشبه ولو من بعض الوجوه ما تمتعت به مصر؟ وهل أخرجت الجزائر رجالاً يوازون بأقدارهم العلمية والعملية نصف ما نبغ من المصريين في عهد الاحتلال الإنكليزي[2].

---

(١) محمد كرد علي (١٨٧٦-١٩٥٣م) أحد كبار الكتاب والسياسيين والصحفيين لزمنه شهد أواخر أيام دولة الأتراك الاتحاديين في الشام، ثم قيام الدولة العربية فيها، ثم دخول الفرنسيين المنتدبين، وعاش حياة مملوءة بالخبرة والتجربة في الشام ومصر وأوربا وخالط الناس مخالطة معرفة. وأسندت إليه وزارة المعارف غير مرة وعمل على تأسيس المدارس وقدم تقارير مفيدة للدولة حولها. وكان تأسيسه للمجمع عملاً خدم به العربية منذ عام ١٩١٩م وهو أقدم المجامع العربية. قال الزركلي: كان المجمع أبرز ما قام به في حياته. له مؤلفات مهمة أبرزها خطط الشام والإسلام والحضارة العربية، وكتب مذكراته في أربعة أجزاء. (الأعلام ٦/ ٢٠٢).

(٢) المذكرات ٢/ ٤٠٦.

ومحمد كرد علي نفسه في موضع آخر يذكر ما فعله رجال الدين الفرنسيون من المشرفين على هذه المدارس التبشيرية، فيقول: «كنت إلى يوم ضرب دمشق [بالمدافع من جبال المزة] أعتقد أن الراهبات والرهبان قوم استهواهم دينهم، فتطوعوا في بث دعوته، وأخذوا على أنفسهم خدمة الإنسانية، وتخفيف آلامها، فأثبتت الكارثة الأخيرة أنهم شر أدوات الاستعمار، وأن دعوى بعضهم خدمة دينهم نفاق وزور، وكيف لعمري زينت لهم تعاليم السيد المسيح القائمة على الرحمة والشفقة ازهاق أرواح الأبرياء من مخالفيهم في الدين؟ ظهرت أديار الرهبان والراهبات هذه المرة أنها ثكنات عسكرية وحصون تدمير، وأن بعض من أووا إليها لا يختلفون عن القتلة واللصوص، وشوهد أحد رهبان الأخوة المريمين يطلق من مدفع رشاش ناراً حامية على حي قريب من قرية المزة وهو متّشح بلباسه الأسود، ثم دخل بيتاً ينهبه لما تراءى له أنه خال من أهله.

وقد ثبت أن قائد التدمير [يوم ضرب دمشق] أمر بضرب المستشفى الوطني فارتاع المرضى، وخرجوا هائمين على وجوههم إلى الشوارع وأن بعض جنده اعتدوا على بعض الممرضات[1].

وقال علي الطنطاوي يخاطب الجنرال ديغول: «جيشك يا جنرال هاجم المستشفى الوطني وسلط ناره من أفواه رشاشاته ومدافعه على الجرحى والمرضى، ولم يقدر بعد ذلك إلا على أربع ممرضات شواب أخذهن سبايا».

ويقول كذلك: «مدرسة الفرنسيسكان كان فيها الرشاشات تطلقها بأيديها الناعمات الراهبات المتبتلات ذوات الرحمة، المسالمات»[2].

---

(١) ١ المذكرات ٢/ ٥٤٠

(٢) ٢ ذكريات ٥/ ٨٤

# خلاصة عامة للكتاب

رأينا كيف كانت الحال في مدارس التعليم الأهلي ابتداءً بالكتاتيب، حتى ارتفع بها الشيخ عيد السفرجلاني إلى مستوى المدارس الجادة ذات المنهج التعليمي والتربوي المتطور بالنظر لزمانها بدءاً بسنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، فكان عمله نقلة تربوية ناجحة استمرت نحواً من ستين سنة..

وقام بعده عدد من المدارس الابتدائية غلب عليها جهود علماء الشريعة، انطلاقاً من واجبهم في التعليم ومسؤوليتهم أمام الله تعالى، ولذا لم تكن مدارس ربحية بمقدار ما كانت تطلب رسوماً بسيطة تقوم بنفقاتها.

اعتمدت المدارس الأهلية غالباً كتب المدارس الرسمية، اهتمت فوقها بالعلوم الإسلامية والعربية، ومع أن الدولة حتى البدايات من ثمانينات القرن الرابع عشر الهجري/ ستينات القرن العشرين لم يكن لها إشراف ولا نظر على تلك المدارس إلا أن بعضها كان يسعى للحصول على رخصة من وزارة المعارف (التربية فيما بعد).. كما كانت تؤهل تلاميذها للتقدم إلى الامتحانات الرسمية للشهادة الابتدائية.

وقد تفاوت مستوى هذه المدارس واستمرارها وشهرتها وعطاءاتها ولكنها سدت ثغرة مهمة في التعليم الأولي وقامت بجهود مهمة، وأقبل عليها الأهالي.

وفي الوقت نفسه قامت مدارس ثانوية ذات شأن، كانت متنوعة المشارب أهمها المدرسة الكاملية والمدرسة التجارية والكلية العلمية الوطنية والمدرسة المحسنية، وكانت غالباً تضم المراحل التعليمية الثلاث قدمت خدمات جلّى، وهيأت الطلاب إلى دخول الجامعة، وبها تخرج شخصيات كان لها شأنها في البلد.

وفي بدايات النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري/ بدايات الثلث الأول من

القرن العشرين الميلادي قامت حاجة بدمشق لافتتاح ثانويات للذكور والإناث رديفة للثانويات الرسمية التي لم تكن كافية لاستيعاب جميع الطلاب. فكانت حلّاً بديلاً سدّ الحاجة القائمة.. وتخرج بها طلاب تابعوا دراساتهم في الجامعة.

وعملت هذه المدارس على افتتاح قسم مسائي للطلاب الذين ينشغلون في النهار بكسب قوتهم، وساعدت فئة واسعة منهم على مواصلة تعليمهم الجامعي. وقد تفردت هذه المدارس الخاصة بهذا الإجراء في الوقت الذي لم تستطع الدولة أن تقوم به.

وقد تنبه وطنيون إلى أهمية نشر التعليم لجميع الطبقات فأحدثوا بجهود خاصة مدارس مجانيّة ليلية للعمال، ازدهرت مدّة قليلة، فلم تساعدها ظروفها فتوقفت.

ومنذ ثلاثينات القرن الرابع عشر الهجري/ أوائل القرن العشرين الميلادي تنبه علماء دمشق إلى ضرورة إحداث مدارس شرعية منظمة عوضاً عن حلقات المساجد غير المنضبطة فقامت على جهودهم العلمية وبمساندة التجار خاصة وأهل الخير عامة، واعتمدت فيها مناهج العلوم الشرعية والعربية المعمقة، وتخرج بها علماء كان لهم شأنهم في القضاء والدعوة والفتيا والشعائر الدينية. وكان منهم طلّاب غير سوريين، كما شارك عدد منهم في الحياة السياسية والعامة وعرفوا بالحق.

وإلى جانب ذلك قامت الطوائف بجهود تربوية وتعليمية، فأنشأت مدارسها منذ القرن التاسع عشر الميلادي، فقامت مدرسة الآسية المختلطة للروم الأرثوذكس ومدرستا البطريركية وراهبات المحبة للكاثوليك؛ الأولى للذكور والثانية للإناث، وكانت هذه المدارس تعنى باللغات الأجنبية المختلفة إلى جانب العربية، في حين كانت مدارس اليهود ترسخ التعليم بالعبرانية. وإلى جانب ذلك افتتحت الجالية الأرمنية مدارسها المقتصرة على أبنائها وبناتها دون غيرهم، في حين كانت المدارس الأخرى مفتوحة للنصارى والمسلمين واليهود على حد سواء.

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي تطلعت الدول الغربية إلى افتتاح المدارس بدمشق كان أولها اللعازارية الكاثوليكية للذكور، فالإنجيلية البروتستانتية، فالمدرسة

الإيطالية والفرنسيسكين الكاثوليكيتين للإناث. وإلى جانب ذلك افتتحت البعثة العلمانية الفرنسية مدارس اللاييك المختلطة.

كانت مرجعية هذه المدارس كلها مرجعية دينية مسيحية، يقوم عليها هيئة اللاهوت الكنسي ما عدا اللاييك فكانت مدرسة مدنية خالصة، وقد كان لهذه المدارس ـ سواء مدارس الطوائف أم مدارس الإرساليات ـ شأنها، أقبل عليها الدمشقيون وخصوصاً ممن كانوا يريدون الأخذ بالثقافة الغربية والتمكن من اللغات الأجنبية.

وقد خدمت هذه المدارس تلك الثقافة وتلك اللغات خدمة معمقة، وكان لها مناهجها الخاصة، حتى وضعت وزارة التربية أيديها عليها، فاتبعت مناهج المدارس الرسمية.

# ثبت المراجع والمصادر


- **إتمام الأعلام (مج١)**: نزار أباظة ومحمد رياض المالح، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٨٨.
- **إتمام الأعلام (مج٢)**: نزار أباظة ومحمد رياض المالح، دمشق، دار الفكر ودار صادر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **أرمن دمشق**: سركيس بورنزسيان، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦.
- **الأستاذ الدكتور أحمد منيف عثمان العائدي**: عزة مريدن، دمشق، مطابع ألف باء ـ الأديب، ١٩٩٦.
- **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين (١-٨)**: خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٩، ١٩٩٠
- **أعلام من آل السفرجلاني: منذ القرن الحادي عشر، حتى القرن الخامس عشر الهجري**: جمع وتحقيق محمد صلاح الدين السفرجلاني، دمشق، د. ن، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م
- **أوراق ومذكرات فخري البارودي: خمسون عاماً من حياة الوطن (١-٢)**: إعداد وتحقيق وعد الحكيم، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٩م (وكانت طبعت من قبل طبعة غير محققة باسم مذكرات فخري البارودي).
- **الأيام**: طه حسين، القاهرة، دار المعارف.
- **البيان السنوي للمدرسة الجوهرية السفرجلانية**: محمد صلاح الدين السفرجلاني، دمشق، د.ن، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- **تاريخ البطريركيات الملكية**: سيريل شارون، د.م، د.ن، ١٩١١م.
- **تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (مج١-٢)**: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (ط١).
- **تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (مج٣)**: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م (ط١).

- **تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١-٢)**: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م (ط٢).
- **التعليم في سورية: نشأته وتطوره**: خالد قوطرش، ترجمة نزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- **جمال الدين القاسمي: أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام**، نزار أباظة، دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٣م.
- **جمعية العلماء بدمشق**: محمد مطيع الحافظ، دمشق، طيبة الدمشقية، ١٤٣٥/ ٢٠١٤م.
- **حاضر اللغة العربية في بلاد الشام**: سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر.
- **حكاية المحسنية: مسيرة نصف قرن من تاريخها، ١٩٠١-١٩٥٢م**: بسام محمد نصوح مرتضى، دمشق د.ن، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- **حوادث دمشق اليومية**: تأليف أحمد البديري الحلاق، تنقيح محمد سعيد القاسمي، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥٩م.
- **خطط دمشق**: أكرم حسن العلبي، دمشق، دار الطباع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- **دار الحديث الأشرفية**: محمد مطيع الحافظ، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠١م.
- **دمشق الشام**: عدد من المؤلفين، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٤م.
- **ذكريات (١-٨)**: علي الطنطاوي، جدّة، دار المنارة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- **ذكريات: بحوث في التربية والاجتماع**: محمد مهدي استانبولي، دمشق، د.ن، ١٣٧٨هـ.
- **الروضة الغناء في دمشق الفيحاء**: نعمان القساطلي، بيروت، د.ن، ١٨٧٩م.
- **سابقات العصر وعياً وسعياً وفناً**: وداد سكاكيني، دمشق، جمعية الندوة الثقافية النسائية، ١٩٨٦م.
- **شام شريف**: محمد شريف الصواف، دمشق، د.ن، د.ت.
- **الشيخ علي الدقر : رجل أحيا الله به أمة**: نزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ٢٠١٠م
- **عبقريات من بلادي**: عبد الغني العطري، دمشق، دار البشائر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- **العلامة اللغوي عبد القادر المبارك**: إبراهيم الزيبق، دمشق، مجمع اللغة العربية، ٢٠١١م.
- **العلامة المربي الكبير الشيخ محمد صالح الفرفور: حياته العلمية ـ ونهضته ـ وآثاره**: عمر النشوقاتي، دمشق، دار الفرفور، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- **علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ١٤٠١-١٤٢٥هـ**: نزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **قاموس الصناعات الشامية**: محمد سعيد القاسمي وآخران، حققه وقدم له ظافر القاسمي، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨م.
- **المدرسة السعيدية العلمية: الشيخ محمد سعيد الشلاح**: محمد عمر الشلاح، دمشق، دار الشلاح، ٢٠٠٧م.
- **المذكرات (١-٤)**: محمد كرد علي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
- **مرآة الشام**: عبد العزيز العظمة، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٢م.
- **المسيحية (العدد ٢ من سلسلة مقارنة الأديان)**: أحمد شلبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١٠، ٢٠٠٠م..
- **معالم وأعلام في بلاد العرب**: أحمد قدامة، دمشق، د.ن، ١٩٦٥م.
- **معجم الألفاظ التاريخية**: محمد أحمد دهمان، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- **مكتب عنبر**: ظافر القاسمي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٤م.
- **من حارتي القيمرية**: حسان زكي النشواتي، د.م، د.ن، ٢٠١٦م.
- **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**: عبد القادر بدران، دمشق، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ.
- **المنجد في الأعلام**: عدد من المؤلفين، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٦م، ط٢١.
- **الموسيقا في سورية: أعلام وتاريخ**: صميم الشريف، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م.
- **النور والنار في مكتب عنبر**: مطبع مرابط، دمشق، د.ن، ١٩٩١م.

- الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني: قصة عالم مجاهد حكيم شجاع: عبد الرحمن حبنكة، جدة، المؤلف (توزيع دار البشير) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- اليهود في البلاد الإسلامية: صموئيل أنتيجر، الكويت، عالم المعرفة، العدد / ٩٧/ .

* * *

هذا فضلاً عن المقابلات المهمة التي أجراها المؤلف، والمكاتبات الخاصة التي قدمتها له بعض الجهات، والوثائق التي اطلع عليها، والزيارات الميدانية التي أجراها.

تم بحمد الله

# DAMASCUS SCHOOLS AND INSTITUTES

## Study in Private Education Institutions

## Madāris Dimashq wa-Ma'āhiduhā Khilāl al-Qarn al-Rābi' 'Ashar al-Hijrī

**Dr. Nizār Abāẓah**

ولست أكتم اليوم سروري بكتاب الصديق الدكتور نزار أباظة، لأنني وجدته من أقرب الكتب وأصدقها في وصف الواقع الذي عرفته. لقد ذكر فيه مؤلفه كل ما عرفه أو وصل إليه علمه، بصدق وأمانة. كان يبحث ويتعب، ويتصل ويسأل، للحصول على ما لا يعرف، ليكون عمله أقرب إلى الواقع والكمال، وأصدق في الوصف والحكم، ولئلا يبخس أحداً حقه، حتى جاء كتابه وصفاً صادقاً للصورة الفسيفسائية التي ضمها المجتمع السوري، في وحدة وطنية مؤتلفة على اختلاف مؤسسيها، وتباين اتجاهاتها، واختلاف انتماءاتها.

لقد أعطى المؤلفُ قارئَ الكتاب فكرة واضحة عن الجهود التي بذلت في ميادين التربية والتعليم، وإنشاء المؤسسات التعليمية. حتى أصبح لا يغيب عن الكتاب إلا مالم يستطع الكاتب أن يصل إليه.

إن الكتابة في التاريخ أمانة، فالذي لا يستطيع أن يعطي الأمانة حقها لأي سبب من الأسباب، فليصرف نفسه عن الكتابة فيه، وليوجّه قلمه وجهةً أخرى، أو فليصمت، لأن الشريف لا يقول إلا ما يدعو إليه الشرف من صدق وأمانة، وإذا دعي إلى الشهادة أداها بحقها، ومن لم يفعل فاثم قلبه.

لقد أحسن د. نزار أباظة حين رأى تقصير غيره، فاستدرك ما فات، وقوّم القصد، فجاء كتابه أكثر صدقاً وأمانة، وأوضح صورة، وأشمل استيعاباً.

**الأستاذ الدكتور مازن المبارك**

دار الفكر
دار الفكر المعاصر
www.darfikr.com

ISBN 978-993336219-5
9 789933 362195